علاقة مملكتى قشتاله وأراجون بسلطنة المماليك

(١٢٦٠ - ١٣٤١م / ٦٥٨ / ٧٤١ هـ)

دكتور محمد محمود احمد النشار

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة طنطا

الطبعة الأولى

١٩٩٧



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

تصميم الغلاف : محمد أبوطالب

الناشــر : عين للدراســات والبحــوث الإنسانيــة والاجتماعيــة

٦ شارع يوسف فهمى - اسباتس - الهرم - ج.م.ع - تليفـون : ٣٨٥١٢٧٦

٥ شــارع ترعـة المريوطيـة - الهــرم - ج.م.ع - تليفـون ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:ÉIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276
5, Maryoutia st., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

إهــداء

إلى العام الذى أسقطنى من المدينة الفاضلة إلى عالم البشر

محمد النشار



بِسْمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَق وَأَنتَ خَيْرُ الفَاتحِينَ

صَدَقَ اللّه العَظِيم

سورة الأعراف - آية (٨٩)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. وبعد ،

فدراسة العلاقات بين الدول ، سياسية كانت أم اقتصادية أم ثقافية ، لها أهمية كبيرة فى معرفة مدىَ استقرار الشعوب، ونظمها ومدى استثمار هذه العلاقات فى التطور الداخلى.

ومن ذلك كان موضوع هذا البحث وهو «علاقة مملكتى قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك . ١٢٦٠-١٣٤١م / ٦٥٨-٧٤١هـ فهى إحدى حلقات العلاقات بين الشرق والغرب التى تمت عبر التاريخ، ويمثل فترة زمنية تتميز بنهاية الحروب الصليبية فى الشام على يد المماليك بسقوط آخر معاقل الصليبيين (عكا) على يد الأشرف خليل فى عام ١٢٩١م وبانتقال الحروب الصليبية إلى منطقة أخرى وهى سواحل مصر والشام واتجاه آخر وهو محاربة سلطنة المماليك اقتصاديا بفرض الحصار الاقتصادى عليها بعد فشل الوسائل العسكرية .

وهذه الفترة تعتبر من أزهى عصور المماليك فى مصر ، إذ أن سلطنة المماليك أصبحت مرهوبة الجانب وتتمتع بزعامة عالمية للمسلمين وأصبح البلاط الملوكى يعج بالوفود والسفارات التى تقدم فروض الولاء والصداقة ، وفى أوربا قامت الممالك الأسبانية المسيحية بدور هام فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى نتيجة لما جرى من حروب طويلة بين المسلمين والمسيحيين فى الأندلس ، خاصة منذ سقوط طليطلة عام ١٠٨٥م وهو الحدث الهام الذى أشار إليه ابن الأثير واتخذه المؤرخون والباحثون مدخلا لتاريخ الحروب الصليبية فى الشرق وإذا كانت سلطنة المماليك قد نجحت فى القضاء على بقية الإمارات الصليبية فى الشرق فإن مملكتى قشتالة وأراجون قد نجحتا أيضا فى إنهاء الحروب الصليبية فى الأندلس لصالح الحركة الصليبية .

بدأت مملكتى قشتالة وأراجون منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تتجه إلى خارج شبه الجزيرة الأيبيرية بعد أن توقفت حركة الاسترداد ، التى بدأت بصورة واضحة منذ سقوط الخلافة الأموية وبداية عصر ملوك الطوائف واستمرت إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، والتى انتهت بانحسار المد الإسلامى فى جنوب شرق شبه الجزيرة الأيبيرية فى غرناطة.

وفى الواقع أن حركة الاسترداد قد توقفت نتيجة لعوامل عديدة منها أن مملكتى قشتالة وأراجون قد اكتفت بمكاسبها وخشية من الاستمرار فى حركة الاسترداد من وصول الامدادات ، من شمال أفريقيا ، بجانب العديد من الأسباب الأخرى والتى تتمثل فى أن مملكة غرناطة نفسها كانت حصن قوى الدفاع عن نفسه بواسطة الطبيعة ، وسكانها أكثر تجانسا من هذه المناطق التى فقدها المسلمين ، بجانب أن الأعداء ، القدامى للمسلمين كانوا الآن قد نقص عددهم، والبرتغال قد قطعت أى احتكاك بالأندلسيين فى المنطقة حول آشبيلية وقادس ، أما أراجون كانت منعزلة بسبب غزو القشتاليين لإقليم مرسية، بينما كانت مملكة قشتالة تشترك فى الحدود مع المسلمين ، وهذا أدى بها إلى توجيه اهتمامها إلى مملكة غرناطة فى بادى الأمر.

لذلك بدأت مملكة أراجون بعد عقد معاهدة أليمشرا سنة ١٢٤٤م التى كان من نتيجتها أن أصبح الطريق للاتجاه إلى شبه الجزيرة الأيبيرية مغلقا، مما حدا بها إلى ناحية البحر المتوسط فقد كانت الظروف مهيأة لتكوين إمبراطورية أراجونية فى الجزء الغربى من هذا البحر تمهيدا للسيطرة التجارية وإيجاد دور لها فى التجارة بين الشرق والغرب .

اتجهت مملكة أراجون إلى إيجاد نوع من توازن القوى فى حوض البحر المتوسط خاصة بعد فرض العزلة السياسية عليها من قبل البابوية وفرنسا «بسبب مشكلة صقلية» باتصالات سياسية مع سلطنة المماليك فى مصر والشام، فقد كانت الأخيرة إحدى القوى الكبرى فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، إذ سيطرت على أهم طرق التجارة بين الشرق والغرب وكانت صاحبة الدور الرئيسى فى صد الهجمات الصليبية على الشرق وأنها لاتمانع فى التحالف مع الممالك الأوربية ضد البابوية ، لذا قابلت رغبة أراجون فى التحالف بارتياح واهتمام ، فتضمن ذلك حليفا أوربيا لها فى مواجهة البابوية وفرنسا لتتفرغ لمهمتها الأساسية المتمثلة فى انهاء الوجود الصليبى فى الشام .

كما أرادت مملكتى قشتالة وأراجون الاطمئنان على عدم وصول نجدات ومساعدات من سلطنة المماليك للمسلمين فى الأندلس وهذا ما جعل ملوك المملكتين يحافظون على علاقات الصداقة والود مع سلطنة المماليك فى مصر بجانب رغبة حكام قشتالة وأراجون فى الحصول على بعض الامتيازات التجارية لتجارتهم إلى الشرق وتسهيل طريق الحج إلى الأراضى المقدسة، وإطلاق سراح الأسرى الأسبان المسيحيين فى مصر.

كما حرص سلاطين المماليك من جانبهم على ضمان عدم مساعدة قشتالة وأراجون للممالك الأوربية فى شن هجماتهم على سواحل مصر والشام ، وضمان حسن معاملة المسلمين بالأندلس

الخاضعين لحكم هاتين المملكتين الأسبانيتين، يضاف إلى ذلك أن السفارات التى جرت بين مملكة أراجون جيمس الثانى (خايم الثانى) والسلطان الناصر محمد ضمنت لسلطان مصر حليفا عظيما ساعده فى القضاء على محاولات البابوات وأنصارهم فى عرقلة تجارة المماليك والحيلولة دون وصول المواد الحربية مثل الخشب والحديد والمماليك الجدد إلى مصر .

لذلك كان موضوع «علاقة مملكتى قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك» من الموضوعات الهامة فى تاريخ العصور الوسطى والتى لم تنل اهتمام الباحثين من الدراسة والتحليل ، لذلك كان اختيار هذا الموضوع لدراسته وتوضيح جوانبه لتقييم تلك العلاقة .

تضمن البحث خمسة فصول مهدت لها بعرض ونقد لأهم المصادر والمراجع وذيلته بخاتمة ضمنتها كل ما توصلت إليه من نتائج .

تناول الفصل الأول تاريخ مملكتى قشتالة وأراجون وسلطنة المماليك فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى متضمنا موجزا للتطور التاريخى لكل من قشتالة وأراجون وسلطنة المماليك ، ثم الفصول الثلاثة التالية عن العلاقات السياسية بين مملكتى قشتالة وأراجون وسلطنة المماليك فى مصر ، والفصل الأخير للعلاقات التجارية بينهما .

اعتمدت فى هذا البحث على العديد من الوثائق (ما يقرب من ١٢٠وثيقة) فمنها باللغة العربية ، واللغة الكتالونية القديمة ، واللغة اللاتينية، والأسبانية ، وقد اختير منها ما هو هام ألحقته كملاحق لهذا البحث.

وحصلت على هذه الوثائق والمصادر الأسبانية من خلال رحلة إلى أسبانيا باحثا عنها فى معهد الدراسات الإسلامية بمدريد والمكتبة الوطنية لمدريد والمعهد الأسبانى العربى بمدريد بجانب العديد من المكتبات الأخرى، بجانب وثائق أرشيف التاج الأراجونى ببرشلونة .

وإذا كان هناك فضل فى إتمام هذا البحث فإن الفضل أولا لله سبحانه وتعالى وثانيا إلى كل من قدم لى يد العون لإتمامه .

وأشكر أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور / حسنين محمد ربيع أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ، الذى قاد خطواتى الأولى على درب البحث العلمى فدرست على يديه فى السنة التمهيدية للماجستير ثم وجهنى إلى دراسة هذا الموضوع واستفدت كثيرا من ملاحظاته وارشاداته وأدين له بالفضل الكثير فى إخراج هذا البحث .

كذلك أقدم عميق شكرى وامتنانى لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور عصام الدين عبدالرؤف الفقى أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة ، والذى بذل جهدا فائقا ورعاية تامة وقدم لى ملاحظات قيمة وتوجهات سديدة ومهما ذكرت فى شخصه لن أوفيه حقه من الاحترام والاعتزاز ، الذى وقف بجانبى وتصدى لمساعدتى بجسارة عهدناها فيه وأخذ بيدى ناهضا من كبوات جامحة كادت أن تعثرنى فى حياتى العلمية .

كما أشكر أخى الأكبر الأستاذ الدكتور محمد محمود إدريس الذى ساعدنى كثيراً واستمتعت بصحبته وأفادنى بالكثير من النصائح التى مهدت لى طريق البحث ولايفوتنى ن أتوجه بالشكر والعرفان إلى الأستاذ الكبير والعالم الجليل الأستاذ الدكتور محمود على مكى عالم الأندلسيات وأستاذ ورئيس قسم اللغة الأسبانية السابق بكلية الآداب جامعة القاهرة لإفادتى من نصائحه وإرشاداته العظيمة الفائدة.

وأشكر كذلك المركز الثقافى الأسبانى بالقاهرة ومديره السنيور أدريان رود ريجوز ، الذى ساعدنى فى تسهيل مهمة السفر إلى أسبانيا ، بجانب دراستى للغة الأسبانية بهذا المركز ، ولايفوتنى هنا أن أتقدم بخالص الشكر للعاملين بمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد وعلى رأسهم المستشار الثقافى ومدير المعهد الأستاذ الدكتور صلاح فضل ، الذين سهلوا مهمة البحث فى أسبانيا وشملوه برعايتهم واهتمامهم وكذلك أيضا مديرة أرشيف التاج الأراجونى ببرشلونة الأستاذة ماريا مارسيدس .

وأخيرا أعبر عن امتنانى وشكرى لكل من أعاننى ولو بالكلمات المشجعة والطيبة على إنجاز هذا البحث .

وفى الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى هذا البحث والله الموفق والمستعان .

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

١- مجموعات الوثائق .
٢- المصادر العربية .
٣- المصادر الأسبانية والأوربية .
٤- المراجع الأوربية .
٥- المراجع العربية .



اعتمدت فى بحث هذا الموضوع على مجموعات من الوثائق بجانب العديد من المصادر العربية والأسبانية والمراجع الحديثة العربية والأوربية :

أولا : مجموعات الوثائق التى أوردها انخلز ماسيا Angeles Masia فى كتابه «التاج الأراجونى ودول شمال أفريقيا » Corona de Aragon y los Eastados del norte de Africa[1] وتبلغ عدد الوثائق الخاصة بمصر ١٠٩ وثيقة [2]، وهى بلغتها الأصلية اللاتينية القديمة واللغة الكتالونية القديمة ، ولكل وثيقة مقدمة مكونة من حوالى ثلاثة أو أربعة أسطر باللغة الأسبانية الحديثة وتشتمل هذه الوثائق على نصوص خطابات ملك أراجون إلى السلطان الناصر محمد ونصوص خطابات الناصر محمد إلى خايم الثانى والفونسو الرابع بجانب وثائق تخص الأذون التجارية التى يطلب فيها ملك أراجون الإذن من البابوية بقيام سفارة ورد البابوية عليه وبجانب العديد من الوثائق التى تخص الشئون التجارية وتحصيل الغرامات على المخالفين ومحاكمات وتخويل سلطات وموضوعات أخرى.

ثانيًا: مجموعة الوثائق التى أوردها ألاركون وسانتون Alarcon y Santon فى كتابه «الوثائق العربية المحفوظة بأرشيف التاج الأراجونى. "Los documentos Arabes diplomatico del Archivo de la Corona de Aragon" وجمع فيه ألاركون كل الوثائق المحفوظة بالتاج الراجونى فى هذا الكتاب وهى بدون تعليق أو شرح بل أورد نص هذه الوثائق فقط ، وهو يجمع كل الوثائق العربية المحفوظة فى هذا الأرشيف[3] وهى عبارة عن ٩ وثائق تخص مصر تبدأ برقم ١٤٥ إلى ١٥٣ ويخص فترة البحث ٨ وثائق فقط منها وهذه الوثائق هى النسخة العربية للخطابات التى أرسلها السلطان الناصر محمد إلى ملوك أراجون ماعدا الوثيقة رقم١٤٥ وهى معاهدة تحالف وصداقة بين الأشرف خليل وخايم الثانى فى سنة١٢٩٣ .

١- Barcelona , 1951 .

٢- Los documentos, de la 109 .

٣- وللبحث عن وثائق أخرى قد تقابلنا مع مديرة الأرشيف الأراجونى فى برشلونة وأخبرتنا بأن كل الوثائق العربية والتى يحتفظ بها الأرشيف قد جمعت فى هذا الكتاب .

٤- لكل رسالة من السلطان الناصر محمد نسخة أخرى باللغة الكتالونية القديمة، حيث كانت أى رسالة أو معاهدة تكتب باللغتين العربية والكتالونية .

ثالثا: مجموعة الوثائق التى جمعها شابمانى Chpmany [١] فى كتابه «المعاهدات القديمة بين ملوك أراجون وملوك آسيا وأفريقيا » "Antiguos tratados celebrado entre los principe infieles de Asia y Africa"[٢] ويحتوى على نصوص المعاهدات فقط دون شرح أو تعليق ، ولايتعدى دور شابمانى إلا جمع هذه الوثائق وترجمتها إلى اللغة الأسبانية الحديثة، ويشمل كل ما يخص مصر من هذه المعاهدات ثلاثة فقط .

الأولى : نص خطاب ملك أراجون خايم الثانى Jaime II إلى الأشرف خليل لطلب التحالف والمعاهدة واشتراك ملكى قشتالة وأراجون فى هذا التحالف فى سنة ١٢٩٢م . أما الوثيقة الثانية فتخص سفارة ملك أراجون إلى الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ١٣١٤م أما الوثيقة الأخيرة ، خطاب ملك أراجون خايم الثانى إلى غازان ملك المغول فى سنة ١٣١٠م لطلب عقد تحالف وصداقة ضد المسلمين لاسترداد الأراضى المقدسة .

بجانب المجموعات الثلاثة للوثائق السابقة توجد بعض الوثائق فى المصادر العربية التى سوف نتعرض لها فيما بعد :

ثانيا: المصادر العربية :

تحتل مؤلفات ابن عبد الظاهر أهمية خاصة بالنسبة للفترة المبكرة من التاريخ المملوكى ، والذى كان معاصرا لبداية سلطنة المماليك حتى توفى فى سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م وكان يحتل مركز يسمح له بالاطلاع على كل شئون الدولة فقد تولى رئاسة ديوان الإنشاء فى سنة ٦٧٨هـ الذى يتفق مع بداية عهد السلطان المنصور قلاوون ، وكان يقرأ جميع الرسائل الواردة للسلطنة وينشئ جميع الرسائل والوثائق الهامة ومؤلفاته الثلاثة وهى «الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر»[٣] وهو تاريخ شاملة لسلطنة الظاهر بيبرس تعرض فيها لبعض المعلومات التى تخص العلاقات مع مملكتى قشتالة وأراجون والسفارات المتبادلة بينهما إلى جانب سياسة الظاهر بيبرس الخارجية .

١- الترجمة الدقيقة لهذا الكتاب «المعاهدات القديمة بين ملوك أراجون والأمراء الملحدين لآسيا وأفريقيا».

٢- Madrid, 1974.

٣- تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض سنة ١٩٧٦م .

ومن المصادر الهامة، بل أهمها على الإطلاق هو «تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور»[١] ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر التى تتناول تاريخ السلطان المنصور قلاوون خاصة وأنه تولى فى بداية عهد المنصور قلاوون رئاسة ديوان الإنشاء وأصبح مطلعا على كل أسرار السلطنة . لذلك يعتبر مؤلفه من مصدر ثقة يعتمد عليه ولم يعثر على تأريخه للحوادث إلا من عام ٦٨٠هـ حتى وفاة السلطان قلاوون .

وأورد فى هذا المؤلف العديد من المعلومات التى تخص مملكتى قشتالة وأراجون فالأخيرة أورد لها سفارات ملك أراجون إلى السلطان المنصور قلاوون إلى جانب نص معاهدة التحالف بين الفونسو الثالث وخايم الثانى ملك صقلية والمنصور قلاوون سنة ١٢٨٩م بجانب الأخبار العديدة التى تخص الحروب الصليبية فى الشام ومعاهدات وتحالفات بين سلطنة المماليك والممالك الأخرى.

أما بالنسبة لمملكة قشتالة فقد أورد فى مؤلفه عن الحرب الأهلية التى اندلعت بين ألفونسو العاشر وابنه سانشو الرابع وكانت أخباره حقيقية بالاتفاق مع المصادر الغربية، ويرجع ذلك إلى أن السفارة التى أرسلها السلطان المنصور قلاوون ردا على سفارة الفونسو العاشر فى سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م والتى وصلت فى مستهل المحرم سنة ٦٨٢هـ ووجدت الحرب قائمة بين الفونسو وولده وبقيت هناك عامان حتى استتب الأمر لسانشو الرابع وهؤلاء السفراء المملوكيين أرسلوا إلى ديوان الإنشاء أخبارهم وسبب تأخرهم والحديث عن الأحداث الجارية فى مملكة قشتالة [٢]، مما أورده ابن عبد الظاهر[٣].

ومن المصادر المعاصرة «الألطاف الخفية من السيرة الشريفية السلطانية الأشرفية»[٤] يتناول تاريخ السلطان الأشرف خليل . وقد استفدنا منه كثيرا فى تقييم العلاقات بين الأشرف خليل ومملكة أراجون .

١- تحقيق مراد كامل ، ط القاهرة سنة ١٩٦١م .

٢- انظر سفارات الفونسو العاشر إلى المنصور قلاوون ، سفارة سنة ٦٨٣هـ.

٣- انظر : تشريف الأيام ، ص١١٢-١١٤ .

٤- ط موبرج Moberg سنة ١٩٠٢ م .

أما عن مؤلفات المقريزى فكتابه «السلوك لمعرفة دول الملوك»[١] من أهم المصادر المملوكية على الإطلاق ، ويتناول تاريخ سلطنة المماليك، حقيقة أن مؤلفه اعتمد على تاريخ ابن الفرات بجانب المؤلفات الأخرى ، وانفرد عنهم بالكثير من الحقائق والأخبار التى لم ترد فى هذه المؤلفات[٢] وهو من أكثر المصادر التى اعتمدت عليها فى أخبار السفارات الأراجونية والقشتالية إلى سلطنة المماليك ، واعتمدت على هذا المؤلف فى كثير من المعلومات التى تخص السياسة الخارجية لسلاطين المماليك مع الممالك الصليبية فى الشام وعلاقاتها أيضا بالممالك الأخرى .

أما العمرى ومؤلفه «التعريف بالمصطلح الشريف»[٣] فهو على درجة كبيرة من الأهمية إذ أنه عاصر عهد ناصر محمد وتولى هو ووالده وشقيقه العديد من المناصب فى ديوان الإنشاء[٤] ويتضح أهمية مؤلفه فى أنه أورد معلومات كثيرة عن مملكة قشتالة ورسم المكاتبة إلى ملوكها ونسبهم والدعاة الذى يليق بهم بجانب بعض الأخبار الخاصة بهم خاصة وأنه كاتب الديوان والمشرف حينا على علاثق البلاط المملوكى مع الدول النصرانية فكان مما يهمه أن يتعرف على الأوضاع السياسية لهذه الدول .

مـا عن بيبرس الدوادار فقد اعتمدت على الجزء التاسع من «زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة»[٥] ويتضح أهمية هذا المصدر فى أن بيبرس قد عاصر المنصور قلاوون وابنه السلطان الناصر محمد وتوفى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م وشغل منصبا هاما فى البلاط المملوكى على عهد السلطان الناصر محمد واشترك فى عهد الملك المنصور قلاوون فى الحرب ضد الصليبيين والمغول بالشام وآسيا الصغرى على عهده ثم عهد ابنه الأشرف خليل [٦]، ولذلك فإن معلوماته تتسم بالدقة واعتمادنا عليه فى السياسة الخارجية لسلطنة المماليك وأورد أيضا معلومات تخص السفارات بين قشتالة وأراجون وسلطنة المماليك .

١- تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة سنة ١٩٣٦-١٩٧٢ م .

٢- أنظر : أحمد عبد الرازق : المرجع السابق، ص١١٨-١١٩ .

٣- القاهرة سنة ١٣١٢هـ .

٤- أنظر أحمد عبد الرازق أحمد : دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة . ص٤٨ .

٥- رسالة دكتوراه : لزبيدة عطا لم تنشر - كلية الأداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢ .

٦- أحمد عبد الرازق : المرجع السابق ، ص١٣-١٨ .

ومن المؤلفات، ابن أيبك الدواداري الجزء الثامن« الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية »[١] والجزء التاسع «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر »[٢] من «كنز الدرر وجامع الغرر» ففيهما الكثير من موضوعات البحث .

ويتضح أهمية مؤلفه إلى أنه شغل بعض المناصب الهامة على عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون التي أمدته بالكثير من المعلومات الصادقة والأصلية.

وأيضا «صبح الأعشى»[٣] للقلقشندي الذي تعرض فيه للممالك الأسبانية في الجزء الخامس[٤]، وتناول فيه الحديث عن ملوك أسبانيا المسيحية وممالكها ، وفي الجزء الثامن تكلم عن رسم المكاتبة إليهم والدعاء لهم[٥]، أما في الجزء الرابع عشر فقد أورد نص معاهدة التحالف بين خايم الثاني ملك أراجون وأخويه (فردريك وبدرو) وصهريه ملك قشتالة وملك البرتغال وبين السلطان الأشرف خليل في سنة ٦٩٢هـ ونفس نص هذه المعاهدة موجودة في الوثائق العربية المحفوظة بأرشيف التاج الأراجوني التي جمعها الأركون في هذا المؤلف تحت رقم ١٤٥ بجانب العديد من المعلومات المتفرقة التي تخص سلطنة المماليك .

وأيضا «تاريخ ابن الفرات» المجلد السابع [٦]، ونهاية الأرب النويري وعقد الجمان للعيني، وزيترشتين «تاريخ سلاطين المماليك»[٧] واليونيني: ذيل مرآة الزمان[٨] الذي يتضمن معلومات تخص سفارات قشتالة إلى سلطنة المماليك.

أما المصادر الأندلسية فقد أفادتني كثيرا بالمعلومات التي تخص العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في شبه الجزيرة الأيبيرية إلى جانبها تعرضها للأحداث الداخلية للممالك الأسبانية .

١- تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة سنة ١٩٧١م.

٢- تحقيق روبرت رويمر ، القاهرة سنة ١٩٦٠ م.

٣- ١٤ جزءاً ، القاهرة سنة ١٩١٣م .

٤- ص٢١٣ إلى ص٢٧٢ .

٥- ص٣٣-٣٦ .

٦- تحقيق قسطنطين رزيق ، بيروت ، سنة ١٩٤٢م .

٧- ليدن سنة ١٩١٩م .

٨- ط حيد أباد الدكن ، أربع أجزاء سنة ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥م.

ومن أهم هذه المصادر : «تاريخ الأنلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط »[١] وهذا الكتاب يحتوى على نصين : النص الأول قطعة من كتاب الأكتفاء فى أخبار الخلفاء لابن الكردبوس ويتناول تاريخ الأندلس من بداية الفتح الإسلامى لها حتى بداية عهد المرابطين والنص الثانى لابن الشباط وهو قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المربط لابن الشباط».

وأيضا كتاب الحميرى «صفة جزيرة الأندلس»[٢] وهى قطعة منتخبة من كتاب «الروض المعطار فى خبر الأقطار» ، فالى جانب تعرضه لوصف المدن الأندلسية يذكر الأخبار العديدة الخاصة بتاريخها وأحداثها وأهم مواردها .

بجانب العديد من المؤلفات الأندلسية ونذكر منها بالأخص مؤلفات الوزير لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) وخاصة كتاب «أعمال الأعلام أو تاريخ أسبانيا الإسلامية»[٣] يتناول فى جزء منها تاريخ الممالك المسيحية منذ بدايتها فى عهد بلاى بجانب مؤلفاته الأخرى» اللمحة البدرية فى الدولة النصرية»[٤] وهو يتناول تاريخ مملكة غرناطة ، و«الإحاطة فى أخبار غرناطة»[٥].ومن المؤلفات الهامة أيضا «البيان المغرب فى أخبار المغرب»[٦] لابن عذارى المراكشى ، و«المعجب فى تلخيص أخبار المغرب»[٧] لعبد الواحد المراكشى .

بالإضافة إلى مؤلفات المقرى وأهمها المعجم الأدبى التاريخى «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»[٨]، أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض »[٩].

١- تحقيق أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٧١م .

٢- تحقيق بروفنسال ، القاهرة ، سنة ١٩٣٧م .

٣- تحقيق بروفنسال ، ق٢ ، جـ٢ ، بيروت سنة ١٩٥٦م .

٤- تحقيق محب الدين الخطيب ، ط٢ بيروت سنة ١٩٧٨م .

٥- تحقيق محمد عبدالله عنان، ٤ مجلدات ، دار المعارف ، سنة ١٩٥٥م .

٦- ج٢ ، أخبار الأندلس ، بيروت سنة ١٩٥٥ ك .

٧- تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .

٨- ٢٠ جزءا تحقيق أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ، سنة ١٩٣٦ م .

٩- تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة سنة ١٩٣٩ م .

ثالثا : المصادر الأسبانية :

من أهم المصادر الأسبانية التى اعتمدنا عليها «مدونة التاج الأراجونى "Cronica de la Corona de Aragon" والتى جمعها القديس لحورس الخادم الملكى، وهى منتخبة من مجموعة حوليات الملوك الأراجونيين وتتضمن تاريخ أسبانيا منذ عهد بلاى الذى تزعم حركة الكفاح ضد الفتح الإسلامى ، ثم انفردت بعد ذلك بتاريخ مملكة أراجون حتى اتحاد مملكتى قشتالة وأراجون واعتمدت على هذا المصدر كثيرا فى استعراض التاريخ السياسى لمملكة أراجون بجانب إشارة المدونة إلى الحملة الصليبية الأراجونية على الشام سنة ١٢٦٩م ويتناول تاريخ مملكة أراجون بصورة مبسطة ومركزة .

ومن المصادر المهمة أيضا التى اعتمدت عليها «حوليات ملك أراجون بدرو الثالث » "Chronicle of the reign king pedro III of Aragon" والذى وضعه المؤرخ "Bernat Desclot" وقد ترجم هذه الحوليات من لغتها الكتالونية القديمة إلى الإنجليزية Critchlow واعتمدت على هذا المصدر وخاصة فى أحداث غزو بدرو الثالث لمملكة صقلية وهذه الحولية تتضمن تاريخ بدرو الثالث والتركيز على سياسته الخارجية .

كما اعتمدت على «مدونة ملوك قشتالة لمجموعة المؤرخين الأسبان»[١] "Cronica de los Reyes de Castilla" الذى وضع من خلال مؤلفات مجموعة من المؤرخين الأسبان . واعتمدت عليه فى الفصل التاسع الذى يذكر احتفال الملك الفونسو العاشر بإحياء ذكرى أبيه ووصول سفارة السلطان المملوكى بيبرس أثناء الاحتفال ثم اعتمدنا عليه فى الأحداث والحروب الأهلية بين الفونسو العاشر وولده سانشو الرابع . وكذا مدونة ملوك قشتالة»[٢] Cronica de los Reyes de Castilla الذى كتبه جوفرى دى لاوسيا وهو يشمل تاريخ القديس فرديناند والفونسو العاشر[٣] وسانشو الرابع وفرديناند الرابع فى الفترة من سنة ١٢٤٨-١٣٠٥ ويتضح

١- Biblioteca de Autores ESpanoles, Madrid , 1953 .

٢- Edicion , Traduccion , introduccion y notas de Antonio Garcia Martines, Academia Alfonso X el Sabio, 1982 .

ترجمة إلى الأسبانية الحديثة وقدمه وكتب ملاحظاته أنطونيوجارثيا مارتينث .

٣- Loaysa, p. 79 .

أهمية هذا المصدر فى أن مؤلفه كان من حاشية بلاط الفونسو العاشر . وشاهد أحداث مملكة أراجون فى تلك الفترة ، واعتمدت عليه فى سياسة الفونسو العاشر الداخلية والخارجية .

أما تاريخ هرقل[1] L`Estoire de Eracles Emperor فقد اعتمدت عليه فى أخبار الحملة الصليبية الأراجونية على الشام بجانب مجموعة أخرى من المصادر الأسبانية والأوربية .

رابعا : المراجع الأسبانية والأوربية :

يأتى فى المرتبة الأولى مؤلف أنخلز ماسيا Angeles Masia,La Corona de Aragon y los Estados del notre de Africa ويشمل على سياسة خايم الثانى والفونسو الرابع مع دول شمال أفريقيا وما يخص مصر يتحدث عن السفارات المتبادلة بين مصر وأراجون ، ويتناول هذه السفارات بالدراسة دون ما الدخول إلى ما وراء هذه السفارات كدراسة طولية يتناول فيها كل سفارة مضمونها والرد عليها وينقصه الكثير من المعلومات التى تخص الجانب الشرقى .

أما مؤلف عزيز سوريال عطية عن مصر وأراجون Egypt and Aragon وفيه يتناول السفارات المتبادلة بين خايم الثانى والفونسو الرابع مع الناصر محمد بن قلاوون وأول سفارة والتى يذكرها فى سنة ١٣٠٠ فهى فى الواقع ليست بين أراجون ومصر ولكن قام بها أحد التجار انتحل صفة السفير لملك قشتالة .

ودراسته حول السفارات تتضمن مطالب ملك أراجون مع إيراد هذه المطالب باللغة الأصلية للخطاب المرسل إلى سلطان مصر ثم رد مصر على هذا الخطاب مع إيراد بعض الفقرات من الرسالة العربية مع بعض الملاحظات البسيطة التى تخص الرسائل دون التعمق فيما وراء هذه السفارات ، ولم يذكر رد سلطان مصر على سفارة سنة ١٣١٨ اعتمادا على عدم وجود نص هذه الرسالة فى كتاب الأركون «الوثائق العربية المحفوظة بأرشيف التاج الأراجوانى وقرر بأن الناصر لم يرد على هذه السفارة ، ولكن الناصر رد على هذه السفارة ويوجد نصها باللغة الكتالونية القديمة فى الأرشيف الأراجونى .

١- وهو منشور باللغة الفرنسية القديمة فى «مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية وهو مكمل لتاريخ وليم الصورى ولم يعرف مؤرخه وأطلق عليه تاريخ هرقل على أساس أن أول اسم هو تاريخ هرقل .

أنظر رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٨٠٢ -٨٠٣ .

ويوجد بحثان على جانب كبير من الأهمية لبدر مارتينث مونتابث الذى كان يشغل المستشار الثقافى الأسبانى بالقاهرة ومدير معهد الثقافة الأسبانى بالقاهرة وهو مستشرق متخصص فى الأدب ، وهذان البحثان ينقصهما الحس التاريخى لكن فى مجملهما بحثان جيدان أولهما «العلاقات بين الفونسو العاشر ملك قشتالة والسلطان المملوكى بيبرس وخلفائه» Relaciones de Alfonso X de Castilla con el Sultan Mameluco Baybars y sus Sucesores"[1] وفيه يذكر مونتابث السفارات التى حضرت من مملكة قشتالة والسفارات التى أرسلها السلطان بيبرس دون بحث ما وراء هذه السفارات أو البحث فى الدوافع الحقيقية لهذه العلاقات ونجد مثلا أنه فى السفارة التى قامت من السلطان بيبرس فى سنة ١٢٦١ إلى قشتالة ووصلت فى أثناء احتفاله بإحياء ذكرى أبيه فرديناند القديس يذكر فى عشر صفحات كاملة هل هذا السلطان الذى أرسل السفارة هو بيبرس أم قطز مع أنها من البديهات لدارسى التاريخ المملوكى فى أنه بيبرس ثم يذكر معلومات لاتتعدى كونها ملاحظات يسيرة وفى مكان آخر يذكر العديد من الصفحات حول التحقق من شخصية السفراء دون الدخول فى صميم هذه العلاقات وهذه النصوص التى اعتمد عليها مأخوذة عن المصادر المملوكية ولم يأت من المصادر الغربية إلا ما يخص سفارة سنة ١٢٦١ .

وهناك بحث اعتمدت عليه كثيرا وهو «العلاقات القشتالية المملوكية سنة ١٢٨٣-١٣٨٢»[2] Relaciones Castellano - Mamelucos , 1283 - 1382 وهو بحث مكمل للبحث السابق وإن كان قد كتب هذا البحث قبله وفيه يذكر المعلومات التى وردت عن مملكة قشتالة فى كتاب العمرى «التعريف بالمصطلح الشريف» وذكر النص الكامل لأحداث الحرب الأهلية بين الفونسو العاشر وولده سانشو الرابع والذى أورده ابن عبد الظاهر فى «تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور» [3]، واعتمدت عليه فى العلاقات التجارية بين قشتالة وسلطنة المماليك وخاصة تجارة زيت الزيتون .

١- Al- Andalus, vol XXVII , Madrid 1982 .

مجلة الأندلس ، العدد السابع والعشرونت ، سنة ١٩٦٢م .

٢- de Hispanio 1963 , Num , XcII .

٣- ص ١١٢-١١٤ .

إلى جانب مجموعة من الدراسات التى تتناول التاريخ الأسبانى أو موضوعات تخص نواحى التاريخ الأسبانى ومن أهمها مؤلفات مارتين Martin, La " Historia de Espana " و "Peninsula en la Eded Media" وأيضا هيلجارز الملوك الأسبانى Los Reinos Hispanicos بجانب العديد من المؤلفات الأسبانية والأوربية الأخرى والتى تختص بتاريخ الممالك الأسبانية.

خامسا: المراجع العربية :

فهى كثيرة ومتعددة ومنها ما يتناول تاريخ سلطنة المماليك مثل «العصر المماليكى فى مصر والشام» لسعيد عاشور ودولة بنى قلاوون ، والظاهر بيبرس لمحمد جمال الدين سرور أو ما يخص الحروب الصليبية .

أما تاريخ الأندلس فيوجد العديد منها «نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين » لعبد الله عنان ، وكتب أخرى عديدة .

الفصل الأول

التطورات السياسية لدى كل من مملكتى قشتالة وأراجون وسلطنة المماليك فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى

١- نشأة مملكتى قشتالة وأراجون وتطورهما .

٢- ازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط .

٣- خايم الثانى ملك أراجون وسياسته الخارجية .

أ- خايم الثانى ومشكلة صقلية . ب- حملة الكتيلان على الشرق ١٣٠٢-١٣١٢م .

جـ- سياسته الخارجية مع قشتالة . د- حملة خايم الثانى على سردينيا وكورسيكا .

هـ- الزواج السياسى .

٤- قشتالة فى عهد الفونسو العاشر .

أ- الفونسو العاشر ومنصب الإمبراطور . ب- سياسته الداخلية .

جـ- ثورة النبلاء . د- سياسته الخارجية مع المسلمين فى مملكة غرناطة .

هـ- الفونسو العاشر ونشاطه العلمى.

٥- قشتالة بعد عهد الفونسو العاشر .

أ- سانشو الرابع (١٢٨٤-١٢٩٥م) . ب- فرديناند الرابع (١٢٩٥-١٣١٢م) .

جـ- الفونسو الحادى عشر (١٣١٢-١٣٥٠م) .

٦- أوضاع سلطنة المماليك فى مصر والشام وأثرها على علاقاتها بكل من مملكتى قشتالة وأراجون .

نشأة مملكتى قشتالة وأراجون وتطورهما

ارتبطت نشأة مملكتى قشتالة وأراجون وتطورهما بحركة الاسترداد "La Re-conquista"[1] فى أسبانيا ، فكلما زادت وانتعشت هذه الحركة نمت وتطورت قشتالة وأراجون .

١- والواقع لكى نتتبع نشأة هاتين المملكتين حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى فإننا نتتبع نشأتهما فى اشارات سريعة موجزة .

٢- حرب الاسترداد كانت فى مفهومها الخاص الحرب التى بدأت منذ بداية الفتح الإسلامى سنة ٧١١م=

أشارت المصادر العربية إلى وصول الفتوحات الإسلامية [١] إلى أرض جليقية [٢] "Galicia" [٣]فى سنة ٧١٣م / ٩٣هـ ، حيث استولى الجيش الإسلامى على مدينة لك[٤] "Lugo"[٥]، وأوغل فى الجبال الصخرية المفضية إلى سواحل كنتبرية "Cantabria" وأشرف على خيخون Gijon على خليج بسكاية [٦] ولم يترك إلا منطقة صخرية قاحلة تسمى بالصخرة[٧]

= حتى سقوط غرناطة سنة١٤٩٢م والتى استمرت زهاء ثمانية قرون استعاد فيها الأسبان الأراضى التى فقدوها . Martin : J . L , La peninsula en Edad Media, p. 229 .

أما فى مفهومها العام، فالأسبان يعتبرون تطوراتها ، الحلقات الرئيسية لسلسلة تاريخهم القومى الذى يبدأ ببضعة قرون قبل المسيح حينما هبط الفينيقيون شبه الجزيرة الايبيرية ويتصل أثناء العصور الإغريقية والرومانية والقوطية النصرانية ويستمر خلال الفترة الإسلامية متمثلا فى هذه الدويلات التى نشأت فى الشمال وأخذت تتسع حتى قضت على دول الإسلام فى البلاد واعادتها نصرانية كما كانت .

حسين مؤنس : فجر الأندلس . القاهرة سنة ١٩٥٩م ، ص٣١٠ .

١- بدأت هذه الفتوحات منذ عبور طارق بن زياد إلى أسبانيا فى سنة ٧١١م ٩٢هـ واستمرت فى شبه الجزيرة حتى عودة موسى بن نصير من شمال أسبانيا فى سنة ٩٥هـ سنة ٧١٤م وسفره إلى الشام.

٢- هى فى الركن الشمالى الغربى من شبه الجزيرة الايبيرية .

أنظر الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، القاهرة سنة ١٩٣٧، ص٦٦ / المقرى : نفح الطيب ، ج٢ القاهرة سنة ١٩٣٦ ، ص٢٢٩ .

٣- ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، مدريد سنة ١٩٧١ ، ص٤٩ / أخبار مجموعة بيروت سنة ١٩٨١، ص٣٤ / ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، بيروت سنة ١٩٥٠ ، ص٤٠ / المقرى : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٢٢٩ .

٤- هى مدينة فى شمال غرب أسبانيا فى منطقة جليقية وأسمها القديم Locus Augusti أنظر هامش ٢ ص١٥١ فى وصف الأندلس لابن الشباط وأيضا الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٦٩ تحت اسم «لك» .

٥- المقرى : نفح الطيب ، ج٢ ، ص٢٢٩ ، عبد الرحمن الحجى : تاريخ الأندلس ، ص١٠٩ .

٦- ابن الكردبوس، نفس المصدر ، ص٤٩ ؛ أخبار مجموعة ، ص٣٤ ابن عذارى البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤١ المقرى ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص٢٢٩ ؛ وأنظر أيضا حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتوريس وقيام حركة المقاومة النصرانية فى شمال أسبانيا ، مجلة كلية الآداب - القاهرة ، مايو سنة ١٩٤٩، ص١ .

٧- تسميها المراجع العربية فى الغالب «الصخرة» اختصارا وقد ترجمها لافونيتى أى الكاترا El-Roco مجاراة للمسلمين فى تسميتهم وهم يجعلونها فى جليقية خطأ ، مع أنها فى كنتبرية ، وهى أقصى قمم =

والتى فر إليها بلاى (بلايو) "Pelayo" [1] مع ثلاثمائة من أتباعه أمام الزحف الإسلامى[2].

استقرت هذه الجماعة[3] للحياة فى هذه المنطقة ، وأخذت تتحين الفرص المواتية للتوسع فيما يليها رويدا رويدا[4]، وكان ذلك بداية لحركة الاسترداد [5]. من وجهة نظر المؤرخين الأسبان .

ومع بداية هذه الحركة أحرز بلاى انتصارا فى مناوشة مع المسلمين فى كهف كوفادونجا "Covadonga"[6]، وبالغت الروايات المسيحية فى وصف الانتصار الذى أحرزه ، واعتبروه بداية

= كنتبرية ارتفاعا وأبعدها إلى الشمال ، وهى الناحية التى تحصن بها بلاى ومن معه، وقد وصفها الكونت سان سو بقوله «كتلة هائلة من صخر الجبل يتبين الإنسان فيها ثلاث قمم : قمة إلى الشرق تسمى «اندارا» وثانية وسطى تسمى "Bulnes" وثالثة غربية تسمى قمة كوفا دونجا ويبلغ متوسط ارتفاع الصخرة ٢٦٠٠ متر».

أنظر حاشية رقم٢، ص٥ فى بلاى وميلاد اشتريس لحسين مؤنس أخبار مجموعة ، ص٣٤ / المقرى : نفح الطيب ، ج٢ ، ص٢٢٩ .

Huici, M . Anales Complutenses, C . L . R , T2 , Valencia 1913 . p. 47 .

١- تولى زعامة المسيحيين الفارين أمام الجيش الإسلامى وقد اختلفت المصادر فى جنسيته وذهبت فى ذلك مذاهب شتى ولمزيد من التفاصيل انظر : حسين مؤنس : بلاى ، ص٦-٩ .

٢- Cronica de la Corona de Aragon , p. 1 .

أخبار مجموعة : ص٣٤ / ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٤١ / القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٢٦٣ .

٣- أشارت المصادر الإسلامية إلى هذه الجماعة وأطلقت عليهم الجلالقة نسبة إلى المنطقة التى لجأوا إليها، وقد ذكر المسعودى عنهم والأفرنجة أشد هؤلاء الأجناس بأسا وأمنعهم وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهن وأكثر طاعة ، أما الجلالقة ، أشد من الإفرنجة وأعظم منهم نكاية والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجة وأعظم منهم نكاية والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجة المسعودى: مروج الذهب، ج١، ط سنة ١٩٦٦، ص٣٠٧ ، أنظر أيضا : نهاية الأرب ، ج١٥ ص٢٨٥-٢٨٦ .

٤- حسين مؤنس : بلاى ، ص١ .

٥- Cronica de la Corona de Aragon , p. 1 .

٦- تسمى أيضا بمغارة القديسة مارية وهى تقع فى منطقة الصخرة . أنظر: حسين مؤنس: بلاى، ص٩-١٠ .

حقيقية لانتصارات الأسبان[١]- غير أننا نرى أن هذه الموقعة لم تكن بذات الأهمية التى صورتها الروايات المسيحية - وعلى الرغم من هذه الجماعة كانت عاجزة عن العمل المؤثر ضد المسلمين ، إلا أنها كونت مركزا للمقاومة فى تلك المنطقة فى المستقبل [٢]. فاستغلت ماحدث من نزاع بين العرب والبربر[٣] القاطنين فى نواحى أشتوريس "Asturias" وكنتبرية وجليقية ، ونتيجة لهذا النزاع فضلا عن حدوث المجاعات[٤] ، ترك البربر هذه المناطق مما أعطى الفرصة لهذه الجماعة التى نمت وتطورت واستولت عليها تحت قيادة ملكهم الفونسو الأول (٧٣٩-٧٥٧م) [٥]، وتدرجوا فى التوسع حتى أنه بلغ ما استولوا عليه قبل قدوم عبدالرحمن الداخل مايعادل ربع شبه الجزيرة الأيبيرية [٦].

١- على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٧٢ ، ص٤١٧ .

٢- نفس المرجع السابق .

٣- قيل إنها كانت امتداد لثورة البربر فى إفريقية على العرب، وقيل أيضا إنها اندلعت لأن عرب الأندلس اختصوا أنفسهم بأحسن الأراضى تاركين للبربر أسواها: «أى المناطق الجبلية القاحلة»، وقيل سبب ثالث أن بعض العرب الذين استقروا فى نواحى الأندلس تمسكوا بعصبيتهم ، وتعالوا على غيرهم ظنا منهم أن الدولة دولتهم ، والمهم أن العرب قد قاموا بردع هذه الثورة ومطاردة البرب مما دفعهم إلى العبور إلي افريقية .

حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ، ص٢٤٤ -٢٤٥ .

٤- كانت هذه المجاعات نتيجة للحروب الشديدة بين العرب فيما بين بعضهم البعض وبينهم وبين البربر، فازدادت الهجرة إلى افريقية وقل عدد المسلمين فى شبه الجزيرة عما كان . حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٤٨ وأنظر المصادر التالية اختبار مجموعة ، ص٦١ / المقرى : نفح الطيب ، ج٢، ص١٣٧؛ نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوربا ، جـ١ ، القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص٤٢٦ .

٥- كان زوجا لابنة بلاى حيث أن فافيلا بن بلاى لم يخلف وريثا ولذلك أولى الملك بعده صهرا له من بيته وأرضه واسمه دون الفنس بن الدوق دون بطره من أهل قانطابرية «كنتبرية» .

ابن الخطيب : أعمال الأعلام وتاريخ أسبانيا الإسلامية ، بيروت سنة ١٩٥٦ ، ص٣٢٣ / حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٣٤٤ .

وأنظر أيضا المصادر والمراجع الأوربية .

Cronica- geral de Espanha de 1344 , vol 2 (N . D) , pp . 390-392 CF . also : Urbel, j . p, Reconquista y Repoblacion de Castilla y Leon, Zaragoza 1951 , pp. 127-128 ' Sousa, A. S, Historia de Portugal, Barcelona 1929 , p. 21 .-

٦- حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٣٥٠ .

أما عن بداية نواة مملكة أراجون ونشأتها ، ففى الشمال الشرقى وبالتحديد على حدود جبال البرانس كانت توجد منطقة جبال البرينية "Prenean"»[١] وهى مكونة من مقاطعتى سوبراب "Sobrabe" وريباجورث "Ribagorza" الأولى كان بها قوات إسلامية قليلة والأخيرة وهى أكثر بعدا وكانت تدفع الجزية للمسلمين [٢]، والمنطقة منعزلة فقيرة فى مواردها[٣]، وقد تطورت منذ منتصف القرن الثامن الميلادى ، فنشأت بها بعض القرى المحصنة وشيدت حولها أسوار للدفاع عنها ، وأخذ الفلاحون يدخلون فى حماية السيد الإقطاعى الذى كان شبيها بالقائد العسكرى للدفاع عن أنفسهم[٤]. ويتضح مما سبق أن مملكة أراجون بدأت امارة صغيرة على منطقة جبال البرينية تخضع لسيطرة المسلمين .

ولما قامت الإمارة الأموية فى الأندلس (٧٥٥م/ ١٣٨هـ) على يد عبد الرحمن ابن معاوية، لم تكن ذات خطر بالغ على البقايا المسيحية فى منطقتى جليقية وجبال البرينية لأن عبد الرحمن الداخل مؤسس الإمارة كان منهمكا طيلة حكمه (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) فى محاربة خصومه ومنافسيه وتثبيت أركانه فلم يوجه نظره إلى هذه البقايا المسيحية [٥]. مما دفع تلك البقايا بتحقيق انتصارات عديدة تمثلت فى الاستيلاء على العديد من المدن الإسلامية .

أما عن منطقة كتالونيا وبداية ظهورها نتيجة لغزو شارلمان لشمال الأندلس سنة ٧٧٨م / ١٦١م) فقد استولى على بعض المناطق والمدن الهامة أهمها مدن خيرونا وجاردونا وأرخل

١- تسمى أيضا جبال البرينيه " Pyrenees" أو " Prenean" فى الجغرافية العربية بجبال ألبرت أو البرتات بالاشتقاق من كلمة Puertos أى الأبواب ، ومن ثم فقد سميت أيضا بجبال الأبواب، ويشار إليها أحيانا بأنها «الجبل الحاجز بين الأندلس وبين بلاد افرنجة العظمى » أو جبل البرت الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة أو يقال لها «الحاجز» (راجع وصف الأندلس للادريسى : نفح الطيب (مصر) ج١، ص٦٤ ، ٦٥ -٦٦ ومعجم ياقوت (مصر) تحت كلمة (اندلس) .

أنظر هامش ٢ ، ص١٠ فى تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ليوسف أشباخ ، القاهرة ، سنة ١٩٤٠ .

٢- Payne: (S) : A history of Spain and Portugal, vol . 1 , wisconsin press, 1943 , p. 88 .

٣- Ibid .,

٤- Ibid , p. 89 .

٥- نور الدين حاطوم : نفس المرجع ، ص٤٢٥ .

وأوزنة [١]، ثم مالبث أن ضم إليها برشلونة (٨٠١م / ١٨٥هـ)[٢] بعد أن استسلمت لحصار الجيش الفرنسى لها [٣]، فأصبحت هذه المنطقة امتدادا فرنسيا أطلق عليه العرب والأسبان فى آن واحد «الفرنجة» لا «الكتالونيين» ، فلم يكن هذا القسم ضمن بقية شبه الجزيرة الايبيرية[٤].

عندما قامت الخلافة الأموية بالأندلس على يد عبد الرحمن الناصر فى سنة ٩٢٩م:٣١٦هـ، أخذت العلاقة بين المسلمين والأسبانيين تتطور وتأخذ شكلا مغايرا فكانوا يدفعون الجزية للمسلمين ويعلنون التبعية لهم، وفى نفس الوقت كانوا يقاومون الغارات الإسلامية التى توجه إلى حدودهم وأملاكهم وكان من نتيجة ذلك أن حدود الدولة الأموية كانت تتغير من آن لآخر حسب نتيجة الحروب الدائرة على الحدود ، ومن خلال ذلك كانت الإمارات المسيحية تسير فى تطورها سيرا بطيئا ، لأن أحداث الحروب على الحدود أثرت على تطورها خاصة وأن الضغط الأموى كان عليها شديدا .

١- هى مدن تقع فى الشمال الشرقى لشبه الجزيرة الايبيرية بين مدينة برشلونة والحدود الأسبانية الفرنسية وهى تمثل مدن اقليم كتالونيا .

٢- فى مطلع القرن التاسع الميلادى (سنة ٨٠١م / ١٨٥هـ) بدأ شارلمان مشروعه الكبير فى أسبانيا بأن بعث بجيش كبير للاستيلاء على برشلونة تحت قيادة ابنه لويس أمير أكويتين ، وانقسم هذا الجيش إلى قسمين، قسم تحت قيادة حاكم جيرونة وكانت مهمته أن يتقدم لمحاصرة برشلونة ذاتها ، والقسم الثانى تحت قيادة جيوم كونت تولوز ، وكانت مهمته أن يرابط جنوب غرب برشلونة بين لاردة وطركونة لمنع وصول أى مدد إلى برشلونة أثناء حصارها .

محمد محمد مرسى الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين فى الأندلس ، ص١٦٩ .

A ntonio de la torre : La Reconquista en el Pirineo, la Reconquista Española, la Repoblacion del pais, Zaragoza 1951 , pp. 18-20 .

٣- ابن خلدون : العبر ، ج٤ بيروت سنة ١٩٧٩ ، ص١٨٤ / ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٦ ، بيروت سنة ١٩٦٥ ، ص١٦٩ / عبد الرحمن الحجى : تاريخ الأندلس ، ص٢٤٨ / سعيد عاشور : أوروبا ، ج١ ، ص١٩١ / نور الدين حاطوم : العصر الوسيط ، ج١ ، ص٤٢٦ .

٤- كاسترو ا : حضارة الإسلام فى الأندلس ، ص٧٦ .

بدأت حركة الاسترداد بعد سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس وقيام دول الطوائف تأخذ شكلا أكثر وضوحا وخير توضيح لذلك ما أورده ابن الكردبوس [١]، عن تلك الفترة بقوله :

«وعند ذلك انقطع اسم الخلافة من الجزيرة ، ودارت الدوائر المبيرة، وفسد حال الرائس والمرؤس وارتفع كل خامل وخسيس ، وثار الثوار ، واشتعلت بكل مكان النار وظهر العدو غاية الظهور، ولاسيما على الأطراف والثغور»

ومما أدى إلى نشاط حركة الاسترداد أنها كانت تقوم على مساعدات خارجية من الدول المسيحية المجاورة وخاصة فرنسا ، التى دعت البابوية نبلاءها[٢] إلى إرسال حملات ضد مسلمى أسبانيا لطردهم منها [٣]. وحذا حذو فرنسا كثير من الدول المسيحية المجاورة مما ترتب على ذلك أن حركة الاسترداد شملت كل أوروبا فى تلك الفترة مما أشعل نار الثورة داخل أسبانيا ضد المسلمين .

كانت الممالك الأسبانية قد اتحدت فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى تحت سلطان ملك قوى هو سانشو الكبير (شانجه) ملك نافار «بلاد البشكنس» وأصبحت المملكة المسيحية المتحدة تمتد من جبال البرنيه شرقا إلى شانت ياقب غربا ، ومن خليج بسكونيه (بسكاى) شمالا إلى نهر دويرة جنوبا[٤] وأدى ذلك إلى تماسك العناصر المسيحية واتحادها وانخراطها فى حركة الاسترداد ضد المسلمين ، ثم تدهورت هذه الوحدة عند وفاة سانشو الكبير سنة ١٠٣٥م ، إذ قسمت المملكة بين أبنائه على النحو التالى :

١- تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، ص٦٨ .

٢- فالكنيسة كانت لها محاولات يائسة لإنقاص الحرب الإقطاعية بوسائل منها سلام الله وهدنة الله وإيجاد تنفيس لهذه الطاقة فى أسبانيا ومحاولة لطرد المسلمين منها .

Painter : S, A history of the Middle Ages, New York, 1954, p. 139 .

٣- Ibid , Lomax, D . W, La Reconquista, Barcelona 1984 , p. 81 .

٤- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس ، ص١٠-١١ / محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، القاهرة ، سنة ١٩٤٩ ، ص٦٠ .

١- دون غارثيا (جارثيا) Garcia نافار .

٢- دون فرديناند Fernando قشتالة .

٣- دون جونثالو Gonzalo اقطاعيات سوبر اب وريباجورث .

٤- دون راميرو Ramiro أراجون [١].

وهذا الأخير كان ابنا غير شرعى لسانشو الذى تلقب بلقب الملك راميرو الأول (١٠٣٥-١٠٦٣م) [٢]، وعندما ورثها فى سنة ١٠٣٥ كانت ولاية غير هامة وصغيرة فى مستهل بدايتها [٣]، والتى تكونت من الأراضى المستردة من المسلمين جنوب جبال البرنيه . لكن مالبث أن ضم إليها إقليمى سوبراب وريباجورث بعد وفاة أخيه دون جونثالو[٤]، وبذلك تكونت مملكة أراجون يحدها من الشمال جبال البرانس وحدود فرنسا ومن الشرق إمارة برشلونة (كتالونيا) ومن الغرب مملكة نافار ومن الجنوب دول الطوائف .

وفى الشرق كانت تقوم على شاطئ البحر إمارة كتالونيا المستقلة ويحكمها آل برنجار [٥]-

---

١- Cronica de la Corona de Aragon, p. 5 ; Carlos Principe de Viana , cronica de los Reyes de Navarra, Valencia 1971 , pp. 58-61 ; Zurita, J . Anales de la Corona de Aragon , Ti, Zaragoza 1976, pp. 52-60 .

٢- Payne : op . cit., p. 89 .

٣- Chapman : (C. E.) , A history of Spain , New York, 1931, p. 78 .

٤- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس ، ص١٣ .

Patricio Prieto y llovera , Politica Aragonesa en A frica, Madrid 1952 , p. 12 .

٥- كان يحكم كتالونيا الكونت ريموند برنجار المسمى بريموند الكبير (١٠٣٥-١٠٧٦م)، ولم يظهر الكونت فقط كأحد حماة النصرانية يقاتل المسلمين بشجاعة ، وينتزع منهم الأراضى الواقعة على الضفة اليمنى لنهر «لوبرجات» ويفرض الجزية على صغار أمرائهم المجاورين له ، ولكنه استطاع أيضا أن يزيد فى قوة أمارته وذلك بأن ضم إلى برشلونة ولاية اورخل مرة أخرى، ثم ضم إليها ولاية قرقشونة الواقعة فى الناحية الأخرى من البرنيه ، وذلك بشرائها من ابنتى صاحبها الكونت روجر الثالث سنة ١٠٦٧ ولم يكن ضم هذا الجزء الهام من أراضى لانجدوك إلى كتالونيا فقط ممهدا الطريق لمغانم أعظم ، ولكنه أسفر بالأخص عن نتيجة كانت فيما بعد ذات أهمية خاصة وهى إعادة الصلة بين فرنسا وكتالونيا ، بعد أن انقطعت من بينهما منذ استقلال كتالونيا ، وتهيئة السبيل بذلك لنزوح الفرسان الفرنسيين الذين لقوا محاربة المسلمين مطمح =

وكانت خاضعة للسيطرة الفرنسية سياسيا- وهى جزء من الحدود الأسبانية وإن كانت مرتبطة بجنوب فرنسا[١].

وسرعان ماوحد فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥م) [٢]، ابن سانشو الكبير ممتلكات أبيه وبدأ يسير على خطة والده فى التوسع على حساب الأراضى الإسلامية وخطا بذلك خطوة كبيرة فى حركة الاسترداد [٣].

بدأت تظهر المساعدات الأوربية بشكل حاسم بعد عودة البابا اسكندر الثانى (١٠٦١-١٠٧٣م) إلى الحرب المقدسة فى أسبانيا ، ووجه دعوته فى سنة ١٠٦٣ للسلطات الأوربية لتشكيل فرق عسكرية لمناهضة المسلمين فى سائر أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية[٤] بمعنى أنه بدأ بذلك تكوين جيوش مسيحية من سائر أوربا لمعاونة إخوانهم المسيحيين فى أسبانيا لطرد المسلمين من بلادهم ، ورغم ذلك فإن الممالك المسيحية الأسبانية لم تستطع الاتحاد ضد

= مثلهم الخيالية، والذين هرعوا فى سريات كبيرة لمساعدة أمراء أسبانيا النصارى فى حروبهم ضد المسلمين وعاونوهم على تحقيق أعظم الفتوحات) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس، ص٢٨ .

١- Painter : op . cit ., p. 196 .

٢- كان فرديناند الأول من أعظم ملوك أسبانيا ، وقد ظفر فى جميع الحروب التى خاضها وأرغم أمراء طليطلة واشبيليه وبطليوس على الخضوع ودفع الجزية ولم يكن فى حروبه مع ملوك ليون ونافار وأراجون ظافرا فقط ، ولكن الحظ حالفه حتى قتل الثلاثة فى الحروب التى خسروها واستأثر هو وحده باجتناء ثمرات النصر أشباخ : تاريخ الأندلس ، ص٢٢ .

Chapman, C , A history of Spain, New York 1931 , p, 71 ; cam . Med . Hist . vol VI , p. 395 .

٣- يوجد مصدر للراهب سيلنس يتحدث بالتفصيل عن كل حروب وأعمال الملك فرديناند الثانى .

Huici, M , El Cronicon del Monje Silense, C. L . R ., T 2 , valencia 1913 , p 129 ; Sandoval, F . p, Historia de los Reyes de Castilla y de leon , pampelona 1 , 34 , p. 4 .

محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ص٢١ .

٤- عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، بيروت سنة ١٩٦٩ ، ص١٣ . سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ، ص٥٢٩ .

المسلمين فى أية مرحلة من مراحل حرب الاسترداد التى اشتد أوارها منذ أوائل القرن الحادى عشر الميلادى[١]، وإن كانت تتماسك فى الوقت الذى يقوم فيه المسلمون بغاراتهم الثغرية .

ففى سنة ١٠٦٥م توفى فرديناند الأول وتولى عرش قشتالة ابنه سانشو الثانى، الذى حكم من (١٠٦٥-١٠٧٢م) ثم تولى بعده أخوه الفونسو السادس (١٠٦٥-١١٠٩م) ملك ليون وقشتالة والذى حقق انتصارات عديدة على المسلمين .

وكان هذا التطور السياسى بداية لمرحلة جديدة فى الحركة الاستردادية لبلاد الأندلس ، مهد فيه المسلمون لألفونسو السادس أن يجعل هدفه الرئيسى طرد المسلمين ، وبدأت تتضح حركة الاسترداد التى كانت من أهم سمات السياسة الأسبانية ، فقد تم فى عهده الاستيلاء على مدنية طليطلة سنة ١٠٨٥ مستغلا الأوضاع الداخلية للمسلمين ، والتى تفككت بعد سقوط الخلافة وقيام دول الطوائف [٢].

كان استيلاء الفونسو السادس ملك ليون وقشتالة على مدينة طليطلة[٣] من أهم التطورات السياسية والحربية فى التاريخ الأسبانى فى العصور الوسطى، فقد كان هذا تتويجا للجهود

١- فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ق٢ ، ص٣٩ .

٢- خير توضيح لذلك ما ذكره ابن الكردبوس «وصادف أيام ملكه نفاقا كثيرا بين المسلمين واختلافا عظيما وضعف بعضهم عن بعض إلا بمعونة الروم فبذلوا للفنش ما يحبه من الأموال ليعينهم على مناوئهم بانجاد الرجال واللعين فى أثناء ذلك لما بينهم من الفتنة مسرور ، وهم مع ذلك مشتغلون بشرب الخمور واقتناء القيان وركوب المعاصى وسماع العيدان وكل واحد منهم يتنافس فى شراء الذخائر الملوكية متى طرأت من الشرق ، كى يوجهها إلى الفنش هدية ليتقرب بها إليه ويحظى دون مطالبة لديه إلى أن ضعف من أولئك الثوار الطالب والمطلوب وذل الرئيس والمرؤس وافتقرت الرعية وفسدت أحوال الجميع بالكلية وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية وأذعن من بقى منهم خارج الذمة إلى أداء الجزية وصار لألفنش عمالا يجبون له الأموال لايخالف أمره أحد ولايتجاوز له أحد «ابن الكردبوس»، ص٧٧ .

٣- وكانت أسبانيا بجانب العامل الوطنى ومساعدة العامل الجغرافى تلتهب بالحماس الروحى نتيجة اليقظة الدينية العامة فى أوربا ، ولاسيما وقد دخلها مسيحيون متحمسون من فرنسا وألمانيا وايطاليا خدموا فى جيش الفونسو السادس ملل قشتالة وكان لهؤلاء الفرسان المسيحيين أثر فى سقوط طليطلة عام ١٠٨٥ .

Rodrigo, Jimenez de Rada, Historia de Los hechos de España Madrid 1989 ; pp. 247-248 ; Huici, A. M ., Cronicon del Cerratense, C . L. R . T 1 valencia 1913 , p. 93 . =

المضنية التى بذلت فى حركة الاسترداد المسيحية فى القرن الحادى عشر[1]، وكان لها أعمق الأثر فى ميزان القوى المتصارعة فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، فقد بدأت بعدها تتضح صورة السيطرة الأسبانية على مجريات الأمور العسكرية والسياسية ، ويعتبر سقوط هذه المدينة بداية لتطور جديد فى الصراع العسكرى والسياسى فى تلك الفترة ، ونتيجة لذلك بدأ المسلمون ينادون القوى الإسلامية المجاورة على الشاطئ الشمالى للمغرب كى تهنض لانقاذهم مما هم فيه، واستصرخوا أمير المرابطين[2] ، يوسف بن تاشفين وبذلوا له يمين الولاء والطاعة [3]، فأجاب ابن تاشفين نداءهم واستعد لذلك الأمر بفتح سبته وطنجة ، ليس حبا فى التوسع والفتح فحسب بل ليمكن دولته الناشئة من أن تتخذ قواعد لأسطولها الناشئ الذى سوف تسخره لمناهضة القوى المسيحية فى البحر ، وحماية القوات المرابطية حين تعبر إلى الأندلس مجاهدة فى سبيل الله[4]، وإلى جانب الاستعداد الإسلامى كان يقابله استعداد القوى النصرانية والتى بدأ الفونسو السادس يستنفرها ودوت أصوات الاستغاثة والاستنجاد فى أرجاء أوربا[5]،

= وقد أشار الأمير عبد الله بن باديس المعاصر لتلك الأحداث بقوله (وأخذه لطليطلة وقلعة رفقه بعدما كان يقنع منا بالجزية وصار يروم أخذ القواعد وأن أخذه لطليطلة للضعف المتوالى عليها تماما، مذكرات الأمير عبدالله ، ص١٨ وتحقيق ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٥٥، ص١٠١؛ ابراهيم على طرخان ، المسلمون فى أوربا، القاهرة ١٩٦٦م، ص٢٦٨ .

١- ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، القاهرة ، سنة ١٩٥٦، ص١٢٠ .

٢- Imperial: C.M.) Relaciones diplomaticas Mallorca , Barcelona, 1904 , p. 14 .

٣- ابن الكردبوس : ص٨٩-٩٠ . السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج١ ، القاهرة ، سنة ١٣١٢هـ ص١٠١ / يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس، ص٧٨ / حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين فى المغرب ، ص٢٦١-٢٦٨ .

٤- حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص٢٦٤ .

٥- أشارت مدونتى القوط ولوزيتانيا إلى اشتراك الفرنسيين وحضور فرق عسكرية وخاصة من ولايات فرنسا الجنوبية لانجدول وجويانه وبرجنديا وبروفانس للاشتراك فى تلك الموقعة المنتظرة .

Cronica dos Godos , A Pendice Brandao, Cronica de Conde D. Henrique Da. Tresa E Infante D. Alfonso , Porto 1944 , p 265 ; Chronicon Lusitano , E . S ., T 14 .

Madrid 1905 , p 405 ; CF . also David, p. Etudes Historques Sur la Galica et le Portugal du VI au XII Seicle, Paris 1947 , p. 384 ; Defourneaux , M, les Francias en Espagne aux XI et XII Siecles Paris 1949 , p. 143 .

فحشدت قوات عظيمة من جليقية وايون وبسكونيا واشتوريس وقشتالة [١].

والتقى جيش المرابطين مع الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة [٢]، سنة ١٠٨٦م، ٤٧٩هـ، وأحرز المرابطون نصرا كبيرا على جيوش الفونسو وفقد معظم قواته ، وكان لهذا الانتصار أثر بالغ الأهمية بالنسبة للمسلمين [٣]. وإن كانت مملكتى قشتالة وأراجون لم تستسلم بل نجدهم يطلبون المساعدات من كل مسيحى غرب أوربا وبدأت حركة الاسترداد تدخل اطار جديد .

وبالنسبة لمملكة أراجون فقد تولى بعد الملك راميروا الأول سانشو الأول (١٠٦٣-١٠٩٤م) وبدأ هذا الملك ينهج سياسة جديدة فى تطور الحرب بينهم وبين المسلمين ، تتمثل فى طلب المساعدة العسكرية من فرنسا وتوثيق علاقاته السياسية معها عن طريق الزواج السياسى بين أمراء مملكة أراجون والعائلات الإقطاعية فى الجنوب الفرنسى ليقوى مركز أراجون السياسى[٤]، وأراد بذلك كسب فرنسا ومساعدتها فى حربه ضد المسلمين .

ولما تولى العرش بدرو الأول (١٠٩٤- ١١٠٤م) وضحت هذه السياسة فقد حول الصراع بين المسيحية والإسلام فى شبه الجزيرة الأيبيرية إلى حرب صليبية ارتباطا بالحروب الصليبية فى الشرق مؤيدا بذلك من قبل الكنيسة ، إذ أن الباب باسكال الثانى (١٠٩٩-١١١٨م) أعلن الحرب الصليبية فى أسبانيا ضد المسلمين ومنع الأسبان من مرافقة الصليبيين إلى بيت المقدس حتى يتمكن من توحيدهم وتدريبهم ضد المسلمين فى الغرب الأوربى[٥]، وكان ذلك بداية لتطور جديد فى الحرب الإسلامية المسيحية فى شبه الجزيرة وبداية لظهور الحروب الصليبية فى أسبانيا ذاتها تحت رعاية الكنيسة وتأييدها وحمايتها .

١- السلاوى : الاستقصا ، ج١ ، ص١١٦ .

يوسف أشباخ ، ص٨٤ .

٢- ابن الكردبوس، ص٩٣ .

٣- ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ج٢ ، الرباط سنة ١٩٣٦ ، ص٦٠ / يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس ، ص٩١ .

٤- Payne: Op. cit ., v 1 , p. 89-90 .

٥- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس ، ص١٤٦ . حسين مؤنس : الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين ، مجلة كلية الآداب ، ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، ص١١١ .

تطورت مملكة أراجون تطورا كبيرا فى عهد الملك الفونسو الأول المحارب (El Ba-tallador) The Warrior, The Battler والذى يعتبر المؤسس الحقيقى لهذه المملكة (١١٠٤- ١١٣٤م)[1]؛ لما قام به من جهد فى تأسيسها وتنظيمها ووضع سياسة واضحة لها، ففى سنة ١١١٨ ضم لأراجون سرقسطة واتخذها عاصمة للملكته[2]، ثم واصل غزواته واستولى على طركونة Tarragona عاصمة أسبانيا الرومانية ، وواصل غزواته حتى استولى على الثغر كله [3]، وبذلك اتسعت أراجون ووضحت معالمها وغدت ذات كيان سياسى عسكرى متميز[4].

توفى الفونسو الأول بعد أيام قليلة من هزيمته أمام المرابطين فى موقعة افراغة سنة ١١٣٤ ٥٢٨هـ [5]بعد أن قام بدور كبير فى تثبيت شخصية أراجون السياسية والعسكرية وأصبحت بذلك ثانية ممالك أسبانيا المسيحية بعد قشتالة ، وتولى بعده أخوه راميرو الثانى Ramiro II (١١٣٤-١١٣٧م) ، والذى أنجب ابنته بترونيلا Petronilla ووريثة له وتم على يدها الاتحاد بين مملكة أراجون وكونتية كتالونيا سنة ١١٣٧م بزواجها من رامون بيرنجير Ramon Berenguer أمير برشلونة[6].

١- سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ، ص٥٣٥ .

٢- السلاوى : الاستقصا ، ج١ ص١٢٦ .

ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص١٨٢ .

Tout : M.A) The Empire and the Papacy London, 1924 , p. 470 ; Lacarra , J M , la Conquista de Zaragoza par A lfonso 1 , Al Andalus, vol XII , 1947 .

٣- حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص١٢١ .

٤- فقد ضم عقب وفاة حميه (الفونسو السادس) إلى مملكته الأصلية وهى أراجون ونافار (نبرة) ميراث زوجه أوراكا المشتمل على ممالك ليون وقشتالة واشتوريس وعلى إمارتين جديدتين ، تؤديان الجزية هما جليقية والبرتغال، يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس ، ص١٤٥ .

٥- ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق دكتور . محمود على مكى ، بيروت ١٩٩٠م ، ص٢٤٤-٢٤٨ .

Rodrigo , op. cit , p. 270 أشباخ ، نفس المرجع ج١ ، ص١٧٤ .

٦- Zurita, op . cit , pp. 193-194 ; Cronica de la Corone de Arogon, p , 2 . CF also Jokson , G , The Making of Medieval Spain, California 1970 , p. 118 .

ونتج عن هذا الزواج امتزاج بين مملكة أراجون وكونتية كتالونيا، وبذلك أصبحت قشتالة وجارتها الشرقية أراجون من أقوى الممالك النصرانية وأكثرها مساحة ، وكلتاهما تطمع فى التوسع وضم ما يليها من أراضى الممالك الصغرى ، فكانت أراجون تطمع بعد انضمام كتالونيا إليها إلى انتزاع ولايات نافار المجاورة لها ، وكانت قشتالة تطمع إلى ضم قرينتها وجارتها القديمة ليون وإلى انتزاع ما بقى من ولايات نافار المجاورة لها وهى ولايات البشكنس[1] ، وكان ذلك التنافس فى السيطرة على المناطق المجاورة من سمات الحياة السياسية والعسكرية داخل المملكتين النصرانيتين فى تلك الفترة .

أما بالنسبة لمملكة قشتالة فبعد وفاة الفونسو السادس الذى لم يترك وريثا ذكرا تولت العرش ابنته أوراكا التى كانت قد تزوجت من الفونسو الأول الأراجونى [2]، وقامت بينها وبين زوجها حرب أهلية من أجل السيطرة على حكم قشتالة استمرت فترة طويلة أنهكت قوى كل من المملكتين [3]، وانتهت الحرب بوفاة أوراكا فى سنة ١١٢٦ن وتولى العرش ابنها الفونسو ريموندیز (١١٢٦-١١٥٧م) ابن زوجها الأول ريموند البورجونى كونت جيلقية) ، وأصبح لقبه الفونسو السابع (الامبراطور) واستطاع أن يبسط على أسبانيا المسيحية حماية عامة ، على الرغم من أنه لم يحكم بالفعل سوى قشتالة وليون وجليقية [4].

١- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٦٢ .

٢- الفونسو الأول المحارب الأراجونى الذى حكم أراجون من (١١٠٤-١١٣٤) قد وضعه بعض المؤرخين أيضا فى سلسلة حكام قشتالة وأطلقوا عليه الفونسو السابع ولكن فى حقيقة الأمر أنه لم يستطع حكم قشتالة وحارب زوجته أوراكا الحاكمة على قشتالة والمؤيدة من قبل القشتاليين من أجل سيطرته على الحكم فى قشتالة ، واستمرت هذه الحرب طيلة حياة أوراكا ولذلك فالأرجح هو استخراجه من قائمة حكام قشتالة .

ولمزيد من التفاصيل عن هذا الملك أنظر مؤلف لاكارا عنه :

Lacarra, J . M , Alfonso El Batallador, Zaragoza1978 .

٣- Cronicas anonimas de Sahagun, Zaragoza 1987 , pp. 38-40 ; Rodrigo, op . cit , pp. 267-268 ; CF . also :Reilly , B. F , The Kingdom of Leon - Castilla under queen urraca 1109-1126 , un. press1982 p. 72-76 .

يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص١٥٨-١٦٨ .

٤- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٦٢ .

نتيجة لوضع المسلمين المتدهور فى الأندلس عبر الموحدون - الذين أقاموا دولتهم على أنقاض دولة المرابطين فى المغرب- إلى الأندلس وفرضوا سيطرتهم عليها وجاهدوا ضد المسيحيين بانتصارهم على الممالك الأسبانية فى موقعة الآرك Alarcos [١] ١١٩١م/ ٥٩١هـ[٢] وكانت آخر الانتصارات العظيمة للمسلمين فى الأندلس ، وكان لهذا الانتصار أثر فى وقف تقدم المسيحيين بعض الشئ [٣].

بدأت الممالك الأسبانية تستعيد توازنها بعد هزيمة الأرك ووحدت من قوتها استعدادا لمد حركة التوسع والقضاء على الوجود الإسلامى، وكانت موقعة العقاب Las Navas de Tolo-so فى سنة ١٢١٢ بين الممالك الأسبانية بقيادة الفونسو الثامن[٤] - والموحدين ، وانتهت بانتصار الفونسو الثامن الأمر الذى أدى ألى ظهور الأطماع المسيحية فى الدولة الإسلامية بالأندلس، وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمام الممالك الأسبانية لاستعادة نشاطها فى السير قدما بحركة الاسترداد .

وفى أوائل القرن الثالث عشر بدأ العصر الذهبى بالنسبة لمملكتى قشتالة وأراجون ، فقد تولى الملك فرديناند[٥] (المشهور بالقديس) حكم مملكة قشتالة (١٢١٧-١٢٥٢م)، وخلف أباه

١- وهو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح أول حصون اذفونش بالأندلس ، وهناك كانت وقعة الأرك على صاحب قشتالة وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن بن على ملك المغرب فى سنة ٥٩١هـ. الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٢ .

كانت الجيوش الأسبانية تحت قيادة الملك الفونسو الثامن ملك قشتالة ، ولمزيد من التفاصيل أنظر : تاريخ الأندلس لعبد الرحمن الحجى ، ص٤٨٤-٤٩٠ .

٢- ابن الكردبوس، ص١٢٤-١٢٥ .

السلاوى : الاستقصا، ج١ ، ص١٧٨ .

الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٢ .

٣- سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ، ص٥٣٧ .

٤- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٣٣١ .

السلاوى : الاستقصا ، ج١ ، ص١٩٣ .

٥- القديس فرديناند حصل على عرش قشتالة بسبب تنازل أمه بيرنجيلا Berenguela ، وصعوده للتاج لم يكن سلميا وذلك لطموح أبيه الفونسو التاسع ملك ليون، والذى كان يعتقد أنه أكثر حقا من ابنه =

(الفونسو التاسع ملك ليون) فى حكم ليون وكان ذلك اتحادا لملكتى قشتالة وليون تحت حكمه[1] فى سنة ١٢٣٠هـ .

توجه فرديناند إلى القواعد والمدن الأندلسية وبدأ حركة الاسترداد فى أعنف صورها ، بشن الغارات المتلاحقة وتدمير كل ما يقع أمامه من أراضى المسلمين[2] ، ونتيجة لذلك استولى على قرطبة سنة ١٢٣٦ سنة ٦٣٣هـ المدينة الإسلامية القديمة، وحول مسجدها الجامع إلى كاتدرائية [3]، ثم تحول إلى مدينة أشبيلية وحاصرها حتى فتحها فى سنة ١٢٤٨م [4]، وكان ذلك تطورا كبيرا فى حركة الاسترداد ، فأشبيلية من أهم المدن الإسلامية ، واتخذها عاصمة لملكته وكذلك حاصر قادس واستولى عليها وأصبحت سيطرته على سائر المدن الإسلامية وعلى المسلمين [5].

شعر فرديناند الثالث بقوته وتطلع إلى تنظيم حملة صليبية للتوجه إلى أفريقيا [6].

= والصراعات بين الأب والابن بجانب جماعات النبلاء أدمت مملكة قشتالة حتى سنة ١٢٣٠ وانتهت بوفاة والده وانضمام مملكة ليون إلى قشتالة ، ولمزيد من التفاصيل . أنظر :

Zuniga: (O) Anales de Sevilla , Madrid, 1795 , p. 86 .

Masia : (A) Introduccion a la historia de España, Barcelona 1943 , p. 171 .

١- Lodge: (M. A.) The close of the Middle Ages, London, 1924 , p. 469 .

٢- Pelayo : (M. M) Historia de España, Madrid , 1950 , p. 31 .

٣- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٠٨ .

Painter : op . cit ., p. 196 .

٤- Primera Cronica general de España , Madrid , 1977 , T II , p. 754 .

Loaysa : (J) , Cronica de los Reyes de Castilla , Madrid , 1982, p. 73 .

الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص٢٢ .

٥- Loaysa : op . cit ., p. 73 .

٦- وكان قد استعد لذلك باستخدام السفن التى كان قد استخدمها من قبل فى حصاره لاشبيلية ، واشترك فى هذه الحملة كل ملوك شبه الجزيرة الأيبيرية ، ولكنها فشلت للخلافات بين ملوك أراجون وملك نافار . Masia : op . cit , p. 176 .

وأصبحت مملكة قشتالة فى عهده مستقرة سياسيا ، ويرجع ذلك إلى سياسته الداخلية المحكمة التى اتبعها فى حملاته ، واهتمه باستغلال موارد مملكته وثرواتها [١].

أمـا عن مملكة أراجـون فـبـعـد مـقـتل بدرو الثـانى[٢] ، تولى العـرش ابنه خـايم الأول (١٢١٣-١٢٧٦م) ، وبدأت مملكة أراجون تحت حكمه عهدا جديدا ، فقد تعرض لمتاعب عديدة فى بداية حكمه من الأمراء الطامحين للسيطرة والحصول على الامتيـازات ؛ إلا أنه استطاع بشـجـاعـتـه واعـتـداله وتحرير نفـسـه من الأخطار التى تعرض لهـا أن يحكم سـيطرته على مملكته[٣].

وكانت أول غزواته ، استيلاءه على جزر البليار بين سنتى (١٢٢٩-١٢٣٣م)[٤] وتلا ذلك فى سنة ١٢٣٨ باستـيـلائه على مـدينة بلنسـيـة [٥] ، والتى بهـا قـد اكـتـملت مملكة أراجـون وأصبحت مكونة من مقاطعات كتالونيا وأراجون وبلنسية .

وفى أثناء غزو المدن الأندلسية كثيرا ما كان يحدث تصادم بين مملكتى قشتالة وأراجون طمعا فى التوسع لكل منهما على حساب المناطق الإسلامية ، ولذلك عقدت معاهدة الميثرا Almizra[٦] ، فى سنة ١٢٤٤ بينهما لتحديد المناطق المسموح لكل منهما بالتوسع فيها [٧].

١- Pelayo: op . cit ., p. 31 .

٢- بدرو الثانى خلف أباه الفونسو الثانى على العرش فى سنة ١١٩٦ ، وكان أميرا وافر الشجاعة والفروسية ولكنه شغل بتنظيم شئون مملكته الداخلية ومقاومة سلطان الأشراف ، ثم حج إلى روما ليلتقى تاجه من يد البابا ولما عاد إلى أراجون شغل حينا بمحاربة الآلبيين (الآلبيجسيين) وغيرهم من الملاحدة فى جنوب فرنسا ، وتوفى قتيلا فى إحدى المعارك سنة ١٢١٣ ، محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص٦٨ .

٣- Chapman: op . cit ., p 80 ; Patricio , op . cit , pp. 33-37 .

ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٤ .

٤- Cronica de la Corona de Aragon, p. 71 .

محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٦٨ .

٥- Cronica de la Corona de Aragon , p. 76 .

ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج١ ، دار المعارف سنة ١٩٥٥ ، ص٣٩١ .

٦- كان قد سبق هذه المعاهدة معاهدة كاسولا Cozorla Casola لنفس الغرض فى سنة ١١٧٩ فى عهد الفونسو الثامن .

Hillgarth : (J. n) , los Reinos Hispanico, Barcelona, 1979 .

٧- Diccionario : Enciclopedico , Ti , p. 760 .

ومع ذلك فقد كانت مملكة قشتالة أكثر اتساعا من مملكة أراجون التى كانت أكثر حظا نتيجة لموقعها الهام ، ولهذا فإن احتكاكها بالعالم الخارجى كان فى وقت مبكر قبل قشتالة[١]، واستفادت بذلك كثيرا .

بدأ خايم الأول يتجه إلى خارج شبه الجزيرة الأيبيرية فى جنوب فرنسا فقد استطاع أن يحصل من لويس التاسع على مونبيلية والتى تنازل عنها لويس[٢] - لأحقية والدته فى وراثتها - ثم اتجهت طموحاته بعد ذلك إلى مملكة صقلية بتزويج ابنه بدرو من كونستانس ابنة مانفرد ملك صقلية ووريثته على الرغم من معارضة البابا لهذا الزواج[٣] ، وكان هذا بداية لدور جديد فى تاريخ مملكة أراجون خارج شبه الجزيرة الأيبيرية .

وهكذا كان يوجد فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ثلاث ممالك وهن قشتالة وأراجون والبرتغال فى شبه الجزيرة ، ودخلت فى دور جديد من الصراعات والحروب ، بينما توقفت حركة الاسترداد - إلى حد ما - حتى تم اتحاد مملكتى قشتالة وأراجون على يد فرديناند وايزابلا .

ازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط

بدأت مملكة أراجون فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى دورا جديدا فى تطوير سياستها الخارجية ، فاتجهت إلى حوض البحر المتوسط محاولة إنشاء إمبراطورية أرجونية فى النصف الغربى من ذلك البحر .

بدأت هذه السياسة على يد خايم الأول، وخاصة بعد عقد معاهدة الميشرا "Almizra"[٤] فى عام ١٢٤٤ ، والتى تم بمقتضاها تقسيم مناطق النفوذ لمملكتى قشتالة وأراجون ونتيجة

١- Pirenne : (H) , Ahistory of Europe , V. 2 New York , 1956 , p. 207 .

٢- ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٤ .

٣- Cronica de la Corona de Aragon , p. 86 .

٤- كانت منطقة مرسية التى استولت عليها مملكة أراجون قد تنازلت عنها لمملكة قشتالة ولكن بموجب هذه المعاهدة أصبحت حدود مملكة أراجون مشتركة مع حدود مملكة قشتالة ، ولم يبق فى شبه الجزيرة الايبيرية إلا مملكة غرناطة والتى تحيط بها قشتالة من الجهات الشمالية والشرقية والغربية ، ومنطقة نفوذ سياسى لها Hillgarth: los Reinos , op . cit ., p. 283 .

لها أصبح الطريق للاتجاه إلى شبه الجزيرة الايبيرية مغلقا[١] أمام أراجون ، مما حدا بها إلى الاتجاه إلى ناحية البحر المتوسط ، ذلك البحر الذى يعد شريانا بحريا تجاريا لحماية مصالح أراجون وكان ذلك فى اتجاهين ، الأول: اتجاه الغرب فى المنطقة الواقعة بين بلنسية والبليار وأرخيل ومليلة والمرية ، والأخير: تجاه غرب البحر المتوسط فى المنطقة الواقعة بين سردينيا وصقلية وتونس[٢] ، وهى من مناطق نشاط أراجون السياسى والتجارى.

ولتنفيذ هذه السياسة تنازع خايم الأول ولويس التاسع ملك فرنسا حول بعض الاقطاعيات فى جنوب فرنسا والتى له فيها حقوق وراثية (عن طريق أمه) ودارت مفاوضات بين الطرفين أدت إلى عقد معاهدة كوربيل "Corbeil" [٣]، فى سنة ١٢٥٨م بين الطرفين ، احتفظ خايم الأول ملك أراجون بمقتضاها بمونبليه "Montpellier" وبعض الاقطاعيات الصغيرة بالإضافة إلى كونتيه روسيليون [٤].

تطورت هذه السياسة على يد بدرو الثالث (١٢٧٦-١٢٨٥م) ابن خايم الأول وخليفته ، فقد هيأت له الأحداث الجارية فى تلك الفترة تنفيذ تطلعات أراجون فى وراثة مملكة صقلية ونابولى ، فقد كان بدرو متزوجا من كونستانس "Constanza" ابنة مانفرد "Manfred" ملك صقلية ، وكانت البابوية قد اعترضت على هذا الزواج نتيجة لصراعها مع أسرة الهونشتاوفن إلا أن خايم الأول ضرب بهذا الاعتراض عرض الحائط وقام بتنفيذ زواج ابنه من ابنة مانفرد[٥].

وعندما خرجت البابوية منتصرة فى صراعها مع أسرة الهونشتاوفن [٦]، تم عرض أملاك

١- Masia : Introduccion , op. cit ., p. 203 .

٢- Martin : (J. n) Historia de España , T 3 , Barcelona, 1982 , p. 67 .

٣- احتفظ خايم الأول بمونبليه ، والتى كانت ميراثا لأمه وبعض الاقطاعيات الصغيرة فى مقابل التنازل عن سردينيا ، وبعض المناطق الأخرى التابعة لأراجون فى جنوب فرنسا فى مقابل تنازل فرنسا عن محاولاتها لفرض نفوذها على كتالونيا . Hillgarth : los Reino , op. cit ., p. 281

٤- Ibid .

٥- Cronica de la Corona de Aragon , p. 86 .

٦- يمثل الصراع بين البابوية وأسرة الهونشتاوفن مرحلة من مراحل النزاع الشهير بين السلطتين الدينية =

هذه الأسرة على ملوك أوربا وأمرائها وكان من بين هذه الأملاك تاج صقلية ونابولى ، وقد عرضهما البابا فى بادئ الأمر على ريتشارد كورنويل "Cornwall"[١] ثم على هنرى ملك انجلترا[٢]، ولكن شارل دى أنجو أعلن استعداده لحكم المملكتين ، وحضر إلى روما ليتسلم التاج فى الثامن والعشرين من يونيو سنة ١٢٦٥[٣].

وهكذا بدأت مرحلة جديدة فى الصراع على صقلية شكلت أحداثا بارزة فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ، اتسمت بتعدد أطرافها المتنازعة وتشابك أحداثها ، ونتج عنها غزو شارل انجو لمملكة صقلية والتقاء مع مانفرد ملك الجزيرة فى بينفينت "Benevento" فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٢٦٦ ، وانتهى الأمر بهزيمة مانفرد وقتله فى هذه المعركة والقبض على زوجته وأطفاله وإيداعهم فى السجن ، وفى ظل هذا الوضع كانت كونستانس زوجة بدرو الثالث ملك أراجون هى صاحبة الحق الوحيد فى عرش صقلية [٤].

كان بدرو الثالث يترقب الأحداث فى صقلية بعد توليه الحكم فى سنة ١٢٧٦ استعدادا للتدخل للمطالبة بحقوق زوجته ، وفى سبيل ذلك قام بعدة إجراءات هامة فى الداخل والخارج ، ففى الداخل قام باقرار الأمور عن طريق السيطرة على تمرد النبلاء المطالبين بالامتيازات [٥]،

= والزمنية حول مسألة التقليد العلمانى لرجال الدين ، وقد بدأ منذ عهد هنرى الرابع (١٠٥٦-١١٠٥م) إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة حتى عهد فردريك الثانى (١٢١٢-١٢٥٠م) ، وانتهى بوفاة فردريك الثانى واستيلاء البابوية على أملاكه.

أنظر التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع فى سعيد عاشور : أوربا ، ج١، ص٣٣٨-٣٩٣، فشر: أوربا ، ق١، ص٢٤٩-٢٦٠ .

١- Wiegler : (p) The Infidel Emperor and his Strugles against the pope, London , 1930 , p. 273 .

٢- Ibid ., p. 274 .

٣- Setton : K, M) : A history of the Crusades, Pennsylvania 1962 , p. 365-6 .

٤- Chaytor: (H. J.) A history of Aragon and Catalonia London 1962, p. 100 ; Prieto : (p) Politica Aragonesa en Africa, Madrid, 1952, p. 41 .

٥- Cronica de la Corona de Aragon, p. 102 .

أما بالنسبة لعلاقاته مع الممالك الأخرى فى شبه الجزيرة الايبيرية ، فإنه بدأ سياسة المهادنة معها فسعى لابقاء أبناء الأمير فرديناند دى لاسردا فى قبضته وبذلك يتسنى له تهديد مملكة قشتالة [١]، إذا ما تعرضت هذه العلاقات إلى التوتر كما عقد معها ومع مملكة البرتغال تحالفات دفاعية [٢]، أما عن المسلمين فكانوا قد أرسلوا له يعربون عن عزوفهم عن الحرب ورغبتهم فى السلام مقابل دفع الجزية[٣].

وسرعان ما تطورت الأحداث بعد استيلاء شارل دى أنجو على مملكة صقلية وحانت اللحظة الحاسمة التى كان يترقبها بدور الثالث بقيام ثورة الصقليين «صلوات الصقليين» The Sicilian Vespers[٤] ضد جنود الاحتلال الفرنسيين . وتنكيل الصقليين بهم وتعقبهم بالذبح [٥]. مما دفع بشارل أنجو إلى الإسراع بقواته وسفنه مبحرا إلى صقلية وهناك حاصر مسينا ، وبدأ فى تهديد الصقليين بالتنكيل والقتل إذا لم يستسلموا[٦]، وإزاء ذلك الخطر بجانب الأوضاع

١- كان فرديناند هو الابن الأكبر لألفونسو العاشر، وكان قد توفى فى حياة أبيه وبمقتضى قانون الفونسو الجديد أصبح وراثة العرش لأولاده ، ولكن سانشو الرابع تمرد على أبيه واغتصب العرش وحرم أولاد أخيه من حقوقهم .

Preito : op . cit ., p. 41 .

٢- Shneidman : (J. L.) The rise of the Aragonese- Catalan Empire V. I , New York. 1970 , p. 34 .

٣- Desclot : (B) . Chronicle of the reign of King Pedro. III of Aragon , Madrid, 1928 , p. 67 .

٤- وقد قامت نتيجة لاستياء الصقليين من الحامية الفرنسية وسوء تصرفات هذه الحامية وعدم رضاءهم عن هذا الاحتلال والرغبة فى اعادة الحكم الشرعى لأسرة مانفرد واتخذوا سببا ظاهرا ، وهو حادثة اعتداء الجنود الفرنسيين على فتاة واهانتها بحجة البحث عن أسلحة محجوبة داخل ملابسها ، ذريعة للهجوم على الحامية الفرنسية ، والتى أدت إلى انتشار السخط والتذمر فى كل أنحاء الجزيرة Cronica de la Corona de Aragon , p. 104 .

٥- Chaytor: op. cit ., p. 100 .

٦- Desclot: op. cit ., p. 40 .

الداخلية السيئة وخوفهم من بطش شارل أنجو أرسلوا سفارة[١] ، إلى بدرو ملك أراجون ؛ ليعرضوا عليه تاج صقلية خاصة وأن زوجته هى الوريثة الشرعية لمانفرد[٢]، وكانت هذه بالنسبة له فرصة مواتية يترقبها لتحقيق أطماعه .

بدأ بدرو الثالث بعد تأمينه للوضع فى شبه الجزيرة الايبيرية فى الاستعداد والتأهب للتدخل فى صقلية ، وبدأ فى تنفيذ خطته التى تقوم على التمويه على البابوية وفرنسا ، بأن أرسل إلى البابا سفارة للحصول على مباركته وإخباره بالذهاب لحرب المسلمين كى يحصل على العشر المخصص للحروب الصليبية مخفيا بذلك نواياه الحقيقية [٣]، لكن البابا انتابه الشك فى نواياه فتعلل له بأن العشور تصرف فقط للحرب المقدسة فيما وراء البحار[٤] ولم يثن ذلك بدرو عن عزمه فأبحر بأسطوله من طرطوشة إلى تونس بدوافع معلنة أنه يريد حماية مؤيد المسيحية حاكم القسطنطينية ابن الوزير ضد ملك تونس، ورسا بأسطوله[٥] فى ألكول[٥] -Al coill يتحين الفرصة للتدخل ، وقد واتته بوصول سفارة الصقليين يطلبون منه القدوم إليهم كى يتوجوه ملكا فاستجاب لمطلبهم وتوجه بأسطوله إلى جزيرة صقلية ، حيث رسا بقواته فى مدينة بالرمو التى استقبلته استقبالا رائعا وتم الاحتفال بتتويجه ملكا على الجزيرة[٧]، ثم واصل

١- قد اجتمع كل النبلاء العظام فى بالرمو Palermo وقام أحد الأشخاص البارزين بينهم وقال إن دخول شارل إلى صقلية معناه موتنا ولكن نحن نعلم أيضا بأن العاهل ملك أراجون الموجود الآن فى ألكول فهو يكون سيدنا الشرعى ، وذلك بسبب الملكة وأولادها ، ومع ذلك فنحن سوف نرسل له ليحضر ليأخذ مملكة صقلية لأنها مملكته ومملكة أولاده ونحن سوف نمده بالذهب والفضة ومايلزم ويحتاجه لذلك .Desclot: op. cit., p. 40

٢- Watts: (H.E) Spain, London , 1893 , p. 189 .

٣- Cronica de la Corona de Aragon , p. 103 .

كان يرأس هذه السفارة كلشيران دى تيمور Calceran de timor والذى طلب منه بدرو أن يشرح للبابا أن هدفه الحقيقى هو محاربة أعداء الدين ، وطلب منه أن يساعده كما كان يحدث ويعاونه بالمال الخاص بنسبة الأعشار التى كانت تجبى فى ذلك الوقت . Zurita: (J), Anales de Aragon Zaragoza, 1970 , p. 60

٤- Desclot : op. cit ., p. 48 / Zurita: op . cit ., p. 60 .

٥- Abadia: La Corona de Aragon, Zaragoza, 1979 , p. 13 .

٦- ميناء على الساحل التونسى مقابلة لجزيرة صقلية . Zurita: op . cit , p. 74

٧- Cronica de la Corona de Aragon , p. 105 Giunta F, Aragoneses y Catalanes en el Mediterraneo , Bercelone 1989 , p. 16

تقدمه بعد ذلك حتى مسينا وفك حصارها، وأحرز بذلك تقدما كبيرا فى سبيل تحقيق أطماعه فى حوض البحر المتوسط ، وتوج سياسته هذه بانتصار بحرى فى خليج نيكوتيريا Nicotera فى موقعة تعد من المواقع البحرية الهامة بين مملكة أراجون وفرنسا [١]. ثم أرسل بدرو الثالث بعد ذلك سفارة إلى شارل أنجو[٢] يبرر فيها تدخله فى صقلية بقوله:

«هذه المملكة أرض أولادى وأنكم استحوذتم عليها بطرق غير شرعية»[٣].

فما كان من شارل أن رد عليه بقوله :

«سيدى ، أرض صقلية ليست لملك أراجون ولالغيره من الملوك وإنما تخص كنيسة روما فقط»[٤].

وتوالت انتصارات أمير البحر روجر دى لوريا Roger de Lauria[٥] قائد أسطول أراجون فى حوض البحر المتوسط ، ومكنته هذه الانتصارات من بسط سيطرته على جزء كبير من الشاطئ الإيطالى[٦] فى البحر المتوسط على حساب شارل أنجو .

١- Abadia: op . cit ., p. 14 .

٢- شارل دى أنجو هو أخو ملك فرنسا والذى كان يسعى إلى إقامة امبراطورية له فى حوض البحر المتوسط ، فقد شارك فى الحملة الصليبية السابعة على مصر والحملة الثامنة على تونس ، واشترى حقوق وراثة مملكة بيت المقدس من ماريا ابنة بوهيمند الرابع أمير أنطاكية والتى أيد البابا جريجورى العاشر هذه الصفقة وأصبح شارل بمقتضاها ملكا على بيت المقدس فى سنة ١٢٧٧ ، وفى نفس الوقت كان يتوق إلى الاستيلاء على الدولة البيزنطية . أنظر : مذكرات جوانفيل عن القديس لويس ، ص١٠٨ وأيضا رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٤٩ ، ٤٤٣ ، ٥٠٣ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ . أنظر أيضا عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١٦ .

٣- Desclot : op . cit ., p. 70 .

٤- Ibid .

٥- كان روجر دى لوريا من الشخصيات البارزة فى عصره ، فقد كان قائد الأسطول والذى جعل لأراجون السيادة البحرية فى غرب البحر المتوسط وانتصاراته كان يشوبها أعمال شديدة الوحشية ، ولكن الاستراتيجية الرائعة والتكتيك والمقدرة والسرعة فى مناوراته أبقى صولجان أراجون يخفق على البحر المتوسط .

Chaytor : op. cit ., p. 139 .

٦- سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ، ص٥٤٨ .

وكرد فعل للهزائم المتكررة التى أصابت شارل أنجو (الأنجوى) ، لجأ إلى أسلوب التحدى ضد بدرو الثالث ، فأرسل اثنين من الرهبان بدعوانه للمبارزة فى قتال فردى، واتفقا على اختيار ستة فرسان من الجانبين وحددت مدينة بروديو (بوردو) Bordeaux مكانا للمبارزة فى غرة يناير سنة ١٢٨٣ لكن ذلك لم يتم نتيجة لوقوف البابوية ضد بدرو[١] ، ووصل أخبار الغزو الفرنسى لكتالونيا إليه ، فعاد مسرعا إلى أراجون [٢].

استاءت البابوية من انتهاك بدرو الثالث لقراراتها ورغباتها مما دفع البابا مارتين الرابع (١٢٨١-١٢٨٥م) إلى إصدار قرار الحرمان الكنسى ضده ، وإعلان الحرب الصليبية ضده كما منح أملاكه لشارل دى فالو الابن الثانى لملك فرنسا [٣].

تطورت الأحداث سريعا عندما تأهبت الجيوش الفرنسية لغزو مملكة أراجون تنفيذا لقرار البابا، وتجمعت عند الحدود الشمالية لأراجون فى ممر روسيليون Roussillon واجتاحته إلى منطقة كتالونيا [٤]، فى وقت تعرض فيه بدرو الثالث لأخطار جسيمة فى الداخل كان أولها تمرد الذين رأوا الفرصة سانحة للحصول على بعض الامتيازات واجبار بدرو على الالتزام بها والتى كان قد اقسم عند توليه العرش بعدم انتهاكها [٥]، كما تعرض لخطر كبير بتحالف عمه خايم ملك ميورقة مع الفرنسيين وسماحه لهم بعبور ممر روسيليون[٦] وكان لهذه الأحداث الداخلية والخارجية أثر كبير فى تهديد عرشه بالخطر .

ورغم ذلك تصدى بدرو الثالث لهذه الأخطار ، فاحتوى تمرد النبلاء بأن منحهم الامتياز

١- Cronica de la Corona de Aragon , p. 106 .
Chaytor : op . cit ., p. 104 , Patricio cF . also: op . cit , p. 43 .

٢- Shneidman : op . cit ., p. 35 .

٣- Chaytor : op. cit ., p. 104 .

٤- Desclot : op. cit ., p. 233 .

٥- Cronica de la Crona de Aragon , p. 115-6 .

٦- Prieto : op. cit ., p. 70 .

العام [١]، ووافق على مطالبهم [٢]، كما هدد سانشو الرابع ملك قشتالة باطلاق سراح أولاد فرديناند دى لاسردا وأعلن التعبئة العامة وأرسل الخطابات إلى خيرونا Gerona وبرشلونة وليريدا وطركونة وطرطوشة وبلنسية وإلى كل مكان من أنحاء المملكة يدعوهم بالاستعداد للحرب، ودعا الأساقفة وفرسان الداوية وفرسان الاسبتارية [٣]، إلى تأييده والوقف بجانبه[٤].

١- الامتياز العام : مجموعة من القوانين لصالح النبلاء والفرسان والبارونات من أجل اعطائهم سلطات تشريعية وسياسية وتنظيم العلاقة بينهم وبين الملك فعلى سبيل المثال عدم فرض الملك لقوانين جديدة ذات صفة عامة دون موافقة البارونات والفرسان ومواطنى برشلونة واستشارة قواده ورعاياه فى شئون الحكم مع الاعتراف بالاختصاصات القضائية الممنوحة للسادة فى أملاكهم ويحرم على رجال الملك أن يتدخلوا فيها ، وباقى الامتيازات تخص المجالس التشريعية والغاء بعض أنواع الضرائب وتحريم مصادرة الملك للأملاك ...

أنظر : Martin L Historia de España, T 3 , p. 72-3 .

٢- Ibid., p. 70 .

٣- كان فرسان المعبد (الداوية) وفرسان الأسبتارية من أشهر جماعات الفرسان الدينية التى قامت فى العصور الوسطى فى بداية الحروب الصليبية ، والجماعة الأولى هى التى تعرف فى الرواية الإسلامية بجماعة «الداوية» قد أنشئت بصفة رسمية على يد هيو دى ينيز عام ١١١٨م فى بيت المقدس عقب سقوطها فى يد الفرنج الصليبيين لحماية الحاج إلى قبر المسيح وأفرد لهم ملك بيت المقدس جناحا فى قصره ثم سلم إليهم المعبد المجاور له (معبد سليمان) ومنه اشتقوا اسمهم «فرسان المعبد» Templars ونمت هذه الجماعة بسرعة واشتد ساعدها بمن انضم إليها من الفرسان النصارى من جميع الأمم ولعبت أدوارا هامة فى حوادث الحروب الصليبية واستمرت قائمة عصورا .

والأسبتارية Hospitallers أيضا جماعة دينية من الفرسان ، كانت موجودة فى بيت المقدس قبل مجئ الصليبيين وأسست بصفة رسمية على يد البابا باسكال الثانى عام سنة ١١١٣ وخاضت أيضا حوادث الحروب الصليبية ولكنها كانت أضعف شأنا من جماعة الداوية، وقد كان لهذه الجماعات نشاط واضح فى شبه الجزيرة الايبيرية وكان لهم كثير من الأملاك والحقوق والمزايا وساهموا فى الحروب الصليبية فى الأندلس ووصلت فى أسبانيا إلى أن أوصى الفونسو الأول ملك أراجون بمملكته كلها لهؤلاء الفرسان .

لمزيد من التفاصيل ، أنظر يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس ، ص١٧٥-١٧٦ ، ١٨٤ .

William of Tyre : A history of deeds done beyond the Sea , vol I, New York , 1943 , p. 524-527 .

King : The Knighta Hospitallers in the Holy Land , London 1931 .

٤- Desclt: op . cit ., p. 234 .

أرسل ملك فرنسا إلى بدرو الثالث ينصحه بعدم اعتراض طريقه ؛ لأن مملكة أراجون منحة من البابا إلى ملك فرنسا وابنه شارل فأجابهم بدرو الثالث بأن هذا محض افتراء وأن المملكة ليست ملكا للبابا لأن أسلافه قد اكتسبوها بحد السيف [١].

ثم اتجه بدرو إلى الخطوة الأخيرة وهى تأمين المناطق والحصون الشمالية مع شن هجمات سريعة خاطفة على الجيش الفرنسى فى ممر روسيليون ، وقوى من موقفه انتصار روجر دى لوريا فى جزر هورميجز Hormigos على جناح من الأسطول الفرنسى والذى يعضد الغزو الفرنسى لشمال كتالونيا ويمده بالإمدادات اللازمة . وبذلك أوقف روجر دى لوريا الإمدادات للجيش الغازى بواسطة البحر[٢] ، وأتبع ذلك انتصاره على الأسطول الفرنسى وتدميره فى جزيرة مالطة Malta وأسر الأمير شارل ساليرنو Salerno [٣]وقد ساعدت هذه الانتصارات البحرية على تقوية موقف بدرو الثالث ضد الجيش الفرنسى وشن هجمات سريعة خاطفة جعلت هذا الجيش يتعرض لكثير من المتاعب بسبب وعورة الأرض وانتشار الأوبئة والأمراض بين صفوفه بشكل أدى إلى تسرب اليأس إلى نفوس الجند الفرنسيين ورغبتهم فى العودة إلى أراضيهم [٤]. وبذلك فشلت الحملة الفرنسية التى وجهت ضد بدرو وكان من نتيجة ذلك تقوية موقف أراجون ضد البابوية وفرنسا ، الأمر الذى دفع أراجون إلى تنفيذ تطلعاتها وتأكيد سيطرتها على النصف الغربى من البحر المتوسط دون خوف أو خشية من تدخل فرنسا ضدها .

يأتى فى المرتبة الثانية من تحقيق مشروع مملكة أراجون فى إنشاء امبراطورية أراجونية فى الحوض الغربى من البحر المتوسط ، اهتمامها بتأكيد وتوسيع نفوذها فى شمال أفريقيا وخاصة تونس المواجهة لمملكة صقلية .

١- «وإن هذا وهن فليس لأحد الحق فى أراضى كتالونيا ليمنحه له ولا حتى أنا ، أخذت هذا الملك من ذلك البابا ، ولما كان أجدادى قد اكتسبوا هذه الأراضى بحد السيف فمن أجل ذلك لتعلم ذلك أنت أن الثمن الذى دفعناه كان عزيزا»

Desclot : op. cit ., p. 255 .

٢- Cam .. Med ... Hist ., V. 7 , p. 585 .

٣- Chaytor : op. cit ., p. 105 .

٤- Desclot : op. cit ., p. 256 .

والواقع أن مملكة أراجون قد اهتمت بشمال أفريقيا منذ وقت مبكر حيث أنه من هذا الساحل وخاصة الغربى منه خرجت الكثير من النجدات والمساعدات والإمدادات المستمرة من ملوك المغرب وشمال أفريقيا إلى الأندلس لمساعدتهم ضد الممالك المسيحية ، مما حدا بمملكتى قشتالة وأراجون إلى عقد اتفاقيات سلام وصداقة مع حكام هذه المنطقة وفى نفس الوقت للحصول على منتجات افريقية وإقامة علاقات تجارية وإنشاء مستوطنات لها فى شمال أفريقيا .

كانت أراجون قد وطدت نفوذها خاصة فى المنطقة المقابلة لمملكة صقلية[١]، والتى بدأت فيها من عهد خايم الأول ، من خلال علاقات سلمية تحت ستار المنافع التجارية ، والتى ما لبثت أن تغيرت دوافعها وأصبحت ذات طابع حربى نتيجة لما يملكه بدرو الثالث من قوى بحرية عظيمة[٢].

وقد خضعت تونس لنفوذ أراجون السياسى ، فكان المستنصر أمير الحفصيين[٣] يدفع الجزية لخايم ملك أراجون [٤]، وعندما توفى أظهر خلفه يحيى مقاومة عند الدفع ، وفعل نفس الشئ أخوه أبو اسحاق[٥] فعمل بدرو الثالث على مساعدة حاكم القسطنطينية أبوبكر[٦]،

١- الزركشى : تاريخ الدولتين ، تونس ١٩٦٦ ، ص١٢٦-١٣٠ ؛ جوليان : تاريخ افريقية الشمالية ، ج٢ ، تونس ١٩٧٨ . ص١٧٨ .

٢- Prieto: op . cit ., p. 42

٣- كانت الدولة الحفصية من بين الدول الثلاثة (الحفصيين فى تونس - بنى عبد الواد فى تلمسان - بنى مرين فى المغرب) التى تقاسمت بلاد البربر وتصارعت من أجل الانفراد بها ، وكانت دولة بنى حفص هى التى فرضت نفسها بوصفها الوارثة الأولى لسلطة الخلافة الموحدية المنهارة والحافظة لتقاليدها .

لمزيد من التفاصيل عن نشأة الدولة الحفصية انظر الزركشى تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية .جوليان : تاريخ افريقية الشمالية ، ص١٧٧ . ولمزيد عن نشأة الدولة الحفصية أنظر محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين ، ج٢ ، القاهرة ١٩٦٤م، ص٣٧٩-٣٨١ .

٤- Chaytor : op . cit ., p. 101 .

٥- كانت الإمبراطورية التى تركها المستنصر تظهر متينة الأركان غير أنها مالبثت أن تدهور أمرها على أيدى خلفائه ، فقد انقاد ابنه الواثق الذى تولى الخلافة بعده لأحد مقربيه ، وهو من أصل أندلسى فألب على الحكومة شق الموحدين بأكمله . ونافسه فى الحكم عمه أبو اسحاق الذى كان متمردا على المستنصر منذ سنة ١٢٥٣ جوليان : نفس المرجع ص١٨٢ .

٦- Cam. Med Hist V ' p 584

والذى طمع فى الاستقلال عن تونس وأظهر قبوله للنفوذ الأراجونى ، مما وافق رغبة ملك أراجون فى السعى للفوز بقاعدة فى الأراضى التونسية ، فاستغل الخلافات الناشبة بين ملوك تلك المناطق لتحقيق ذلك الهدف[١].

تطلع بدرو الثالث إلى تأمين سيطرته على صقلية ورأى أن ذلك لايتم إلا بتوطيد سيطرته على ساحل تونس أولا[٢]، لذلك توجه بأسطوله إلى الكول على ساحل تونس انتظارا لتطور الأحداث فى صقلية ، وتحين الفرصة المناسبة التدخل والاستيلاء عليها وفى نفس الوقت التمويه بحرب صليبية ضد شمال أفريقيا . حتى وصلت إليه دعوة الشعب الصقلى لتولى حكم الجزيرة وحمايتهم من بطش شارل أنجو .

وتأمينا لسيطرته على صقلية لجأ إلى خطوة أخرى فأرسل روجر دى لوريا للاستيلاء على الجزر المحيطة بالساحل التونسى فاستولى على جزر جلفز Gelves وجربة Gerbes فى عام ١٢٨٤م ثم أتبعها بجزر قرقنة Querquenas فى عام ١٢٨٧[٣] . وذلك اتباعا لأسلوبه فى تأمين مكاسبه البحرية فى حوض البحر المتوسط .

وبجانب الأهمية السياسية للساحل التونسى بالنسبة لصقلية فكانت قاعدة تشرف منها أراجون على التبادل التجارى مع أفريقية ، بالإضافة إلى العمليات الخاصة بتأمين وتوطيد النفوذ الأراجونى فى شمال أفريقيا وفى الوقت نفسه كانت سدا يعوق الحركة التى كانت تنطلق من تلك الأراضى[٤] وأصبحت تونس بمقتضى معاهدة بانثياس فى سنة ١٢٨٥ [٥]، تدفع اتاوة لأراجون وهى نفس الاتاوة التى كانت تدفعها من قبل لصقلية [٦].

١- Prieto : op. cit ., p. 41-42 .

٢- Chaytor : op . cit ., p. 102 .

٣- Cronica de la Corona de Aragon , p. 120 .

Abadia: op. cit ., p. 42-43 .

جوليان : نفس المرجع السابق ، ص١٨٣ .

٤- Prieto : op. cit ., p. 43 .

٥- كان أبوحفص (١٢٨٤-١٢٩٥) أمير تونس قد تعرض لأزمات عديدة أهمها تمرد أبى زكريا الثانى وتأسيسه فى بجاية مملكة منافسة لتونس شملت جزءا كبيرا من مقاطعة قسطنطينية (١٢٨٤) ، ودام الصراع طويلا بينهما مما دفع أبا حفص إلى محاولة جذب تأييد مملكة أراجون بهذه المعاهدة والتعهد بدفع الجزية لها. جوليان : نفس المرجع السابق ، ص١٨٣ .

٦- Diccionario : Enciclopedico, T I , p. 449 .

الفونسو الثالث وتنفيذ سياسة التوسع :

توفى بدرو الثالث وتولى العرش ابنه الأكبر الفونسو الثالث (١٢٨٥-١٢٩١م) ، وكانت فترة حكمه قصيرة مليئة بالصعوبات [١]، نتيجة لعدم تخليه عن صقلية التى أراد لها أن تكون مملكة منفصلة تحت حكم أخيه خايم [٢].

كان تمسك الفونسو الثالث بصقلية قد أدخله فى صراع مع فرنسا والبابوية استمرارا للنزاع الذى كان فى عهد أبيه، مما جعله يستعد لتأمين وضعه فى شبه الجزيرة الايبيرية ، فأطلق أولاد فرديناند دى لاسردا ليطالبوا بعرش أبيهم من عمهم سانشو الرابع وأتبع ذلك ببعض الهجمات على أراضى قشتالة ووقع معاهدة صداقة مع بنى مرين[٣] ، ليضمن بذلك حماية سواحله الجنوبية فى حوض البحر المتوسط .

وقد اعتمد الفونسو الثالث فى هذا الصراع مع فرنسا والبابوية على إدوارد الأول ملك انجلترا الذى وعده بالزواج من ابنته اليانور Eleanor ، وقام إدوارد الأول بدور الوسيط بين كل الأطراف لتوطيد السلام بينهما ، فقد قام بإرسال سفرائه إلى البابا ودعا ملكى فرنسا وأراجون لإرسال مبعوثيهم له فى بروديو ، لكن محاولاته للسلام باءت بالفشل [٥].

وكان الفونسو الثالث يسعى إلى السلام وتدفعه إلى ذلك أخطار جسيمة من قبل النبلاء الذين تمردوا عليه مطالبين بمزيد من الامتيازات ، وكونوا عصبة تدعى «الاتحاد» للوقوف فى وجه الملك مما أجبره على منحهم القرار المشهور «بمرسوم الاتحاد» فى عام ١٢٨٧[٦]، والذى يقضى بمنحهم الامتيازات التى طالبوا بها .

١- سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ص٥٤٨ .

٢- Abadia : Op. cit ., p. 43 .

٣- Martin : Historia de Espana, T III , p. 75 .

٤- Prieto : op. cit ., p. 51 .

Wattes : op. cit ., p. 191 .

٥- Chaytor : op. cit ., p. 128 .

٦- Chapman : op. cit ., p. 128 .

ونتيجة لهذه الضغوط الخارجية- المتمثلة فى البابوية وفرنسا- والاضطرابات الداخلية الناجمة عن تمرد النبلاء ، جعلت الفونسو يدخل فى مشاورات ومفاوضات مع فرنسا والبابوية فى خاكا Jaka وكانفرانك Canfranc فى سنة ١٢٨٨ وبيربى Perpi فى سنة ١٢٨٩، وانتهت الجهود فى هذه المفاوضات إلى توقيع معاهدة طرسكونة فى سنة ١٢٩١[١] ، وهذه المعاهدة اشترك فيها عن فرنسا شارل الثانى ملك نابولى واثنا عشر سفيرا مفوضا عن الفونسو الثالث وممثلون عن إدوارد الأول ملك انجلترا واثنان من الأساقفة ممثلين عن البابا[٢]، وتضمنت هذه المعاهدة عدة نقاط أهمها : دخول الفونسو فى طاعة البابوية ، وسحب تأييده لأخيه خايم ملك صقلية ورفع عقوبة الحرمان الكنسى والتى حكم بها على بدرو الثالث أبيه[٣]. ووعد فى مقابل ذلك بالخروج فى حملة صليبية إلى الشرق [٤]، ويعنى ذلك تنازل أراجون عن مكاسبها فى عهد بدرو الثالث .

لكن سرعان ما تراجعت أراجون عن هذا الاتفاق بوفاة الفونسو الثالث (١٢٩١م) بعد هذه المعاهدة مباشرة ، وتولى خايم الثانى الذى كان ملكا على صقلية ، وعاد الوضع كما هو عليه قبل معاهدة طرسكونة مع ربط تاج صقلية بالتاج الأراجونى وترك أخاه فردريك حاكما على الجزيرة نائبا له .

وهكذا كان منتصف القرن الثالث عشر الميلادى نقطة تحول فى تاريخ مملكة أراجون ، إذ أنها اتجهت بسياستها التوسعية إلى خارج شبه الجزيرة الايبيرية بعد معاهدة الميشرا سنة ١٢٤٤، وكان هذا التوسع وازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط مقدمة لما سوف تصبح عليه هذه المملكة من اتساع يجعلها تتبوأ مكانة كبرى فيما بعد .

١- Martin : Historia de Espana , T III , p. 76-7 .

وتعرف أيضا باسم معاهدة بريجنوليس Brigonles

Abadia : op . cit ., p. 15 .

٢- Ibid .

٣- Masia : Introduccoin, op. cit . 195 .

٤- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., T I , 305 .

Prieto : op. cit ., 51 .

خايم الثانى ملك أراجون وسياسته الخارجية

وبوفاة الفونسو الثالث سنة ١٢٩١ وتولى خايم الثانى[١] (١٢٩١-١٣٢٧م) عرش أراجون، يبدأ عصر ازدهار السياسة الخارجية سواء فى داخل شبه الجزيرة الايبيرية أو فى عالم البحر المتوسط نتيجة للجهود التى بذلها فى سبيل استثمار المكاسب التى نالها أسلافه .

سار خايم الثانى فى سياسته الخارجية على خطط والده (بدرو الثالث)، وإن كان قد بدأ حكمه بالصدام مع فرنسا والبابوية بعد رفضه للاتفاق السابق (طرسكونة) الذى عقده أخوه الفونسو الثالث قبل وفاته مباشرة، إلا أنه يسعى فى نفس الوقت لحل النزاعات بالطرق الدبلوماسية مع الاحتفاظ بمكاسبه التى ورثها عن والده .

وقد بدأ خايم حكمه بالاستعداد لاحتمال الصدام المسلح مع فرنسا ، وبدأ العمل على ضمان طاعة النبلاء له باعلان قسمه عند تتويجه فى كنيسة سان سلفاردور بحماية الامتيازات العامة للنبلاء[٢]، وفى نفس الوقت بتأمين جانبه من ناحية جارته مملكة قشتالة وعقد معها معاهدة مونتياجودو Monteagudo [٣]فى سوريا Soria عام ١٢٩١ من أجل إنهاء النزاع بينهم على تقسيم مناطق النفوذ فى المغرب ، فكان من نصيب أراجون الاحتفاظ بنفوذها فى المنطقة الممتدة من نهر ملوية Myluya فى اتجاه بجايه وتونس ، ومن النهر المذكور غربا فى اتجاه سبتة لقشتالة [٤]، أما عن سياسته تجاه مملكة غرناطة فانتهز النزاع بين بنى أشقيلولة[٥]

١- خايم الثانى ولد فى برشلونة سنة ١٢٦٤ وهو الابن الثانى من أبناء بدرو الثالث وحفيد خايم الأول ، وقد خلف أخيه الفونسو الثالث على العرش ١

Diccionario Enciclopedicos , T I , p. 767 .

٢- Chaytor: op. cit ., p. 132 .

٣- ولأن هذه الاتفاقية قد بدأت فى مونتاجودو ثم بعد ذلك فى سوريا ولأنها تشير إلى نهر ملوية ، فهى عادة تسمى فى التواريخ بأى اسم من الثلاثة .

Prieto : op. cit ., p. 132 .

٤- Cronica de la Corona de Aragon , p. 146 .

Abadia : op. cit ., p. 43 .

٥- ارتبط بنو أشقيلولة مع ابن الأحمر مؤسس غرناطة بالزواج المتبادل بينهما وكان بنو أشقيلولة عضدا لابن الأحمر ، وإن كان ابن الأحمر فى أواخر عهده يستريب بهم ويخشى بأسهم ، وقد ظهرت أعراض انقضاضهم فى عهد محمد الثانى الفقيه . ابن خلدون : العبر ج٧ ، ص١٩٧-١٩٨ / محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٢٩ .

وبين ملك غرناطة محمد الثانى الفقيه (١٢٧٢-١٣٠٢م - ٦٧١-٧٠١هـ) وعقد معاهدة تحالف مع ملك غرناطة [١]، وبذلك نجح فى تأمين الأوضاع الداخلية سياسيا وعسكريا .

وبعد تأمين الوضع الداخلى والخارجى فى شبه الجزيرة الايبيرية ، تفرغ خايم الثانى لقضية النزاع مع فرنسا والبابوية ، فأقدم على عدة خطوات لعزل فرنسا عن حلفائها ، بعقد اتفاق سلام مع جنوة ، ليحرم شارل الثانى من معونتهم البحرية[٢] ، ثم دخل فى عدة مفاوضات - لوجرونا Logrona ، بونتيسو Pontoise وطرسونة Tarazono فى سنة ١٢٩٣ - مع شارل الثانى صاحب أنجو للاحتفاظ بمملكة صقلية [٣]، خاصة وأن البابوية كانت تمر فى تلك الفترة فيما يعرف باسم «أزمة البابوية» [٤]، فانشغلت عن الضغط على خايم الثانى .

وعندما تولى بونفيس الثامن Boniface VIII سنة ١٢٩٤ منصب البابا انتهت الأزمة البابوية ، وعاد الضغط على خايم الثانى من أجل التنازل عن مملكة صقلية والدخول فى طاعة البابوية ، ونجح فى التوصل إلى عقد معاهدة أناجنى فى ٢٠ يونيو سنة ١٢٩٥ [٥]، والتى بموجبها تنازل خايم الثانى عن صقلية وميورقه - وكان قد تم الاستيلاء عليها فى عهد أخيه الفونسو الثالث- لعمه خايم ملك ميورقة [٦]، وذلك فى مقابل الحصول على جزيرتى

١- كان بنو أشقيلولة فى نزاعهم مع محمد الثانى الفقيه ملك غرناطة قد أعلنوا تبعيتهم لسلطان المغرب أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى ، مما دفع محمد الثانى إلى عقد معاهدات مع خايم الثانى وسانشو الرابع العبادى : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص٤٠٣-٤٠٤ .

٢- Chaytor : op. cit , p. 132 .

٣- Abadia : op. cit ., p. 16 .

٤- بعد وفاة البابا نيقولا الرابع فى سنة ١٢٩٢ ظل الكرسى البابوى شاغرا لمدة عامين ، فالبابوية فى مواصلة السلطة الزمنية والمصلحة الشخصية أصبحت إلى حد بعيد مرتبطة بنضال النزاعات الحزبية فى روما ، فقد كان الكرادلة بعد وفاة نيقولا الرابع منقسمين بالتساوى ، وأخيرا وافقوا على البابا كلستين الرابع والذى مالبث أن تنازل بعد خمسة أشهر وتولى وظيفته بونفيس الثامن .

Chaytor : op. cit ., p. 132 .

٥- Masia : Introduccion , op. cit ., p. 195 .

٦- Martin : Historia de España , T III , p. 77-78 .

سردينيا وكورسيكا كهبة من البابوية [١]، ونتج عن هذه المعاهدة زواج خايم الثانى من بلانشا Blancha بنت شارل الثانى ملك نابولى [٢].

وبتحليل المعاهدة يتضح أن هذا الحل من الناحية السياسية كان سلبيا لتنازل مملكة أراجون عن مملكة صقلية وميورقة أما من الناحية الاقتصادية فقد كان مفيدا ، حيث أن جزيرتى سردينيا [٣]، وكورسيكا جعلتا أراجون تتحكم فى منطقة غرب البحر المتوسط[٤] ، إلى جانب أن سردينيا تعتبر محطة فى الطريق إلى الشرق بالإضافة إلى أنها تؤمن تموين كتالونيا بالحبوب والفضة [٥].

وقد وضعت المعاهدة حدا للنزاع بين البابوية وأراجون من عهد أبيه بدرو الثالث ، وألغت قرار الحرمان الكنسى ضد أراجون ، وبدأ عصر جديد دخل فيه خايم الثانى تحت طاعة البابوية، ومنح لقب الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما[٦].

أما بالنسبة للصقليين فقد كانت هذه المعاهدة صدمة لهم فاتهموا خايم الثانى بأنه خانهم وتخلى عنهم[٧] واختاروا فردريك ملكا عليهم[٨]، على الرغم من محاولة البابا الحيلولة دون هذا الاختيار وأجبروا سفراءه على الفرار من بطش الصقليين [٩].

١- Cronica : de la Crona de Aragon , p. 148 .

٢- Lodge : The Close , op. cit . p. 480 .

٣- كانت سردينيا خاضعة لحكم بيزا ، وكانت محلا للصراع بين جنوة وبيزا مما حدا بجنوة إلى مساعدة خايم الثانى فى الاستيلاء عليها فيما بعد.

Imperial : op. cit ., p. 12 .

٤- Martin : Historia de España, T III, p. 78 .

٥- Martin : La peninsula, p. 465 .

٦- Chaytor : op. cit ., p. 136 .

٧- Salovert : (V) , la Pretendida Traicion de Jaime II de Aragon Contra Sicilia , Zaragoza 1962 , p.

٨- Chapman : op . cit ., p. 128 .

٩- Chaytor : op . cit ., p. 136 .

وكان من شروط المعاهدة تعهد خايم الثانى بفرض تنفيذها على أخيه فردريك حاكم صقلية، وفى حالة عدم موافقته يجب عليه إخضاعه بالقوة [١]، وهذا ما لجأ إليه خايم الثانى عند رفض فردريك للمعاهدة ، فأمر بتجهيز أسطوله ليقود الحرب بنفسه ضد أخيه [٢]، واستمرت الحرب بين الأخوين ، فقام فيها خايم بحملتين على صقلية ، وفى الحملة الثانية فى سنة ١٢٩٩م هزم الأسطول الصقلى بالقرب من رأس أورلاند Orlando ، واعتد بذلك أنه فعل مع أخيه مايكفى لتنفيذ التزامه مع البابوية [٣].

واستطاع فردريك ملك صقلية أن يصمد أمام هجمات أخيه وغزوات النابوليين والفرنسيين، وهزم فيليب أمير تارنتو Tarnto فى ترابانى Trapani وتلا ذلك انتصاره على قوات فرنسية[٤]، واستمرت المناوشات بين الجانبين ، صمد فيها فردريك ومعه الصقليون حتى سنة ١٣٠٢م وانتهت بعقد معاهدة كالتوبليوتا Caltabellotta مع شارل الثانى، ومن شروطها أن يكون فردريك ملكا على صقلية أثناء حياته وأن يتزوج من دونيا ليونور ابنة الملك شارل الثانى، ويرجع عرش صقلية إلى بيت أنجو بعد وفاة فردريك الثانى[٥] وبذلك انتهى- إلى حد ما - النزاع الذى استمر من عهد بدرو الثالث فى سنة ١٢٨٢ إلى سنة ١٣٠٢ وانتهت مشكلة صقلية التى كانت بمثابة محور الأحداث فى عالم البحر المتوسط خلال ذلك الوقت .

تميزت تلك الفترة بتشابك أحداثها وتعقيدها وكثرة الأطراف المتنازعة فيها، فأدت إلى زيادة نفوذ أراجون وتداخل سياستها مع سياسة دول البحر المتوسط .

ومن نتيجة معاهدة كالتابليوتا أنه لم يجد الجنود الكتالونيون المرتزقة فى صقلية مايشغلهم ، فأصبحوا مصدر قلق لفردريك الثانى وسرعان ماوجد الفرصة سانحة للتخلص

١- Prieto : op . cit ., p. 53 .

٢- Cronica : de la Crona de Arayon , p. 150 .

٣- Ibid .,

٤- Abadia: op. cit ., p. 18 .

٥- Cronica de la Cornona de Aragon , p. 152 .

Salaver : op . cit ., p. 156 .

Chaytor : op. cit ., p. 39 .

منهم ، عندما طلب أندرونيقوس الثانى إمبراطور الدولة البيزنطية النجدة لانقاذهم من هجوم السلاجقة والأتراك العثمانيين [١]، فاقترح فردريك على أحد قواده وهو روجر دى فلور Roger de Flor[٢] أن يذهب لنجدة إمبراطور الدولة البيزنطية وحققت هذه العصبة الكتالونية بعض الانتصارات البسيطة فى آسيا الصغرى ضد الأتراك بمساعدة فرق الجيش البيزنطى[٣]، بحيث استطاعت دفع الأتراك حتى حدود قليقية Cilicia [٤] وتلا ذلك زيادة نفوذها لدرجة أن روجر دى فلور منح لقب (قيصر) وهو اللقب التالى للقب الإمبراطور ، وقد نشرت هذه الفرقة الفساد والذعر فى الدولة البيزنطية [٥]، ثم استقرت بعد ذلك فى شبه جزيرة جاليبولى Gal-lipoli لتقيم فيها دولة مستقلة لمدة عامين ، واستطاعت فى نهاية الأمر مد نفوذها بالسلاح حتى تراقيا ومقدونيا وتيساليو Tesalio[٦] ثم التحقت بخدمة دوق أثينا وانتهى الأمر بها إلى السيطرة عليها وتكوين دوقية أثينا ونيوباتريا[٧].

وكان تأسيس هذه الدوقية ووجود الكتالونيين فى شرق البحر المتوسط فرصة سانحة لخايم الثانى كى يعتمد عليهم فى تنفيذ سياسته فى شرق البحر المتوسط ، سواء كانت سياسة تجارية أو نقطة ارتكاز له لانتشاره فى حوض البحر المتوسط [٨].

١- Cronica de la Corona de Aragon , p. 175 .

٢- كان روجر دى فلور ابن فارس ألمانى يدعى ريكارد دى فلور Ricardo de Flor لأن روجر قد اتهم بالسرقة أمام مركز فرسان الداوية والذى كان نظامها صارما ، خرج منه وذهب لخدمة دون فردريك ووصل معه إلى مرتبة قائد أميرال .

ويبدو أن المحاكمة كانت بسبب أنه فى حصار عكا قاد سفينة كبيرة للداوية وحقق ثروة ضخمة بما ابتزه من أموال نبيلات عكا وذلك سنة ١٢٩١م - رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٧٠٦ .

٣- حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٩٧ .

٤- Ferrando : (E. M) Jaime II de Aragon su vida Familiar , V I Barcelone 1948., p. 202.

٥- Cronica de la Corono de Aragon ., p. 178 .

حسنين ربيع : نفس المرجع ، ص٢٩٨ .

٦- Ferrando : op. cit ., p. 202 .

٧- حسنين ربيع : نفس المرجع ، ص٢٩٨ .

Cronica de la Corono de Aragon p, 184-185 .

٨- Ferrando : op . cit ., p. 202 .

أما فيما يتعلق بعلاقته مع قشتالة ، فقد أراد خايم الثانى - بعد توليه الحكم مباشرة - التحالف معها ليتفادى فتح جبهة عسكرية جديدة فى شبه الجزيرة وللحصول على دعم الأسلحة القشتالية ضد فرنسا (فتعهد سانشوا الرابع بالدفاع عن شبه الجزيرة فى حالة تعرضها لهجوم فرنسى فى مقابل هذه المساعدات)، يقوم خايم بدعم سانشو بحريا فى حربه مع بنى مرين الذين كانوا يهاجمون جنوب مملكة قشتالة وكذلك فى حربه مع مسلمى مملكة غرناطة[١]، ولهذا الغرض عقدت معاهدة مونتياجودو[٢] وتأكد هذا التحالف بزواج خايم الثانى من الأميرة إيزابل Isabel ابنة سانشو الرابع[٣].

واستمرت العلاقات بينهما فى تذبذب حتى وفاة سانشو فى عام ١٢٩٥، وتولد من جديد العداء بين خايم وأوصياء الملك فرديناند الرابع فقد ساعد خايم على اشعال الحرب الأهلية فى قشتالة بتأييد الفونسو دى لاسردا ضد فرديناند الرابع (١٢٩٥-١٣١٢م) والذى يبلغ من العمر تسع سنوات [٤]، فقد كان خايم يهدف إلى تقسيم مملكة قشتالة والاستيلاء على مملكة مرسية Murcia[٥] فى مقابل تأييده لألفونسو دى لاسردا ، واستطاع الأخير الاستيلاء على ليون بينما استولى ملك أراجون على مدينة مرسية وبعض المناطق الأخرى، فما كان من الملكة الأم دونيا ماريا ملكة قشتالة وزوجة سانشو بعدما رأت صعوبة موقفها إلا أن سعت إلى عقد اتفاق مع خايم الثانى حتى تكسبه إلى جانبها [٦].

تطورت الاحداث بعقد معاهدة صداقة فى سنة ١٣٠٣ بين قشتالة وأراجون ، بمقتضاها التزمت كل من المملكتين بتوحيد قواتهما ضد غرناطة وبنى مرين[٧] والحقيقة أن اهتمام

١- Martin : Historia de España , T p. 77 .

٢- أنظر ، ص .

٣- Cronica de la Corona de Aragon , p. 146 .

٤- Prieto : op. cit ., p. 54 .

٥- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., p. 307 .

٦- Cronica de la Corona de Aragon , p. 155.

٧- Martin : Historia de España , T III , p. 68 .

خايم الثانى تجاه المسلمين فى الأندلس كان أقل من اهتمام قشتالة بهم وذلك لاهتماماته السياسية خارج شبه الجزيرة الايبيرية وتأمين نفسه بعقد معاهدات مع ملوك غرناطة ، ليأمن جانبهم ، بعكس مملكة قشتالة التى كانت أكثر احتكاكا بغرناطة وبنى مرين وتعتبر مملكة غرناطة منطقة نفوذ لها خاصة وأنها تدفع إتاوة وتعلن التبعية لقشتالة .

بدأ خايم الثانى عند توليه العرش محاولة تأمين الوضع الداخلى بعقد معاهدة مع ملك غرناطة [١]، فقد كان خايم الثانى لايتورع من أجل أهدافه عن التحالف مع مملكة غرناطة ضد مملكة قشتالة وقبول سيطرتهم على جزء من أراضى قشتالة إذا ما وافق ذلك خططه [٢].

تميزت الفترة من بداية القرن الرابع عشر الميلادى بكثرة التحالفات وتداخل السياسات والأحداث بين هذه الممالك الأربعة أراجون ، قشتالة ، غرناطة ، بنى مرين) ويهمنا منها التحالف الذى تم بين أراجون وقشتالة للقضاء على مملكة غرناطة (١٣١٠م/ ٧٠٩هـ) وخطة هذا التحالف تتلخص فى الغزو الذى قام به كل من الجيش القشتالى والجيش الأراجونى على مملكة غرناطة فى وقت واحد ، فيقوم الجيش الأول بمهاجمة الجزيرة الخضراء Algeciras من الجنوب بينما تهاجم الأساطيل الأراجونية مدينة المرية من الشرق ثم يتقابل الجيشان أمام مدينة غرناطة [٣]، لكن جيش أراجون تعرض للهزيمة وفك حصاره لمدينة المرية، وسقط ثغر جبل طارق فى أيدى الجيش القشتالى[٤]، ثم استعاده المسلمون بعد ذلك .

وبعد هذه الموقعة تحسنت العلاقات بين خايم الثانى ومملكة غرناطة نتيجة لوجود علاقات دبلوماسية مع مصر فى تلك الفترة ، ويدل عليها تعدد السفارات والرسائل المتبادلة بينهما وتأكيد الملكين خايم الثانى والناصر محمد بن قلاوون على حسن رعاية أتباعهما فى كل من مملكتيهما وتأكيد ملك أراجون فى كل رسائله على حسن معاملته للمسلمين وخاصة الذين تحت حكمه .

١- العبادى : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص٤٠٣-٤٠٤ .

٢- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., p. 188 .

٣- Cronica de la Corona de Aragon , p. 162 .

أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص٤٨ .

٤- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٨٨ .

وفيما يتعلق بموقف خايم الثانى من جزيرتى سردينيا وكورسيكا ، نجد أنه من شروط معاهدة أناجنى أن يمنح خايم الثانى هاتين الجزيرتين تعويضا عن تنازله عن مملكة صقلية ، وقد حصل فى اليوم الرابع من أبريل سنة ١٢٩٧ من البابا بونفيس الثامن على لقب صاحب ممالك سردينيا وكورسيكا [١]، وتلا ذلك بأن أمر البابا فى عام ١٣٠٣ م سكان هاتين الجزيرتين بأن يطيعوا ملك أراجون بينما حذر بيزا وجنوة من التدخل فى هذا الأمر[٢].

فى أوائل عام ١٣٢٢ وجد خايم الثانى الظروف مهيئة لغزو الجزيرتين فأرسل إلى الأسر القوية فى سردينيا للانضمام إليه وتأييده فى احتلال الجزيرة [٣]، فما كان يتمكن من غزوها والاستيلاء عليها بدون مساعدة هذه الأسر[٤].

كلف خايم ابنة الفونسو بأن يبدأ العمليات ليحل محل البيزيين فى تلك الجزيرة التى حصل عليها من البابا ، وفى الخامس عشر من يناير ١٣٢٢م رسا الفونسو فى خليج بالماس Palmas فى سردينيا ، وبعد أن فتح القلاع الأساسية بحملته الصغيرة [٥]، عقد صلحا مع جمهورية بيزا، تنازل بمقتضاه البيزيون لملك أراجون عن كل الحقوق التى يمكن أن تكون لهم فى سردينيا ، وسلموا عددا من القلاع التى كانت لهم وتسلموا إقطاعية كاليير Caller مع الاحتفاظ بسيادة أراجون وعدم إجبار البيزيين على خدمة أو تقديم العون للملك خارج كاليير[٦].

وفى البداية كانت حملات خايم الثانى ضد سردينيا تدعمها جنوة، وكانت ترى فيها إمكانية إنهاء التسلط الاقتصادى لبيزا ولكن سرعان ما أدركت جنوة أن مساعدتها لأراجون ضد بيزا سوف تجعل الأراجونيين يحلون محل البيزيين فى السيطرة التجارية على تلك الجزر ولذلك تراجعوا عن مساعدتهم لأراجون بل وتطور الأمر إلى حد إعلان الحرب ضد أراجون

١- Hillgarth : los Reinis , op. cit ., p. 307 .

٢- Chaytor : op. cit ., p. 139 .

٣- Cronica de la Corna de Aragon , p. 160 .

٤- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., p. 308 .

٥- Prieto : op. cit ., p. 55 .

٦- Cronica de la Corona de Aragon, p. 169 .

مؤيدين نبلاء ثورات سردينيا وهاجموا سفن كتالونيا فى البحر المتوسط ، وبعد ذلك صارت الخصومة بين كتالونيا وجنوة عاملا هاما فى تاريخ البحر المتوسط[1].

وكانت سياسة خايم الثانى الخارجية تتميز من الناحية الدبلوماسية بعمليات المصاهرة ، يمكن القول أن علاقات الزواج جعلت من البحر المتوسط بحيرة كتالونية [2]، فقد كان لكل من هذه الزيجات - والتى أتمها خايم - أهداف سياسية يسعى من أجل تحقيقها .

فالزواج الأول له كان من إيزابل ابنة سانشو الرابع[3]، عقب توقيع معاهدة مونتاجودو ، لضمان حياد سانشو الرابع فى الصراع بينه وبين فرنسا والبابوية .

وبعد عقد معاهدة أناجنى سنة ١٢٩٥ وانتهاء النزاع مع فرنسا أراد خايم الثانى تأكيد هذه المعاهدة بالارتباط برباط الزواج ، فما كان منه إلا أن طلق زوجته إيزابل لانتهاء الغرض السياسى منها وتزوج من دونيا بلانشا ابنة شارل الثانى ملك نابولى[4].

وفى أوائل القرن الرابع عشر كانت اهتمامات خايم الثانى بمنطقة فيما وراء البحار ، من منطلق حصوله على لقب الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما وقائد الجيوش البابوية فى تأكيد نفوذه وزعامته على منطقة بيت المقدس ورعاية مسيحى الشرق فى مصر والشام فتزوج فى عام ١٣١١ من ماريا القبرصية بنت الملك هنرى الثانى صاحب الجزيرة ، خاصة وأنها من الممكن أن تكون ملكة قبرص بالإضافة إلى لقب ملكة بيت المقدس[5] .

وعندما ترمل خايم الثانى فى سنة ١٣١٩ بوفاة زوجته الثالثة ماريا القبرصية [6]، تزوج من ايسلندا دى مونكادا Elisanda de Moncada وهى من عائلة كتالونية مشهورة [7]. ويبدو أنه كان يهدف من هذا الزواج تأمين الوضع الداخلى ومحاولة احتواء أكبر عائلة كتالونية.

١- Martin : Historia de España , T III , p. 78 .

٢- Prieto: op . cit., p. 26 .

٣- أنظر ص .

٤- Cronica de la Corona de Aragon , p. 147 .

٥- Ferrando: op. cit ., p. 199-200 .

٦- Cronica de la Corona de Aragon, p. 164 .

٧- Ibid.

وهكذا شهدت مملكة أراجون تحت حكم خايم الثانى عهدا جديدا ، اتسم بازدهار سياستها الخارجية وإنهاء النزاع مع فرنسا والبابوية بطرق دبلوماسية دون تقديم تنازلات حقيقية عن مكاسبها ، بل على العكس استطاع خايم الثانى أن يزيد من هذه المكاسب ، وجعل لأراجون مركزا سياسيا واقتصاديا كبيرا فى حوض البحر المتوسط تمهيدا لما سوف تكون عليه هذه المملكة فيما بعد، وأصبح الأسطول الحربى لأراجون فى عهده له الكلمة العليا فى حوض البحر المتوسط .

قشتالة فى عهد الفونسو العاشر

ورث الفونسو العاشر الذى لقب بالحكيم El Sabio[١] (١٢٥٢-١٢٨٤م) مملكة قشتالة بعد وفاة والده فرديناند الثالث، وكانت فى أوج اتساعها وعظمتها حيث فتح لها فرديناند الثالث طريق البحرين [٢]، بمساحات واسعة وممتدة من السواحل [٣]، فبذل جهدا كبيرا من أجل الارتفاع بالأساس الذى وضعه والده .

وقد تناول كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين شخصية الفونسو العاشر بالدراسة والتحليل فى كل جانب من جوانبها ، فقد احتل مكانا بارزا فى تاريخ قشتالة خاصة وتاريخ أسبانيا عامة ، ويميل بعض المؤرخين إلى وصفه بأنه من أعظم ملوك أوربا المعاصرين قاطبة لدرجة أنهم وضعوه على قدم المساواة مع لويس التاسع وفردريك الثانى وإدوارد الأول [٤]، فقد تميز هذا الملك بموهبة نادرة أهلته للشهرة بين العلماء والشعراء والسياسيين ، ولم يكن الطريق أمامه ممهدا لتحقيق طموحه فكثيرا ما كانت قلة الموارد الاقتصادية تقف حائلا دون ذلك [٥].

ومن أهم الأحداث السياسية التى واجهته فى بداية حكمه ، كفاحه من أجل الحصول على

١- ولد فى طليطلة ، الثالث والعشرين عام ١٢٢١ وكانت أمه بياتريث دى سوابيا حفيدة فردريك الثانى إمبراطور ألمانيا . Cran : Enciclopedia, p. 645 .

٢- اشبيليه على المحيط الأطلنطى ، ومنطقة مرسية على البحر المتوسط .

٣- Pelayo : op . cit , op . 33 .

٤- سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ، ص٥٤٢ .

٥- Tout : op. cit . p. 475 .

منصب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، بعد وفاة فردريك الثانى عام ١٢٥٠م [١]، عن طريق إعلان حقوق أمه بياتريث دى هونشتاوفن فى دوقية سوابيا "Suabia" [٢].

فقد تنازع على هذا المنصب الكثيرون ، منهم الفونسو العاشر وريتشارد ايرل كورنويل Richard of Crnwall وبعض الأمراء الألمان ، وازداد اشتعال المنافسة خاصة بعد وفاة وليم الهولندى، وأصبح منصب الإمبراطور شاغرا فى عام ١٢٥٦ [٣]، وبذلك كان على الفونسو العاشر أن يبذل جهدا كبيرا لنيل حقه الإمبراطورى ، ومما ساعد الفونسو على ذلك أنه نال تشجيع البابا اسكندر الرابع (١٢٥٤-١٢٦١م) بجانب تأييد جمهورية بيزا له، فقد أرسلت سفارة إلى الفونسو لإقناعه بقبول المنصب الإمبراطورى [٤].

وعلى الرغم من وجود أمير قوى وهو اوتكار Ottokar أمير بوهيميا Bohemia فإنه لم يستطع الحصول على التأييد من الهيئة المنتخبة [٥]. والمكونة من سبعة ناخبين ، ثلاثة من رجال الدين وأربعة من العلمانيين .

فقد انقسم الناخبون إلى فريقين ، الفريق الأول مكون من أربعة ناخبين اختاروا الفونسو العاشر، والفريق الثانى مكون من ثلاثة ناخبين اختاروا ريتشارد كورنيل[٦] ، وهذا الاختيار

١- بوفاة فردريك الثانى فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، خرجت البابوية منتصرة فى صراعها مع أسرة الهونشتاوفن ، وبدأت توزيع أملاك هذه الأسرة على ملوك أوربا وأمرائها ومنها كان منصب إمبراطور الدولة الرومامنية المقدسة والذى تنازع عليه الكثيرون ، أنظر : سعيد عاشور: أوربا ، ج١ ، ص٣٩٢-٣٩٣ .

أيضا : فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ق١ ، ص٢٥٤-٢٥٥ .

٢- Masia: Introduccion, op. cit ., p. 171 .

٣- فشر : نفس المرجع ، ق١ ، ص٢٥٧ .

٤- Zuniga : op. cit ., p. 191 .

Hillgarth : los Reinos , p. 368 .

٥- Previte : (O. C. W) A history of Europe, London , 1951 , p. 141 .

٦- Loayasa : op. cit ., p. 81 .

Martins: La peninsula, p. 424 .

رأفت عبدالحميد : الملكية الألمانية : ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، المجلد الثانى، ص١٣٧ .

يدل على سخاء[١] كل من الفونسو وريتشارد ، فالأول دفع عشرين ألف مارك لكل من دوق بارابانت Brabant ورئيس أساقفة تريفز Treves وهوشتدن Hochstaden ولويس أمير بافاريا Bavaria ، أما ريتشارد ، فدفع ثمانية آلاف مارك إلى رئيس أساقفة كلونى Go-logne وميتز Meinz وكونت بلاتين . Palatine [٢].

وقد أرسل الناخبون الأربعة سفارة إلى الفونسو لعرض المنصب عليه ، فقوبلت بحفاوة بالغة ووزعت عليهم الهدايا الكثيرة[٣] ، لكن ريتشارد كورنويل كان أكثر حظا فقد توج فى إكس لاشابل Aix - La- Chapelle وقام بزيارة ألمانيا لأربع مرات على عكس الفونسو الذى - رغم وعوده الكثيرة - لم يتمكن من ذلك [٤].

وفى سنة ١٢٧٠ حاول الفونسو عن طريق إغداق الأموال إعادة ترشيحه بعد وفاة ريتشارد كورنويل [٥]، لكن انتهت فترة الشغور الألمانية (١٢٥٦-١٢٧٣م) بتولى رودلف الأول هابسبورج إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية[٦].

وفى الواقع لم يستمد الفونسو من منصب الإمبراطور أى ميزة[٧] ، بل على العكس من ذلك كان من نتيجة مسعاه للحصول على اللقب أن أدى ذلك إلى حدوث أزمة اقتصادية أدت

١- لم يطلب هؤلاء الناخبون من المؤهلات فى المرشح الإمبراطورى بعد ذهاب الهونشتاوفن إلا أن يكون هذا المرشح أجنبيا غير ألمانى لاتهمه الإقامة فى ألمانيا ، على أن يكون عليما بقيمة الأصوات السبعة الناخبة، مستعدا لدفع أثمانها . فشر أوربا ، ق١ ، ص٢٥٧ .

٢- Wiegler : Op. cit ., p. 281-282 .

Previte : op. cit ., p. 141 .

Masia : Introduccion, p. 172 .

٣- Loaysa : op. cit ., p. 81 .

٤- Hillgarth; los Reinos, op. cit ., p. 368 .

Previte : op . cit ., p. 147 .

٥- Hillgarth: los Reinos, op. cit . p. 368 .

٦- رأفت عبد الحميد : الملكية الألمانية ، ص١٣٧ .

٧- Pirenne : op. cit ., p. 209 .

بدورها إلى ثورات النبلاء ضد سياسته ، وقد نشأت هذه الأزمة نتيجة لحروب قشتالة المستمرة بينها وبين جيرانها بجانب الرفاهية المتزايدة لسكانها أواخر عهد فرديناند الثالث أوجد أزمة اقتصادية ظهرت بوادرها فى بداية حكم الفونسو العاشر ، ولذلك فبعد توليه الحكم مباشرة اتخذ عدة إجراءات اقتصادية كان أهمها تحسين قيمة العملة ، وتثبيت الحد الأقصى لأسعار العديد من البضائع ، ووضع حدود للنفقات إلى جانب تحريم تصدير الحيوانات والمنتجات الغذائية وكان ذلك لإصلاح الاقتصاد القشتالى [١].

لكن هذه الإجراءات لم تفلح فى إصلاح الاقتصاد القشتالى فقد استنفدت انتخابات الإمبراطور كثيرا من الأموال ، فقد أغدق الفونسو الأموال والهدايا على الناخبين لمنصب الإمبراطور، لأنه كان مولعا بالتفاخر والتباهى وترتب على ذلك أنه فرض الضرائب المتعددة على الأهالى[٢] ، وازداد إنفاق موظفى الحكومة ورجال البلاط على الحفلات والهدايا[٣] ، على الرغم من الاتفاقيات التى عقدها فى سنة ١٢٥٢م مع التجار لكنها لم تكن كافية لكبح جماح رفع الأسعار فى الوقت الذى كانت شبه جزيرة ايبيريا تحت وطأة الحروب الطاحنة المستمرة مما أثر على الوضع الاقتصادى للبلاد[٤].

ولما ازدادت الأزمة الاقتصادية لجأ الفونسو إلى الغش فى صك العملة مرتين بانقاص وزنها[٥]، ثم خفض الجزية التى تجبى من مملكة غرناطة[٦] ، وترتب على ذلك انهيار الاقتصاد القشتالى وحدوث الأزمة الاقتصادية .

وقد قامت عدة محاولات أخرى لإصلاح الوضع الاقتصادى فى قشتالة ، فاجتمع لذلك الكورتيس فى بلد الوليد سنة ١٢٥٨م فى محاولة لإعادة تنظيم الاقتصاد القشتالى من خلال

١- Zuniga : op. cit ., p. 190-191 .
Martin : Histria de España, T III , p. 43 .

٢- Loaysa : op . cit , p. 81 .

٣- Cam. Med . Hist , V. 7 , p. 569 .

٤- Martin : La penisula , p. 425 .

٥- Cam .. Med .. Hist ., V . 7 , 569 .

٦- Chapmen : op. cit ., p. 113 .

سلسة من الإجراءات ، أهمها : إصدار القوانين الخاصة بتحديد الترف والقواعد الخاصة بالقضاء على الفوارق بين الطبقات الاجتماعية فيما يتعلق بالملبس ، كما اتجه أيضا إلى تخفيض الإنفاق الحكومى بالإضافة إلى تحديد نفقات الملك ومصاريف رجال القصر[١] . ولكن ذلك كله لم يؤدى إلى نتيجة تذكر فلم يلتزم الفونسو بتنفيذ هذه الإجراءات مما دفع الكورتيس إلى الاجتماع بالملك فى سنة ١٢٦٨ م لمحاولة إصلاح الاقتصاد القشتالى من خلال إجراءات اقتصادية جديدة كان أهمها عدم تغيير الملك للعملة (أى الغش فى صك العملة) وتوحيد الموازين والمقاييس وتحريم تصدير الذهب والفضة إلى جانب العديد من الإجراءات[٢] ولكنها لم تؤد إلى نتيجة ملموسة .

ولم يكترث الفونسو بهذه الإجراءات بالإضافة إلى حقوق النبلاء والسياسة غير الشرعية التى اتبعها بتخليه عن ولاية الغرب الأندلسية (الجرف) Algarves لملك البرتغال فى سنة ١٢٥٤ ، وهذا التخلى الإقطاعى نظير ارتباط وتوكيد تبعية هذا الملك إلى ملك قشتالة [٣]، وقبل ذلك أعطى إقليم جاسقونيا Gascony [٤]، إلى انجلترا وكل الذى ناله أن اعترف بسلطانه على هذا الإقليم [٥].

اعتبر النبلاء هذه الانتهاكات التى قام بها الملك إساءة لاستعمال السلطة الملكية ، وتجمعت كل هذه العوامل السابقة لتؤدى إلى ثورة النبلاء ضد الفونسو العاشر التى بدأت فى نهاية سنة ١٢٦٩ بتمرد النبلاء بزعامة نونيو دى لارا [٦]، وسانشو الرابع استغل هذا التمرد بعد ذلك ضد أبيه للحصول على العرش القشتالى .

١- Martin: La Peninsula , op. cit ., p. 426

٢- Ibid , p. 427 -428

٣- Cam .. Med .. Hist., V 7 , p. 569

٤- كانت بائنة (دوطة) لزوجة الفونسو الثامن جدة الفونسو العاشر Ibid

٥- Chapman op cit p 113

٦- Martin Historia de Espana p 46-47

كان ولى العهد الابن الأكبر لألفونسو وهو فرديناند دى لاسردا Fernando de la Cerda والمتزوج من إحدى بنات لويس التاسع ملك فرنسا قد توفى قبل أبيه [١]، فقد قتل فى معركة عندما حاول وقف تقدم بنى مرين سنة ١٢٧٥م[٢]، فأصبح حسب قوانين الفونسو العاشر يتولى خلاقته أبناء فرديناند دى لاسردا مما أدى إلى تمرد سانشو على هذا الوضع ونادى بأحقيته فى العرش وقاد ضد أبيه حركة تمرد كبيرة ، وبدأت بين الأب والابن حرب لم تكن صغيرة بل أدت إلى دمار وخراب قشتالة [٣].

بدأ سانشو الانضمام إلى ثورة النبلاء وجلب التأييد له من المدن ، وأرسل الرسائل إلى مختلف أنحاء قشتالة يطلب تعضيده ، وعودة النبلاء المغضوب عليهم من أبيه الذين طردوا من المملكة ، ووعدهم باعادة أملاكهم إليهم فى حالة حضورهم إليه فى بلد الوليد [٤]، وانضم إلى تأييده . ملك البرتغال الذى كان على علاقة سيئة بالفونسو [٥]، بالإضافة إلى تأييد مملكة غرناطة له فى مقابل مدينتين بقيتا على إخلاصهما لألفونسو وهما أشبيلية ومرسية [٦].

اسغتل سانشو تمرد النبلاء وتذمرهم من كثرة الضرائب فاجتمع بالبارونات والنبلاء والمجالس البلدية من أجل الإعلان بأن الملك يبتزهم بشكل لايطاق ، وهذه الضرائب الكثيرة والابتزازات وحدت بين البارونات والنبلاء والمجالس البلدية فى قشتالة وليون[٧] ، واجتمعوا فى بلد الوليد سنة ١٢٨٢ ووقعوا تضامنا بينهم وأعلنوا عزل الفونسو عن العرش [٨]، ولم يجد ألفونسو أى

١- Cran : Enciclopedia, op. cit ., p. 645 .

٢- Martin : La peninsula, p. 430 .

عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب، ص. ٢٥ .

٣- Loaysa : op. cit ., p. 117 .

٤- Rosell : op. cit ., p. 60-61 .

٥- Ibid .

٦- Hillgarth : los Reinos, T I , p. 362 .

٧- Loaysa : op. cit ., p. 115 .

٨- Cam .. Med .. Hist., V . 7 , p. 620 .

Chpman : op. cit ., p. 114 .

مساندة من القوى المسيحية سواء فى شبه جزيرة ايبيريا أو من فرنسا ، مما دعاه إلى أن يلجأ إلى بنى مرين فى المغرب مستنجدا بهم على ابنه [(١)].

أجاب ابن يوسف سلطان بنى مرين استغاثة الفونسو ، وعبر معه المضيق إلى أسبانيا واتجه إلى قرطبة وضرب حولها حصارا لكنه لم يستطع دخولها، ثم واصل زحفه على طليطلة وعاث فى نواحيها فسادا واستمر فى زحفه إلى مجريط (مدريد) ثم عاد إلى المغرب محملا بالغنائم بعد أن يئس من نجدة الفونسو [(٢)]. وعاد الفونسو إلى أشبيلية إلى أن توفى فى عام ١٢٨٤م/ ٦٨٣هـ.

وفيما يتعلق بعلاقته مع مسلمى الأندلس وشمال أفريقية ، ففى بداية حكمه كانت مملكة غرناطة تدفع اتاوة لأبيه قبل وفاته وتخضع خضوعا إقطاعيا له، واستمرت فى تقديم هذه الالتزامات فى عهد الفونسو لدرجة أن ملك غرناطة كان يحضر الاحتفالات والمناسبات فى مملكة قشتالة، وعلى سبيل المثال عند الاحتفال بتنصيب الفونسو العاشر إمبراطورا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة كان ملك غرناطة من بين الحضور[(٣)]، وذلك فى الاحتفال بذكرى القديس فرديناند السنوية [(٤)].

لم يمنع ذلك ألفونسو من تنفيذ سياسته متى حانت اللحظة المناسبة لذلك ، ففى سنة

١- Rosell : op. cit ., p. 62 .

ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص٢٠٥ .

ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج١ ، ص٥٧٢ .

٢- Loaysa : op. cit ., p. 83 .

٣- ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص٥٦ / ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص٢٠٥ محمد عبدالله عنان: نهاية الأندلس ، ص٨١ .

٤- ابن الأحمر ملك غرناطة أرسل إلى الملك دون الفونسو شخصيات كبيرة فى هذه المناسبة ومعهم مائة بيدق ، وكان يحمل كل منهما شمعة بيضاء مشتعلة وهذه المائة شمعة كانت توضع حول قبر الملك دون فرديناند، وكان يفعل ابن الأحمر هذا تشريفا للملك .

Rosell : op. cit ., p. 8 .

١٢٦٠م أخذ على عاتقه تحقيق رغبة أبيه بالقيام بحملة صليبية على شمال أفريقيا [١]، فأمر بالاستعداد وتجهيز الامدادات لبدء الحملة ، وتلقى مساعدات ملك أراجون واشترط عليه عدم مهاجمة أراضى تونس التى تتمركز فيها تجارة كتالونيا ، ومن نتيجة هذه الحملة غزو سلا Sale فى سنة ١٢٦٠ م[٢] والتى فشل فى الحصول عليها وإن كان قد عوضها بالنصر على مسلمى مملكة نيبلا سنة [٣].

وانشغل الفونسو فى مسعاه الدائم من أجل الحصول على منصب إمبراطور للإمبراطورية الرومانية المقدسة الى جانب الأوضاع الداخلية وأهمها اضطرابات النبلاء والأزمة الاقتصادية ، ولذلك اكتفى بالحصول على اتاوة من غرناطة ، وعندما بدأت محاولة (غرناطة) التمرد على هذا الوضع والاستعانة لأول مرة منذ قيامها فى سنة ١٢٦١م / ٦٦٠هـ ببعض القوات المتطوعة والمجاهدين من المغرب، وأخذت تتطلع إلى ما يجاورها من أراضيها المفقودة [٤]، مما جعل الفونسو يخشى هذه المبادرة على خططه وغزواته ، وبخاصة من تضاعف الإمداد من وراء البحر، فأخذ فى مهاجمة مملكة غرناطة وأنزل الهزائم بابن الأحمر الذى لم ير مناصا من أن يهادن ملك قشتالة فى سنة ١٢٦٧م، وتنازل له عن عدد كبير من القلاع والحصون [٥].

ونتيجة لاستنجاد ملك غرناطة محمد الأول بن يوسف بن الأحمر بالسلطان أبى يوسف سلطان بنى مرين ضد الممالك المسيحية ، عبر أبو يوسف إلى الأندلس فى سنة ١٢٧٥م وتقابل مع الجيش القشتالى حيث هزم هزيمة شديدة [٦]، وقتل فيها ولى عهد الفونسو العاشر ، فرديناند دى لاسردا [٧].

١- Beretta : (A . B) la toma de Sale en timpos de Alfonso, Al- Andalus Vol, 8 , 1943 , p. 99-100 .

٢- Ibid .

٣- Martin ; Historia de España , T III , p. 40 . Martin : La Peninsula , p. 427 .

٤- عنان : نهاية الأندلس، ص٣٥ .

٥- نفس المرجع ، ص٣٥-٣٦ .

٦- عبد الرحمن الحجى : تاريخ الأندلس ، ص٥٣٦-٥٣٧ .
محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٧٦ .

٧- Martin ; la Peninsula , p. 430 .

واجه الفونسو العاشر بعد ذلك متاعب جمة من النبلاء وابنه سانشو الذى تمرد عليه بعد مقتل أخيه الأكبر فرديناند دى لاسردا ، وهذه الاضطرابات جعلت مملكة غرناطة يشتد ساعدها ودخلت فى الصراعات القشتالية بتأييدها لسانشو ضد أبيه [١].

ارتبطت شخصية الفونسو العاشر فى التاريخ بالجانب العلمى أكثر من الجانب السياسى، نتيجة لما تَركه من آثار فى تاريخ أسبانيا العلمى ، فالجانب العلمى قد أعطى له مكانة كبيرة فى التاريخ، يدل على ذلك لقبه "El Sabio" أي العالم أو الحكيم ، حتى أن بعض المؤلفات شبهته بسليمان ابن داود[٢].

ويعد عصره ، عصر نهضة علمية فى أسبانيا المسيحية فقد كان بلاطه يعج بالمؤلفين والفنانين، وهم على التقريب من فرنسا والمجلترا وإيطاليا والبرتغال وبيزنطة ومن عرب أسبانيا، وكانت لهم الصدارة فى مجلسه ، وكان يحضر إلى بلاطه علماء من أنحاء العالم الإسلامى وبخاصة مصر[٣].

برع الفونسو فى كافة المعارف ووضعت فى عهده العديد من المؤلفات وأهمها فى التشريعات والقوانين ، فقد أكمل ما بدأه والده فى عمل تشريع للملكة[٤]، وأصدر كتاب الألعاب "Siete Partidas" وهو مقسم إلى سبعة أجزاء شاملة لمجموعة قوانين مصنفة من القوانين الرومانية والقوطية والعرف المحلى والقرارات المتنوعة للمجالس العظمى [٥]، ولو أنه ظل مهملا فى عصره إلا أنه سرعان ما أصبح قانون أسبانيا العام فى سنة ١٤٩٢م[٦].

أما فى التاريخ : فإنه وضع المدونة العامة يشغل الحديث عن النبى محمد صلى اله عليه

١- Hillgarth , los Reinos, T I p. 362 .

٢- Pelayo : op. cit ., p. 37 .

موريس (خوسيه ميجيل رويث): العلاقات الثقافية بين أسبانيا والعالم العربى، ص١٣ .

٣- Keller : Aflonso X , p. 74 .

٤- Rosell : op. cit ., p. 8 .

٥- Lodge: The end of The Middle Ages , London , 1924 , p. 244-5 .

٦- ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٥ .

وسلم ثلاثين فصلا من فصول الكتاب (من ٤٦٦-٤٩٤)[١] وكذلك عالج فيها التاريخ العام لأسبانيا "Primera "Cronica general de Espana واعتمد فيه على مصادر عربية كثيرة لكنه لم يخلو من الأساطير ، ورغم ذلك فيعتبر من أهم مصادر التاريخ الأسبانى فى العصور الوسطى[٢].

أما فى الأدب والموسيقى: فكان الفونسو شاعرا وموسيقيا نظم نحو أربعمائة وخمسين قصيدة بعضها باللغة القشتالية وبعضها باللغة الجليقية - البرتغالية ، ولحن الكثير منها ، ومازالت هذه القصائد باقية حتى اليوم، أثرا خالدا لأغانى العصور الوسطى[٣]، وكان فى شعره متأثرا بالأوزان فى الشعر العربى، ووضع الأنشودة الخالدة أنشودة القديسة مريم[٤]. "The Cantigas de Santas Maria" .

أما فى الفلك فوضع جداوله الفلكية الشهيرة المسماة «الجداول الألفونسية» على يد جماعة من العلماء المسلمين واليهود والنصارى[٥]، وفيها صحح بعض الأخطاء فى الحسابات القديمة وساعد فى شرح حركة النجوم[٦].

وفى الترجمة - التى مثلت ثورة علمية فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى فى تاريخ قشتالة ، اهتم الفونسو بحركة الترجمة وخاصة ترجمة الذخائر والمؤلفات الأجنبية وبخاصة العربية منها ، وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة الأسبانية وأوصى أيضا بترجمة الكتب العربية مثل كليلة ودمنة فى سنة١٢٥١م وسندباد وأنشأ خصيصا لذلك مدرسة المترجمين فى طليطلة[٧].

١- Pidal : Primera Cronica, p. 852-853 .

ترند : أسبانيا والبرتغال (تراث الإسلام) ، ج١ ، ص٦١ .

٢- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٨٠ .

٣- ديورانت : قصة الحضارة ، م ٤ ، ج٤ ، ص٢٤٣ .

٤- Keller : op. cit ., p. 74 .

٥- Pidal : op. cit ., p. 852 .

محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٨٠ .

٦- Lodge : op . cit , p. 244 .

٧- Pidal : op. cit ., p.852 .

موراليس : العلاقات الثقافية بين أسبانيا والعالم العربى، ص١٣-١٤ .

إلى جانب اهتمامه بأنواع المعرفة الأخرى ، ألف كتبا فى الألعاب مثل الداما والشطرنج والنرد والملاحة والكيمياء والفلسفة وأمر بترجمة الكتاب المقدس من اللغة العبرية إلى القشتالية [1].

وقد بذل الفونسو جهدا كبيرا فى الإصلاحات الاقتصادية والسياسية الداخلية لكنها لم تكن مجدية ، واتهمه بعض المؤرخين بأن سياسته فى الحكم فاشلة ، وكانت سببا لما تعرضت له قشتاله بعد عهده من اضطرابات وفوضى .

قشتالة بعد عهد الفونسو العاشر

تعرضت مملكة قشتالة بعد عهد الفونسو العاشر لاضطرابات كثيرة[2] من جراء النزاع على العرش ، فقد بدأت هذه المشكلة فى الظهور أواخر عهد الفونسو العاشر عندما تمرد عليه ابنه سانشو نتيجة للقانون الجديد الذى أصدره الفونسو والخاص بولاية العهد، وبمقتضاه يكون حق الوراثة لأبناء الأمير الأكبر ، وولى العهد فرديناند الذى قتل فى معركة مع بنى مرين سنة ١٢٧٥م.

استغل سانشو سخط النبلاء وأعلن الثورة على أبيه معلنا خلعه عن العرش فى بلد الوليد سنة ١٢٨٢م ، واستمر النزاع بين الأب والابن حتى وفاة الفونسو العاشر فى سنة ١٢٨٤م، وعلى الرغم من وفاة الفونسو العاشر فان ذلك لم يضع حدا للحرب الأهلية ، فقد أعلن التمرد ضد سانشو أخوه خوان الذى تركه الفونسو حاكما على أشبيلية ، فلجأ سانشو إلى طلب

١- ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٣ .

٢- التاريخ الداخلى لمملكة قشتالة خلال الفترة يمكن ايجازه فى أن عهود الملوك سانشو الرابع وفرديناند الرابع والفونسو الحادى عشر بدأت ومعها مشكلات كبيرة أثيرت فى الفترة الأولى، فى عهد سانشو بسبب المواجهة بينه وبين الفونسو العاشر، فى العهدين الأخيرين (لفرديناند والفونسو) بسبب صغر سن الملكين عند بدء حكمهما وسيطرة الأوصياء عليهم.

Martin : La Peninsula , p. 470 .

٣- فى وصية الفونسو العاشر الأخيرة ترك أخوة سانشو الرابع : خايم وخوان كورثة له على مرسية وأشبيلية ، بادخوث Padejoz أما بقية المملكة لأمراء دى لاسردا Ibid . p. 471 .

مساعدة بنى مرين بجانب أولاد دى لاسردا الذين التمسوا مساعدة من المسلمين فى غرناطة ومن ملك أراجون[١].

بدأ حلفاء سانشو فى الانقضاض من حوله- نتيجة لقسوته فى معاملة خصومه - وتأييد المطالبين بالعرش ، أولاد دى لاسردا [٢]، خدمة لمصالحهم الخاصة. فقد صحبتهم جدتهم الملكة دونا فيولانت وفرت من مملكة قشتالة ولجأت إلى أخيها ملك أراجون [٣]، الذى رأى انتهاز هذه الفرصة السانحة له، باحتجاز أولاد لاسردا عنده ، ليكونوا ورقة رابحة يهدد بها سانشو ويطمئن على ظهره فى صراعاته الخارجية.

تعرض سانشو الرابع لتمرد النبلاء بعد أن كانوا مؤيدين له مطالبين بزيادة الامتيازات لهم، فلقوا معارضة شديدة من سانشو، فقد كان من المستحيل أن يتنازل لهم عن سلطاته المطلقة، فلقوا معارضة شديدة من سانشو، فقد كان من المستحيل أن يتنازل لهم عن سلطاته المطلقة[٤]، وعمد إلى الدس والعمل على التخلص من خصومه ، وبدأ فى مطاردتهم بقسوة متناهية ولذلك لقب بالمتوحش "El Brave" [٥].

أما بالنسبة للسياسة الخارجية ، فحاول سانشو تحسين علاقاته مع ممالك أراجون وفرنسا والبرتغال [٦]، وخاصة مملكة أراجون التى كانت يتوجس منها شرا بسبب مساعدة الفونسو الثالث لالفونسو دى لاسردا فى المناداة به ملكا لقشتالة فى جاقة "Jaca" غرب البرنية فى

١- Cam .. Med .. Hist .. vol . 7 , p. 572 .

٢- فالفونسو وفرديناند دى لاسردا أبناء الأمير فرديناند ومعهم أمهم بلانكا ، لعبوا دورا بارزا فى تاريخ العصر الوسيط القشتالى، فأسماؤهم كانت تستخدم لتبرر المواجهة بين أعوان آل لارا وأعوان آل أرو وحول أسماؤهم تجمع حلفاء الفونسو العاشر فى مواجهة سانشو الرابع ، وكان لهم دورا فى الحروب بين قشتالة وأراجون وفرنسا لتأييد سانشو الرابع ، وكان لهم دور فى الحروب فى نهايات القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر .

Martin : Historia de España, T III , p. 51 .

٣- Loaysa : op. cit ., p. 109 .

٤- Chapman : op. cit ., p. 114 .

٥- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص١٢٨ .

٦- Rosell : op. cit ., p. 85 .

سنة ١٢٨٨ مما أدى إلى حرب بين الفونسو الثالث ملك أراجون وسانشو الرابع ، انتهت بعقد الهدنة بينهما [١].

وعندما تولى خايم الثانى بعد وفاة أخيه فى سنة ١٢٩١م أرسل إليه سانشو يرحب بحكمه وعقد معه معاهدة مونتياجودو [٢]، وأكد هذا التحالف بزواج خايم من ابنته ايزابلا[٣]، طمعا فى استقرار الأحوال الداخلية والخارجية .

أما عن مملكة غرناطة فآثر السلم معها ، فقد كان ابن الأحمر من جانبه يتوق إلى عقد مثل هذه الهدنة مع قشتالة ، لما كان يساوره من جزع من جراء تدخل سلطان المغرب أبى يوسف المنصور فى شئون الأندلس بصورة خشى معها على سلطانه [٤].

ونتيجة لتوجس ملك قشتالة من تدخلات سلطان المغرب فقد حذر ابن الأحمر من نيات المغاربة ومن استيلائهم على الثغور الأندلسية ولاسيما ثغر طريف الذى يعد مدخلا للجزيرة ، وتفاهم الملكان على انتزاع هذا الثغر من المغاربة واشترط ابن الأحمر أن يسلم إليه ثغر طريف عقب انتزاعه[٥] .

لكن لم يلبث ملك قشتالة أن نسى وعوده السابقة لملك غرناطة ورفض تسليمه ثغر طريف بل واحتفظ أيضا بالحصون الغرناطية التى كان قد سلمها محمد الثانى إليه ، مقابل تسليمه ثغر طريف ، وترتب على ذلك أن ثار ملك غرناطة لهذه الخدعة ولم يجد وسيلة أمامه سوى العبور إلى سلطان المغرب أبى يعقوب سنة ١٢٩٣م/ ٦٩٢هـ ليطلب منه الصفح والمعاونة على استرداد ثغر طريف [٦].

وهاجمت الجيوش والأساطيل الإسلامية طريف ، لكنها فشلت فى الاستيلاء عليه، وأرجعت

١- Cam .. Med.. Hist ., p. 572 .

٢- أنظر خايم الثانى وسياسته الخارجية .

٣- Rosell : op . cit ., p. 85 .

٤- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص١٢٨ .

٥- نفس المرجع ، ص٨٤ .

٦- أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص٤٠٦ .

المصادر الأسبانية ذلك إلى شجاعة قائد الحامية جوثمان الطيب Guzman el Bueno[١]، الذى فضل أن يذبح المسلمون ولده أمام عينيه على أن يسلم المدينة[٢].

ووجع سانشو بعد ذلك اهتماماته للقضاء على تمرد النبلاء ومحاولة احتواء مطالبهم والتوفيق بين أسرتى أرو ولارا [٣]، وهما مبعث كل تمرد وظل كذلك إلى أن توفى فى سنة ١٢٩٥م .

وبعد وفاة سانشو فى مدينة طليطلة ، اجتمع البارونات وأصدروا قرارا موحدا بتعيين الأمير دون فرديناند الابن الأكبر وخليفة سانشو الذى كان يبلغ من العمر عشر سنوات [٤]، وتولت أمه ماريادى مولينا Maria de Molina الوصاية عليه .

ووجدت الأم نفسها فى موقف صعب للغاية، فرأت نفسها بمفردها وقد هجرها الجميع ، وساندوا تطلعات أولاد دى لاسردا ، والتى تجددت فكل من أراجون والبرتغال ، وغرناطة ، وفرنسا ، وتوصلوا بمساعدة النبلاء المتمردين إلى اتفاق فيما بينهم على تقسيم قشتالة [٥]، وكانت حجتهم فى ذلك ، عدم شرعية تولى فرديناند الرابع لعدم اعتراف البابا بزواج سانشو من ماريا دى مولينا[٦].

١- Chapman : op. cit ., p. 114-115 .

Masia: Introducion , p. 177 .

٢- Cam .. Med .. Hist ., v . 7 , p. 572 .

٣- الخصومة بين آل لارا وآل أرو ترجع للقرن الثانى عشر ، كلتا الأسرتين كانت ذات خط متساو فى الثروات ، وكل واحدة كانت تعتبر نفسها ذات حق فى قيادة طبقة النبلاء والتحكم سياسيا واقتصاديا فى مملكة قشتالة من أجل خدمة الملك ، إذا كان ممكنا أو مواجهته إذا ما مال لأى فرد من العائلة الأخرى .

Zuniga: op. cit ., p. 323 .

٤- Martin : La peninsula. p. 424 .

Loaysa: op. cit ., p. 161 .

٥- Masia : Introduccion . p. 178 .

٦- وكان البابا قد اعترف بهذا الزواج فى سنة ١٣٠١م .

Hillgarth : los Reinos . T I , p. 364 .

ورأى النبلاء الفرصة سانحة للحصول على مكاسب عديدة وسط هذه الأخطار، بالإضافة إلى ظهور عدو جديد من شركائها فى مجلس الوصاية ، وهو الأمير هنرى "Enrique" وهو عم أبو الملك الصغير [١]، وكان من المتعذر تهدئة دون خوان Juan أخى سانشو الرابع الذى كان يلاقى العون بواسطة ملك غرناطة [٢].

انتهز خايم الثانى ملك أراجون هذه الاضطرابات وأطلق الفونسو دى لاسردا إلى قشتالة مع جيش أراجونى ليتوج ملكا فى ساهاجون "Sahagun" ليون وكل ذلك فى مقابل تنازل الفونسو دى لاسردا لخايم الثانى عن منطقة مرسية [٣].

بدأت الأم تسير حكومة ابنها على شئ من الحذر ومارست سياسة استمالة القوى الخارجية إليها، وشرعت فى محاولاتها لاكتساب صداقة البرتغال ، وأرسلت سفراءها إلى ملك البرتغال لطلب اقتران ابنها الطفل بدونا كونستانس ابنة ملك البرتغال ، وفى الوقت نفسه بين الفونسو الابن الأكبر ووريث هذا الملك بدونا بياتريث Beatriz أخت الملك فرديناند الرابع [٤].

نشأت انقسامات بين أعدائها [٥]، مما أدى إلى تدخل البابا الذى اعترض على اعتداء أراجون على قشتالة ، وأمر بانسحابها من منطقة مرسية[٦] واستطاعت الأم أن تسيطر على النبلاء الثائرين إلى أن وصل الملك للسن الذى مكنه من ممارسة شئون الحكم، وإن كانت فترة حكمه قصيرة استمرت حتى وفاته سنة ١٣١٢م .

ترك فرديناند الرابع ابنا واحدا فقط ، وهو الفونسو الحادى عشر، البالغ من العمر سنة واحدة ، وبذلك دخلت قشتالة فى موجة من الاضطرابات والمنازعات على العرش.

١- Watts: Spain , p. 176 .

٢- Ibid .

٣- Hillgarth : los Reinos, T I , p. 365 .

٤- Loaysa : op. cit ., p. 191 .

٥- Hillgarth : los Reinos , T I p. 365 .

٦- Watts: op. cit ., p. 177 .

وكانت أولى المشكلات هى التنازع على الوصاية التى انتهت بتوزيع الوصاية بين اثنين من البيت الملكى ، وهما دون فيليب Don Felipe ودون خوان مانويل Don Juan [١].

مارست الملكة الأم جدته نفس الدور السابق مع ابنها فرديناند الرابع، التى بدت قوية صارمة أمام ما يعترضها من مشاكل وزادت خبرتها من معالجتها للمشكلات الكبيرة والمؤامرات التى أدت إلى أن تتدخل فيها كشخصية رئيسية [٢].

استمرت الدسائس والاضطرابات فى قشتالة إلى أن دعا الفونسو الحادى عشر فى سنة ١٣٢٤ الكورتيس للاجتماع فى بلد الوليد ، وسيطر على الحكم فى عامه الثالث عشر[٣].

وبذلك انتهت فترة الاضطرابات التى بدأت منذ أواخر عهد الفونسو العاشر سنة ١٢٦٩-١٣٢٤، والتى تعتبر من أعقد وأصعب الأحداث فى تاريخ قشتالة .

ودخلت قشتالة فى طور جديد استعادت فيه سياستها ومركزها فى شبه الجزيرة الايبيرية على يد الفونسو الحادى عشر ، والذى اتجه بسياسته نحو محاربة مملكة غرناطة بجانب تأمين وضع مملكة قشتالة الداخلية [٤].

وهكذا تعرضت مملكة قشتالة بعد عهد الفونسو العاشر لاضطرابات عديدة تمثلت فى التنازع على العرش والحروب الأهلية وتمرد النبلاء ، وأصبحت مسرحا للدسائس والمكائد بجانب تدخل الممالك المجاورة فى شئونها وتعضيد المتمردين والاستيلاء على أملاكها مما أدى إلى إنهاك قواها وتوقف نشاطها الخارجى بعد أن كانت أقوى مملكة فى شبه الجزيرة الايبيرية ، وبسيطرة الفونسو الحادى عشر على الحكم سنة ١٣٢٤ سرعان ما استعادت مملكة قشتالة قوتها ومكانتها فى شبه الجزيرة .

وهكذا كانت أحوال قشتالة وأراجون خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى تشهد تطورا كبيرا فى أوضاعها السياسية والداخلية والخارجية وعقدت محالفات ومعاهدات

١- Ibid .

٢- Masia : Introduccion, p. 180 .

٣- Watts: op. cit ., p. 179-180 .

٤- Coleccion universo Alfonso XI et Justiciero los grandes , Ediciones Espana, p. 9 .

واتفاقيات الغرض منها تحسين أوضاع قشتالة وأراجون الداخلية وحماية حدودها السياسية ، أما بالنسبة لسياستها الخارجية فقد اتجهت وجهة تختلف عما سبق ، ففى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى توقفت حركة الاسترداد- إلى حد ما- وبدأت تتجه كل منهما إلى خارج شبه الجزيرة الايبيرية ، فاتجهت أراجون إلى حوض البحر المتوسط لغرض سيطرتها السياسية والتجارية، وسعى ملك قشتالة الفونسو العاشر إلى الحصول على لقب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وبذلك دخلت المملكتان فى دور جديد بالنسبة لسياستها الداخلية والخارجية كان لها أثر كبير فى تطور العلاقات السياسية والتجارية بينهما وبين سلطنة المماليك فى مصر بصفة خاصة .

أوضاع سلطنة المماليك فى مصر والشام وأثرها على علاقاتها بكل من مملكتى قشتالة وأراجون

أما بالنسبة للأوضاع فى سلطنة المماليك بمصر، فنجد أنها قد غدت إحدى قوى البحر المتوسط التى تملك السيطرة على أهم طرق التجارة بين الشرق والغرب ولها الدور الرئيسى فى الحروب الصليبية فى أواخر العصور الوسطى، والتى لم يكن منتظرا منها أن تعيش مقطوعة الصلة بالدول الأوربية ذات المصالح التجارية والسياسية والصليبية فى البحر المتوسط[١].

وكانت سلطنة المماليك قد ظهرت على مسرح السياسة الخارجية بعد الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى[٢]، على الرغم من أن روح الحروب الصليبية فى تلك الفترة قد ضعفت فى أوربا ، لكنه كان هناك ملك واحد يتطلع إلى حماية المسيحين فى الشرق ويؤمن بالأفكار النبيلة للعصر الماضى هو القديس لويس التاسع الذى وعد بتنفيذ الحلم القديم باسترداد بيت المقدس [٣].

اتجهت الحملة الصليبية السابعة إلى مصر التى تمثل السد المنيع الذى تحطمت عندها الحملات الصليبية ، فإنه لا استقرار للصليبيين بالشام طالما مصر تتولى المقاومة ضد هذا

١- سعيد بن عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، دار النهضة سنة ١٩٦٥ ، ص٢٦٥-٢٦٦ .

٢- ابن أيبك الدواداري : «الدرة الذكية فى أخبار الدولة التركية » وهو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة سنة ١٩٧١ ، ص١٠١ .

٣- King : op. cit . , p. 265 .

الوجود، ولاستتباب الأمر للصليبيين بالشام لابد من الاستيلاء على مصر ، فرست الحملة على دمياط واستولت عليها[١]، لكن سرعان ما انتهت الحملة، بهزيمتها وأسر لويس التاسع [٢]، وتأكد فشل الأساليب العسكرية فى تأمين وجود الصليبيين بالشام.

وتشير بعض المصادر الأسبانية إلى أن الأراجونيين كانوا متعاطفين مع المصريين فالمؤرخ والموظف الملكى فى أراجون بيرنارت ديسكلوت Bernat Desclot وصف حملة القديس ضد مصر بقوله :

«بأنهم ذهبوا لأرض أناس غرباء ليدمروهم ويحرموهم من أرضهم»[٤].

وتمخضت عن تلك الأحداث ظهور المماليك واستيلاؤهم على الحكم فى مصر، ودعم مركزهم الجديد انتصارهم على المغول فى موقعة عين جالوت سنة ١٢٦٠م[٤]، التى أوقفت تقدم المغول إلى الشام ومصر ، وحمتهما من خطر يكاد يعصف بهما.

١- جوانفيل : مذكراته حول القديس لويس التاسع ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٨ ، ترجمة حسن حبشى، ص٩٣ .

ابن أيبك الدوادارى : الدرة الزكية ص١٠١ .

العينى : عقد الجمان :

Recuell des Historiens des Croisades , Historiens Orientaux (Arabes) , Tome II, Premier Parti Paris (1872-1906) p. 200-201 .

٢- اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، ج١ حيد أباد الدكن ، سنة ١٩٥٥ ، ص٥٤٩ .

٣- جوانفيل، مذكراته ، ص١٤٧ .

٤- Hillgarth : The Spanish < op. cit ., V Ip. 158 .

سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٣٢-٣٦ / عبدالقادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٠٩ .

٥- موقعة عين جالوت تعتبر من المواقع الفاصلة فى التاريخ ، نظرا لما ترتب عليها من نتائج خطيرة ويرى الدكتور مختار والعبادى أن هذه المعركة قد أدت إلى التقارب فى العلاقات الودية بين أسبانيا والمماليك بقوله «وأهمية هذه المعركة أنها انقذت أوربا من الخطر المغولى إذ أنه لولا انتصار المماليك لكان من الأكيد والامكان ، أن خطة غزوات المغول : كانت تبرهن على الطريق الذى سيسلكونه عبر الصحراء الغربية حتى جبل طارق وهو الطريق التقليدى لغزو أوربا من الجنوب ، ويكون من الممكن أيضا أن تتعاقب موجات من التتار مثلما حدث من قبل فى شبه الجزيرة من عبور طارق بن زياد وموسى ابن نصير وتوالى الموجات الأخرى من البربر والمرابطين والموحدين وبنى مرين ومن هذا الوقت بدأت أسبانيا تتطلع للعلاقات الفردية مع مصر ».

أنظر Abbady: Algunos aspectos de las relaciones Historicas Hispano - Egipcia , p. 14-15.

يعتبر السلطان الظاهر بيبرس المؤسس الحقيقى للدولة المملوكية فى مصر والشام ، فبعد انتصاره على المغول فى موقعة حمص سنة ٦٥٩هـ[١]، وانتهاء خطرهم مؤقتا وجه سياسته نحو سوريا والعمل على استتباب أمر السياسة الداخلية والأوضاع فيها نتيجة للقلاقل التى كان يقوم بها بقايا الأيوبيين هناك[٢]، ثم بدأ بتنفيذ سياسته الرامية إلى طرد المغول بعيدا عن حدود الأقاليم المملوكية فى شمال العراق ، ووضع فى سياسته معاقبته للإمارات الصليبية التى عاونت المغول [٣].

ومن أهم ما يميز سياسة بيبرس حرصه على أن يؤمن سياسته الخارجية بمعاهدات واتفاقيات يضمن بها تقوية جبهته من ناحية واكتساب أعوان وحلفاء ضد خصومه من ناحية أخرى [٤]، وظهر ذلك واضحا أثناء حروبه ضد الصليبيين والمغول ، فبدأ العلاقات السلمية مع الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الثامن، ومانفرد ملك صقلية والذى تعهد بإبلاغ بيبرس عن أى نشاط أوربى يهدف إلى مساعدات الإمارات الصليبية فى الشام ، ومع بركة خان سلطان سلاجقة الروم[٥]، وشارل أنجو الذى كان مؤيدا للسياسة المصرية وعقد معاهدة تجارية مع بيبرس فى سنة ١٢٦٤[٦].

١- يذكر ابن أبى الفضائل عن أهمية هذه الموقعة فى النهج السديد بقوله: «وفى سنة تسع وخمسين وستمائة، وفيها كانت الكرة على التتار بحمص ... والمسلمين ألف وأربعمائة فارس وكان التتار فى ستة آلاف فارس واستعان بالمسلمين وحملوا عليهم حملة رجل واحد ، ويقال أن هذه الوقعة كانت أعظم من وقعة عين جالوت لكثرة التتار وقلة المسلمين ... وقتلوا عن آخرهم والذى سلم من التتار فإنهم عادوا إلى حلب» أنظر : ابن أبى الفضائل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ج١٢ ، ص٤١٦-٤١٨ ، Patrologea Orientals باريس ١٩١١ .

٢- Setton : History of the Crusades, p. 748 .

٣- Ibid .

٤- سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص٥٧ . Lane pool : History of Egypt, London , 1913 , p. 264 .

٥- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ٤٧١-٤٧٢ ، ٥١٤ .

ابن أبى الفضائل : النهج السديد، ص٤٥٢-٤٥٤ .

Setton : op. cit p. 748 .

محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ، ص١١٨ .

٦- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ص٥١٣ / العينى : عقد الجمان ، Rec / ص٢١٩ .

Sadeque : (S.F), Baybars I of Egypt, Oxford, 1915 , p. 60 .

والملاحظ عند دراسة حروب بيبرس أنه يصعب فى كثير من الحالات الفصل بين حروبه ضد المغول وحروبه ضد الصليبيين ، بسبب ما كان هناك من تحالف قوى بين المغول والصليبيين ضد المسلمين فى مصر والشام ، لذلك كثيرا ما كان يحارب بيبرس المغول فى الوقت الذى كان يحارب فيه الصليبيين [1].

بدأ بيبرس فى الهجوم على الحصون والمعاقل الصليبية وكانت لاتخلو سنة من سنوات حكمه (١٢٦١-١٢٧١م) من حملة أو حملات عديدة على هذه المعاقل ، واستولى على العديد من المدن والقلاع والحصون مبتدئا بقيسارية وارسوف فى سنة ١٢٦٤م / ٦٦٣هـ[2]، وتلا ذلك بصفد أغار عليها بعد هجمات على مدن عكا وصور وطرابلس سنة ٦٦٤هـ[3]، ثم طبرية ويافا والشقيف وانطاكية وبغراص والقصير وحصن الأكراد وحصن عكار ، القرين ، صافيثا ، مرقية حلبا[4]، وبذلك تتضح سياسة بيبرس ضد الصليبيين والمغول فى الشرق وتدل على مهارته العسكرية وذكائه السياسى .

بدأت العلاقات السياسية بين مملكتى قشتالة وأراجون مع سلطنة المماليك فى بداية حكم السلطان الظاهر بيبرس ، صداقة وود مع الملك الفونسو العاشر عدائية فى بداية الأمر مع مملكة أراجون بقدوم الحملة الصليبية الأراجونية فيما بعد ، ويرجع ذلك إلى ما وصلت إليه سلطنة المماليك من مكانة ومقدرة كبرى فى حوض البحر المتوسط فى عهد السلطان الظاهر بيبرس .

١- سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ، ص٤٥٨ .

٢- ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ج١٢ ، ص٤٦٤ .

العينى : عقد الجمان ، Rec Orint ، ص٢١٩-٢٢٠ .

أبو الفدا : مختصر تاريخ البشر، القسطنطينية ، سنة ١٢٨٦ هـ، م٤ ، ص٢٠ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥ ، القاهرة سنة ١٣٥١هـ ، ص٣١٢ .

٣- الذهبى : دول الإسلام ، ج٢ ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤ ، ص١٦٩ . ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٣١٤ .

٤- العينى : عقد الجمان ، Rec Orint ، ص٢٢٦-٢٣٤ .

ابن ايبك الدوادارى : الدرة الزكية ، ص٣١٢ .

ابن تغرى بردى : النجوم الازهرة ، ج٧ ، ص١٨٦ .

المقريزى : السلوك ، جـ١ ق٢ ، ص٥٦٧ .



الفصل الثانى

العلاقات السياسية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك حتى نهاية عهد الأشرف خليل (٦٥٨-٦٩٣هـ/ ١٢٦٠-١٢٩٣م)

١- جذور العلاقات الأسبانية المملوكية .

٢- تحالف ملكى أراجون وصقلية مع السلطان المنصور قلاوون ضد البابوية وفرنسا (٦٨٩هـ/ ١٢٨٩م) .

٣- تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك ونتائجها .

جذور العلاقات الأسبانية المملوكية

تكاد العلاقات الأسبانية المملوكية قبيل منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، تكون معدومة ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أهمها :-

أن الممالك الأسبانية كانت تمر بظروف وأوضاع حالت دون قيام هذه العلاقات[1] فمنذ نشأة هذه الممالك فى شمال الأندلس مع بداية الفتح الإسلامى وحتى منتصف القرن الحادى عشر كانت دائبة السعى إلى تثبيت أركانها ، وإظهار شخصيتها، وحماية حدودها والدفاع عن مكاسبها ولذلك لم تتطلع إلى مثل هذه العلاقات فى سياستها الخارجية .

كما كان سقوط الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف فى بلاد الأندلس عاملا مشجعا للممالك النصرانية على التوسع ناحية الجنوب داخل الأراضى الخاضعة للسيادة الإسلامية[2]، وعلى الرغم من اضطراب الحالة الداخلية لهذه الممالك نتيجة لقيام الحروب الأهلية فيها [3]، إلا أن هذه الأوضاع السياسية الجديدة داخل الحدود الإسلامية جعل ملوك النصارى يضعون سياسة جديدة تقوم على ازدياد نشاط حركة الاسترداد الأسبانية، وأصبحت سياسة واضحة المعالم

١- محمد عبدالله عنان : مقالة العلائق الدبلوماسية بين مصر وأراجون ، مصر الإسلامية ، لجنة التأليف والنشر ، سنة ١٩٦٩، ص١٦٨ .

٢- ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، ص٦٨ .

٣- محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص٣٨٢ .

تبنتها الممالك الأسبانية حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى حين توقفت هذه الحركة إلى حد ما (إلى أن تم اتحاد مملكتى أراجون وقشتالة بزواج الملك فرديناند والملكة إيزابلا ملكى أراجون وقشتالة فى عام ١٤٧٩م) .

وقد كانت هذه السياسة التى كرست لها الممالك الأسبانية كل جهودها عائقا حال دون ظهور علاقات مع الشرق الإسلامى، وخاصة أن الصراع كان عنيفا بين الأسبان والمسلمين فى بلاد الأندلس .

وعلى الرغم من ذلك فإن الأسبان كان لهم دور ملموس فى الحروب الصليبية فى الشرق ، منذ بدايتها فقد كان الارتباط وثيقا بين الحروب الصليبية فى الأندلس والحروب الصليبية فى الشرق[١]، حتى أن ابن الأثير ، اعتبر الحروب الصليبية فى الشرق ما هى إلا امتداد للحروب الصليبية فى الأندلس [٢].

كان البابا أوربان الثانى قد أصدر مرسوما يحرم على الأسبان أن يشتركوا فى الحروب الصليبية فى الشرق، وأرسل إليهم رسالة ينصحهم بالبقاء فى ديارهم لمواصلة الكفاح ضد المسلمين وإعادة ما تهدم من دور العبادة هناك بدلا من الذهاب إلى الأراضى المقدسة[٣] ، رغم أن الحملات الصليبية منذ بدايتها لم تخل من اشتراك الأسبان وتقديمهم الإمدادات إلى الصليبيين فى الشرق منذ الحملة الصليبية الأولى»[٤].

١- يوشع براور : عالم الصليبيين ، دار المعارف ، سنة ١٩٨١ ، ص٣٤ .

٢- نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط ، ج١ ، ص٨١٩ .

ويذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩١هـ «وكان ابتداء ظهور دولة الفرنج واستبداد أمرهم وخروجهم إلى الإسلام وبلادهم واستيلائهم على بعضها سنة ٤٧٨هـ ، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس وقد تقدم ذكر ذلك- ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها- وقد ذكرته أيضا- وتطرفوا إلى أطراف أفريقية فملكوا منها شيئا وأخذ منهم، ثم ملكوا غيره على ماتراه ، فلما كانت سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام» الكامل ، ج١٠ ، ص٢٧٢ .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٦٩ .

٣- يوسف أشباخ: ص١٣١؛ عبد القادر اليوسف: ص٤٨؛ محمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص٤٠٢.

٤- Michaud : (J. F) , History of the Crusades, V. 3 , New York, 1881 , p. 29 .

نور الدين حاطوم : نفس المرجع ، ص٨١٨ .

وعلى الرغم من تحذير البابا السابق بعدم السماح للأسبان بالاشتراك فى حملات الشرق، فإن البعض منهم لم يصغ إلى مثل هذه التحذيرات ومنهم برنار رئيس الكنيسة الأسبانية الذى كان شديد الرغبة فى أن يشترك فى الحروب الصليبية وحشد بالفعل فرقة من الفرسان الأسبان، اتجه بها إلى الشرق ، ولما وصل إلى روما أمره البابا بالعودة فورا حرصا على مصالح الكنيسة وأصدر مرسوما جديدا بتشديد التحريم على رجال الدين والفرسان والأسبان بعدم السماح لهم بالمساهمة فى الحروب الصليبية، لأن محاربة المسلمين فى أسبانيا لاتقل أهمية عن محاربتهم فى الشرق[١] .

وكان الارتباط الدينى بين بيت المقدس، وشمال أسبانيا من أوائل الروابط ، فكان الحجاج من كل أنحاء أوربا يتوجهون نحو القبر المقدس رابطين أسبانيا بأوربا ومعمرين طريق الحجاج ، خاصة وأن القديس شانت ياقب [٢]، وهو تلميذ المسيح المستشهد فى فلسطين انتقلت رفاته إلى شمال أسبانيا تلك الأراضى التى نشر فيها بنفسه المسيحية قبل غزو الإسلام لها [٣]، فكانت مدينة شانت ياقب [٤]، مدينة مقدسة عند المسيحين فى أسبانيا يهرع المسيحيون إليها من أقاصى البلاد حتى من قبط مصر [٥].

١- يوصف أشباخ : نفس المرجع ، ص١٣١-١٣٢ .

٢- لقد حامت كثير من الآراء حول هذه الشخصية ، وهو يعتبر من الشخصيات الدينية المبجلية بالنسبة للمسيحين عامة، وقد كثرت الاعتقادات المسيحية حوله، فورد فى الإنجيل كشفيق للمسيح حتى أن أسقف شانت ياقب صار بابا للعالم المسيحى وكان شانت ياقب له دور كبير فى نشر المسيحية فى أسبانيا كاسترو : حضارة الإسلام فى أسبانيا ، القاهرة سنة ١٩٨٣ ، ص٦١-٦٢ .

٣- نفس المرجع السابق .

يذكر الحميرى عن هذه المدينة «كنيسة عظيمة عندهم وهى فى ثغور مارده، وهذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحوارى، يذكرون أنه قتل فى بيت المقدس ، وأدخله تلامذته فى مركب فجرى به المركب فى البحر الشامى إلى أن خرج به إلى البحر المحيط حتى انتهى به إلى موضع الكنيسة بساحل فيه ، فبنيت الكنيسة ليوم معروف جعل عيدا لها وغزا شنت ياقوب عبدالرحمن ابن المنصور أبى عامر ٣٨٧هـ ، وأوسع أهلها قتلا واسرا ، وقراها وأسوارها هدما واحراقا » الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١١٥ .

أنظر أيضا حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص٢٤٨ .

٥- كاسترو : المرجع السابق ، ص٦٢ .

وهكذا كان الحجاج الأسبان يكونون نسبة كبيرة من النازحين إلى بيت المقدس، خاصة وأن الحماس الدينى لدى الأسبان كان عميقا[١]، كما اشتركت أسبانيا فى أحداث الحروب الصليبية فى الشرق باشتراك الجالية التجارية الكتالونية فى الدفاع عن ميناء صور ضد هجمات صلاح الدين الأيوبى[٢]، وشاركت بآرائها ومناقشاتها فى المجالس الكنسية التى كانت تتناول موضوعات عن الشرق الإسلامى، فلما عقد مجلس اللاتيران الكنسى فى سنة ١٢١٥م حضره مندوب من أسبانيا ، وجه فيه العدوة إلى توحيد الجهود للقيام بالحملة الصليبية الخامسة ، وكان هذا هو الهدف الرئيسى للمؤتمر[٣]، وتوجهت الحملة الصليبية الخامسة إلى مصر وانتهى الأمر بفشلها وذهاب الملك الصليبى جان دى برين إلى إيطاليا لاستجداء البابا فى إرسال المساعدات لبيت المقدس وزار أسبانيا وانجلترا وفرنسا لنفس الغرض [٤].

بدأ خايم الأول (١٢١٣-١٢٧٦م) عهده بالاهتمام بسياسة الاسترداد وكانت شاغله الأول منذ بداية حكمه، وبدأ نشاطه بالاستيلاء على الجزائر الشرقية (البليار) بين عامى (١٢٢٩-١٢٣٤م) وبلنسية فى عام ١٢٣٨ وشاطبة ودانية فى عام ١٢٤٤ [٥]. وبالنسبة

١- فعلى سبيل المثال نجد أن دونا سانشا وهى واحدة من بنات الأمراء الأراجونيين قامت برحلة حج إلى بيت المقدس ، وتوفيت فى مستشفى القديس يوحنا بعد أن كرست جهدها لعدة أعوام فى خدمة الحجاج والمرضى ، إلى جانب وصول شخصيات أسبانية كثيرة من طبقات مختلة للأشتراك فى الحروب الصليبية مثل الفارس الأخضر الذى لم يكن أسمه معروفا من قبل ، وإنما أطلق عليه هذا الأسم لاتخاذه ترسا أخضر اللون، وما اشتهر به من البسالة والإقدام أثار اهتمام صلاح الدين الأيوبى ». Michaud : op. cit ., p. 29 .

أنظر رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٦-٤٧ .

٢- Hillgarth: The Spanish , op. cit ., p. 246 .

٣- أنظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص١٥١-١٥٣ .

٤- نفس المرجع السابق .

٤- ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج٢ ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص١٢٦-١٢٧ . Tout: op. cit., p. 473

ولمزيد من التفاصيل أنظر بحث :

Bennasser , P. C : Sobre La Aportacion Aragonesa a la Conquista de Mallorca (1229-1232), Jaime Y Su Epoca , X Congreso de Historia de la Corona de Aragon, Zaragoza 1980, p. 17-26 .

محمد عبدالله عنان: نهاية الأندلس ، ص٦٨-٦٩ .

لسياسته الخارجية فقد بدأ نشاطه فى التوسع خارج الأندلس خاصة بعد عقد معاهدة الميثرا فى عام ١٢٤٤م مع مملكة قشتالة وأصبح بمقتضاها طريق التوسع فى شبه الجزيرة الايبيرية مسدودا أمامه [١]، ورغم ذلك لم يهمل النشاط التجارى الأراجونى خاصة فى البحر المتوسط مع العالم الإسلامى ، وعقد معاهدة تجارية مع السلطان بيبرس [٢]، ومعاهداته مع تونس وتلمسان فى عام ١٢٥٠م ومع مملكة أرمينيا فى شمال الشام، وبذلك كان خايم الأول[٣] كثير الاهتمام بتحسين أوضاع بلاده .

فأخذ يمارس الرقابة على القنصليات فى شمال أفريقيا [٤]، كما أعطى فى عام ١٢٦٦ سلطات إلى المجلس البدلى لبرشلونة كى يباشرو تعيين قناصل كل من مصر والشام وغيرها من بلدان الشرق [٥].

وكثيرا ما كان خايم الأول يستجيب إلى رغبات سلطنة المماليك ليفتح بذلك طريق أراجون التجارى إلى الشرق ، ويتضح ذلك مما ذكره ابن عبد الظاهر[٦]، من أن رسل الملك البرشلونى (خايم الأول) وردت فى عام ٦٦٧هـ برسالة إلى السلطان الظاهر بيبرس ومعهم تجار مصريون قد وقعوا فى أسر قراصنة الكتيلان، وأعاد السلطان مع السفراء فى عودتهم إلى برشلونة خطابا إلى خايم الأول يطلب فيه الأموال التى كانت مع هؤلاء التجار ، والتى استولى عليها أيضا القراصنة .

١- أنظر ازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط ، ص

٢- Lane Pool : op. cit ., p. 266 . Guinta , op. cit , pp. 25-27.

محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس، ص١١٩ .

لم توجد هذه المعلومة فى أى مصدر تحت أيدينا ولم يذكرها إلا المرجعان السابقان .

٣- Abadia : op. cit ., p. 41 .

٤- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., p. 288 .

٥- Masia : la corona de Aragon, p. 82 .

Hillgarth : Los Reinos , Op. cit ., p. 320 .

٦- «وورد أيضا رسل الملك البرشلونى بكتابه جوابا عن كتاب كتبه السلطان اليه فى معنى تجار أمسكهم الكتيلان فى البحر ، فأرسل التجار المأخوذين صحبه رسله، فكتب جوابه بمطالبته بأموالهم أيضا».

ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٣٣٧ .

الحملة الصليبية الأراجونية ١٢٦٩ / ٦٦٨هـ

وفى مجال العلاقات الأسبانية المملوكية تأتى الحملة الصليبية الأراجونية عام ١٢٦٩م فى المقدمة إذ أنها تمثل الصدام المباشر مع سلطنة المماليك، وقد خرجت هذه الحملة إلى الشام نتيجة للأوضاع المتدهورة للصليبيين ، الذين لم يستفيدوا من اضطراب الأوضاع فى العالم الإسلامى من جراء الحروب بين المماليك والمغول والأيوبيين ، حيث تعرض الغرب الأوربى لموجات من الاضطرابات على أثر المنافسات الاقتصادية بين البندقية وجنوة وبيزا فى الأراضى المقدسة ، وانتهى الأمر بقيام حروب أهلية انقسم فيها الصليبيون بين الأطراف المتنازعة [١] ، وكان للكتالونيين دور فى تلك الصراعات التى نشبت عقب انتهاء حملة لويس التاسع ورحيله بين البنادقة والمؤيدين لهم، تجار كتالونيا وبين الجنوبيين [٢].

ومن ثم نجح بيبرس فى مواجهة الصليبيين فى الشرق ، فواصل سياسته فى الضغط على الإمارات الصليبية فى الشام وكثف جهوده بالإغارة على مدينة يافا واستولى عليها ثم سار إلى إمارة أنطاكية ، وبعد حصار عنيف دخل المدينة فكانت غنائمه كثيرة واستولى عليها [٣]، وكان سقوط أنطاكية (١٢٦٨م / ٦٦٧هـ) أهمية كبرى عند المسلمين والصليبيين إذ أنها كانت ثانى إمارة - بعد الرها- أسسها الصليبيون فى الشرق فى عام ١٠٩٧م[٤]، وكان ذلك إيذانا بانهيار البناء الصليبى بالشام ونجاحا لسياسة بيبرس العسكرية هناك .

وعلى الرغم من هذا الوضع السئ الذى تردى فيه الصليبيين والضغط المستمر من السلطان بيبرس ، فإن هناك جملة أسباب حالت دون مجئ إمدادات عسكرية من أوربا إلى الصليبيين فى الشام قبل سقوط أنطاكية سنة ١٢٦٨ منها انشغال البابوية فى الأزمة الصقلية ،

١- عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢١٠ .

٢- رنسيمان : ستيفن : نفس المرجع ، ج٣ ص٤٨٨-٤٨٩ .

٣- المقريزى : السلوك ، ج١ ق٢ ، ص٥٦٧ .

أبو الفدا : مختصر تاريخ البشر ، م٤ ، ص٤-٥ .

الذهبى : دول الإسلام ، ج٢ ، ص١٧٠ .

٤- سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٦٢ .

رنسيمان نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٥٩ .

وصراعها العنيف مع أسرة الهونشتاوفن[١]، إلى جانب العديد من الصراعات والمشاكل بين مختلف ممالك أوربا وفتور الروح الصليبية آنذاك .

وقد تواترت الأخبار التى تصل باستمرار من الأراضى المقدسة بما ألم بالصليبيين هناك ، وبدأ البابا كليمنت الرابع (١٢٦٥-١٢٦٨م) والملك لويس التاسع ببذل المساعى من أجل نجدة الصليبيين بالشام[٢]. بمناشدة حكام أوربا بتقديم المساعدات العسكرية ، واعتمدت البابوية فى مشروعها على أسبانيا وانجلترا وفرنسا [٣].

وبالنسبة لرد الفعل إزاء ذلك من جانب أراجون كانت الحملة الصليبية الأراجونية ، حيث استجاب الملك خايم الأول لنداء البابا كليمنت الرابع [٤]، بعد مماطلة فى الخروج للشرق نظرا لمصالحه الخاصه ، وكان قد جدد وعده فى اجتماع كبير فى طليطلة Toledo [٥]، والتى وصل إليها سفراء من أبغاخان [٦]. المغول يقترحون عليه أن يرسل حملة إلى الأرض المقدسة [٧]، وكان ذلك أول احتكاك فعلى للأراجونيين بالممالك فى الشرق .

١- عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢١٤ .

٢- King : op. cit ., p. 265 .

Eijan , S , Relaciones de España Y Tierra Santa, Santiago 1912 , pp. 142-3 .

٣- عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢١٣-٢١٤ .

٤- Sadeque: op. cit ., p. 57 .

King: op. cit ., p. 266 ; Giunta , op . cit ., pp. 30-31 .

٥- Michaud : op. cit . p. 29-30 .

٦- منذ تولية أبغا خلافة هولاكو أخذ يسعى إلى عقد تحالف مع ممالك أوربا ضد سلطنة المماليك فأرسل سفارة إلى البابا كليمنت الرابع بغرض عمل تحالف أوربى مغولى ضد بيبرس ، مما أعطى البابا أذنا صاغية للسفارة وأرسل سفارات إلى كل من فرنسا وانجلترا وأسبانيا ، وكان هذا التحالف قد فشل لأن كل منهما كان يعمل لمصلحته الخاصة ، فالمغول كانوا يرمون إلى تكوين إمبراطورية قوية لهم تدخل فى نطاقها بلاد العَراق والشام ومصر وكان هذا يتعارض مع أهداف الصليبيين.

Sadeque : op. cit ., p. 57 .

جوزيف نسيم : الوحدة وحركات اليقظة ، ص٣٤ .

٧- Cronica de la Corona de Aragon , p. 93-94, cF. also ; Michaud : op. cit ., p. 30 .
Masia : La Corona de Aragon , p. 39 .

أبحرت الحملة فى الرابع من سبتمبر عام ١٢٦٩ من برشلونة بقيادة خايم الأول[١] ، وكان قبل خروجه بالحملة قد أرسل سفارة إلى قائد المغول ليبلغه بأنه سوف يصل بجيشه [٢]، تحقيقا للسياسة التى رسموها وهى السعى لإيجاد تحالف مع المغول ، وكانت هذه السفارة برئاسة خايم آلاريك James Alaric مقترحا عقد حلف عسكرى بين الطرفين [٣].

كان الأسطول الأراجون مكونا من ثلاثين سفينة كبيرة وبعض السفن الأخرى الصغيرة والمراكب وكان على متنها العديد من الفرسان والنبلاء والمغامرين وفرسان المعبد (الداوية) Templeras والأسبتارية [٤]، وبلغ عدد هؤلاء ثمانمائة (٨٠٠) رجل بسلاحهم وألفين (٢٠٠٠) من الجنود المشاة [٥].

كانت استعدادات الحملة ضخمة ، فزود الفونسو العاشر ملك قشتالة خايم الأول بمائة (١٠٠) رجل ومائة ألف (١٠٠,٠٠٠) مارفيدس Marvedis من الذهب ، على الرغم من

١- Cronica de la Corona de Aragon, p. 94 .

Eracles : L`estoire Eracles Empeur, p. 457-458 .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٦٧ .

٢- يذكر ابن عبد الظاهر عن السفارة «فى هذه السنة (٦٦٨هـ) وردت جماعة من الفرنج الغرب إلى عكا وتباشر الفرنج وحضرت إليهم سفائن يذكرون أن الريدراكون أحد ملوك الغرب واصل إليهم بجماعة مقاتلة ، ووصل أصحابه وأقاربه فى هذه السفائن وتوجهت رسله ابغاهلاؤن ، بأنه واصل لمواعدته واتصلت الطرقات بينهم من جهة سيس» .

ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٦٢ .

أنظر أيضا : نهاية الأرب ، ج٢٨ ، ص١٠٠ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٥٨٤-٥٨٥ .

٣- عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٢ .

٤- Abadia : op. cit ., p. 42 .

King: op. cit ., p. 266 .

٥- Michaud Op. cit ., p. 30 .

King : op . cit ., p. 266 ; Eijan , op . cit , p. 143-4 .

نصائحه بعدم خروج الحملة ، وعرضت مدينة برشلونة للحملة ٨٠ ألف سولس Sols برشلونى وعرضت ماجوركا (مايوركا) Majorca خمسين ألف سولس فضة ومركبين مسلحين ، وعند اقتراب الأسطول من ساحل جزيرة ماجوركا ، هبت عاصفة شتت شملها ، وجنحت سفينة الملك خايم الأول إلى لانجدوك "Languedoc" على ساحل فرنسا ، وواصل منها إلى مملكته ومعه عدد من السفن[٢] ، والباقى اتجه إلى عكا بقيادة أبناء غير شرعيين لخايم الأول وهما :

دون بدرو فرنانديز Don Pedro Hernandez

ودون فرديناند سانشيس Don Fernan Sandches [٣].

ورست الحملة فى ميناء عكا، وقد أعاد وصول الحملة بعض الأمل للصليبيين فى الشام[٤]،

١- Abadia : op. cit ., p. 42 .

Michaud: op. cit ., p. 30 .

٢- Cronica de la corona de Aragon , p. 94 .

Estoire d'Eracles : op. cit ., p. 458 .

ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٦٢ .

النويرى نهاية الأرب ، جـ٢٨ ، ص١٠٠ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٥٨٤-٥٨٥ .

King: op. cit . p. 266 .

Diccionorio : Enciclopica , T , p. 760 .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٦٧ .

٣- Estoir d' Eracles: op. cit ., p. 458 ; cF . also : Eijan , op. cit , p. 145 .

وتضيف مدوة أراجون شخصا ثالثا وهو ابن غير شرعى للملك خايم الأول وهو دون ايكسمنيو أوريا Don Ximeno Urea

Cronica de la corona de Araggon, p. 94 .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٦٧ .

عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢١٤-٢١٥ .

٤- Michoud: op . cit ., p. 59 . ; Giunt , op. cit ., p. 35 .

لسوء الوضع هناك بسبب نقض بيبرس الهدنة التى عقدها مع هيو الثالث ملك قبرص ، وظهر بيبرس فى ثلاثة آلاف رجل فى الحقول المترامية أمام عكا ، بعد أن ترك آخرين قد اختبأوا فى التلال [١]، ثم تراجع وجمع قواته فى عين جالوت ، وسار إلى صفد ونظم قواته وعمل كمين للصليبيين [٢]، فى حين تجمع ولدا خايم الأول مع الصليبيين بالشام إلى جانب الكتيبة الفرنسية التى كان يتولى قيادتها الصنجيل جفرس سار جينس حتى وفاته فى فصل الربيع، وخرجت مع قائدها الجديد أوليفر تيرميس Olivier de Termes والصنجيل الجديد روبرت كريسكس Robert de Creseques[٣] ، وهاجموا جيش بيبرس تجاه صفد ، وطبقا للتعليمات التى تلقاها الجيش المملوكى ، فقد فر من أمام القوات الأراجونية والصليبية ، حتى جاءت بالقرب من المدينة ، وفجأة هاجم الجيش المملوكى المتخفى فى الكمين الجيش الصليبى من الخلف وهزموهم تماما وأسر فيها أحد أقارب خايم الأول [٤].

وقد أورد ابن عبد الظاهر وصفا لهذه المعركة بقوله :

> «وأما السلطان ومن كان قدامه من الأمراء المذكورين فما وصلوا إلى الأمراء المتقدمين إلا والعدو قد انكسر فلم يحصل لهم اختلاط ، وكان القتال شديدا تماسكا بالأيدى ، وبقيت الخيالة والخيل مطرحين فى المرج وأكمن زيتون [٥]، فحال العسكر بينهم ، وأخذوا عليه وعلى أكابر الفرنج حلقة وقتل أخو زيتون (كونت لوفير) وأسر ابن أخت الرى دراكون

١- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٦٧ .

٢- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٦٣ .

Sadeque: op. cit ., p. 59 .

٣- Estoire d'Eracles : op. cit ., p. 438 .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٦٧ .

٤- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٦٣ .

Sadeque : op. cit ., p. 59 .

سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص٧٦ .

٥- المقصود بزيتون هو كونت لوفير قائد الكتيبة الفرنسية .

(ملك أراجون)[١] وجماعة من الخيالة المحتشمين لم يؤسر مثلهم إلا فى نوبة المنصورة الأولى، وقتل نائب فرنسيس (نائب ملك فرنسا، بعكا »[٢].

وهكذا لم تنجز هذه الحملة شيئا يذكر ، وعاد أبناء الملك خايم الأول إلى أراجون عن طريق جزر كريت وصقلية [٣]، ولم ينل خايم الأول من البابوية إلا التوبيخ على عودته وعدم ذهابه مع الحملة ، فقد كانت عودته تمثل استخفاف بنصائح البابوية واستجانا لها ، إلى جانب استخفافه بالآم المسيحيين[٤] ، وقد لقى التوبيخ أيضا ملك البرتغال والذى وعد بالاشتراك فى الحملة الصليبية ، وفرض من أجل ذلك ضريبة العشور- المخصصة للحروب الصليبية فى الشرق - ولكنه لم يغادر مملكته [٥].

أما عن جدوى هذه الحملة فإنها لم تكن لها فائدة تذكر وقد صورها يوشع بروار بقوله :

«بأنها كانت مجرد جزء من قانون الفروسية أكثر من كرنها محاولات لشن حرب صليبية قادرة على تغيير الموقف» [٦].

ويتضح من سير الأحداث ونتائج الحملة الأراجونية أن هذه الحملة كانت إرضاء للبابا من الملك خايم الأول، أكثر منها حملة لها أهداف عسكرية وسياسية تريد تحقيقها فلم يكتنفها الحماس المخلص ، ويدل على ذلك أن الحملة الأراجونية قام بها لاسكات الحاح البابوية فى خروجه إلى الشرق ، أما بالنسبة لنتائج الحملة بالنسبة لسلطنة المماليك ، فهى قد أكسبت السلطان بيبرس اعتزازا بقوته وتأكده بعجز الممالك الأوربية عن اتخاذ خطوات جدية ضده

١- الرى دراكون هى التسمية فى المصادر العربية لملك أراجون وهى تأتى من الكلمة الأسبانية Rey رى de Aragon دى راكون .

٢- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٦٣-٣٦٤ .

٣- Cronica de la corona de Aragon , p. 94 .

٤- Michaud : op. cit ., p. 30-31 .

٥- Ibid .

٦- يوشع بروار : عالم الصليبيين ، ص٩٢ .

لأنهماكهما فى مصالحها الخاصة خاصة ، وأن الحملة الأراجونية حملة صغيرة لاتعدو أن تكون مجموعة من المغامرين ، مما دفع بيبرس إلى الاستمرار فى تنفيذ سياسته بالضغط على المدن والقلاع والحصون الصليبية بالشام [١]، دون خشية من قدوم امدادات صليبية من الغرب، وتعتبر هذه الحملة أول صدام فعلى بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك .

ونتيجة لهذه الأوضاع التى تردى فيه الصليبيون ، قام لويس التاسع بتجهيز حملة صليبية للتوجه إلى تونس ومنها إلى مصر [٢]، وتشير بعض المصادر العربية إلى أن ملك فرنسا عند الاستعداد للقيام بحملته استنفز من ضمن ملوك أوربا ملك أراجون خايم الأول[٣]، لكن هذا الملك كان قد شارك من قبل تحقيقا لنداء الواجب وإرضاء للبابا ، فانصرافه لمصالحه الخاصة إلى جانب تشككه فى قيمة الحروب الصليبية يفسر موقفه السلبى وعدم انضمامه إلى حملة تونس[٤] وكانت مصالحه التجارية تحتم عليه عدم معاداة المستنصر بالله فى تونس، خاصة وأن بينه وبينهم معاهدات تجارية ، ولم نعثر على مايدل على اشتراكه الفعلى فى هذه الحملة ، وكل هذه المحاولات التى بذلها خايم الأول وإداوارد الأول (بحملته على الشام) ولويس التاسع لم تسفر إلا عن احتفاظ بيبرس بما أحرزه من ممتلكات[٥] .

فترت الروح الصليبية فى أوربا وانشغل ملوكها بنزاعاتهم وأطماعهم مما دعا الباب جريجورى العاشر (١٢٧١-١٢٧٦م) إلى محاولة استقصاء أسباب هذا الفتور ، ودعوته إلى عقد مجمع ليون سنة ١٢٧٤م [٦]، غير أن الدعوات الملحة التى جرى إرسالها إلى ملوك العالم

١- ففى سنة ١٢٧١م / ٦٩٩هـ استولى على حصن الأكراد وحصن عكار ، واتجه بعد ذلك لمهاجمة إمارة طرابلس . أنظر اليونينى : ذيل مرآة الزمان، ج٢ ، ص٤٤٤-٤٤٥ و ص٤٤٨-٤٤٩ / أبو الفدا ، المختصر ، م٤ ، ص٦ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٩٢-٩٣ .

٢- جرانفيل : مذكراته ، ص٣١٠-٣١٣ .

٣- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٧٠ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٣٦٤-٣٦٥ .

٤- Hillgarth : los Reino , op. cit ., p. 190 .

٥- باركر : الحروب الصليبية ، ص١٦٧ .

٦- رنسيمان : نفسم المرجع ، ج٣ ، ص٥٨٤ .

المسيحى ، لم تلق إلا الاغفال والإهمال ، منذ رفض فيليب الثالث ملك فرنسا أن يشهد المجمع، بل أن إدوارد الأول ملك انجلترا الذى ارتكن إليه البابا بصفة خاصة اعتذر بمشاغله فى بلاده ، ولم يظهر فى المجمع من الملوك إلا خايم الأول ملك[١] أراجون ويشير رنسيمان إلى أن خايم :

«لم يلبث أن سئم ما دار من مناقشات فى المجمع فهرع راجعا إلى أحضان محظيته برنجاريا »[٢].

لكن مدونة أراجون توضح لنا لماذا انسحب خايم الأول من المجمع ، وذلك عندما طلب منه الباب التبرع بأموال من أجل الأهداف الصليبية فما كان من خايم إلا أن رد بقوله :

«بأنه كان قد خدم المسيحية كثيرا وهذا ما يجعل البابا ينعم عليه، بنعم أكثر من أن يطالبه بدفع جزية » [٣].

وقد بدأت البابوية تحاول تنفيذ فكرة الحرب الاقتصادية ضد المماليك فى الشرق ، عندما رأت أنه لاطائل من وراء الأعمال العسكرية ، وذلك عن طريق حظر عمليات البيع والشراء معهم فى السلع التى لها أهمية استراتيجية[٤] ، لكن الجمهوريات الإيطالية كانت تضرب عرض الحائط بنصاح البابوية ، مماجعل هذه الأخيرة تكثف جهودها فى محاولة تنفيذ توجيهاتها إلى ملوك أوربا وأمرائها ، مما دفع خايم الأول إلى إرسال خطاب فى الثالث من أغسطس عام ١٢٧٤م إلى قضاة برشلونة ومندوبيها يوصيهم بتنفيذ توجيهات البابوية المتعلقة بمنع المتاجرة مع سلطنة المماليك[٥] .

١- Cronica de la corona de Aragon , p. 95 .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٨٤ .

عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢١٩-٢٢٠ .

٢- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٥٨٥ .

٣- Cronica de la corona de Aragon , p. 95-96 .

٤- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٤٢ .

٥- Masia : Los documentos en libro "La corona de Aragon Y los Estados del norte de Africa " doc . 1 , p. 263 .

أنظر الملحق الأول .

ويتضح من هذا الخطاب أن هذا التحريم كان جزئيا أى ليس كاملا فهو لايمنع التجارة مع سلطنة المماليك بشكل كلى، وإنما كان قاصرا على عدد من السلع ، وقد نص خطاب خايم الأول إلى قضاة ومندوبى وموظفى برشلونة على السلع التى تحرم التجارة فيها مع المماليك ، وتشمل الحديد والغلال والمواد الخشبية والرصاص والخيوط أى السلع المستخدمة فى الإمداد بالسلاح والمؤن[1].

وكانت أراجون تطبق ذلك ظاهريا فقط لكن تجارتها مع الشرق استمرت لكافة أنواع السلع، لأن مملكة أراجون ، كانت مثل الجمهوريات الإيطالية تنظر إلى مصلحتها التجارية قبل كل شئ .

ويتضح مما سبق أن العلاقات السياسية بين مملكة أراجون ومصر قبيل منتصف القرن الثالث عشر الميلادى لم يكن لها وجود نتيجة لأوضاع مملكة أراجون وأنهماكهما فى حركة الاسترداد ، ثم بدأت عدائية بالحملة الصليبية الأراجونية على الرغم من اهتمام خايم الأول بالتجارة مع الشرق وخاصة سلطنة المماليك وسعيه إلى تنظيم القناصل الأراجونية بها إلا أنها كانت على المستوى الرسمى تكاد تكون معدومة ، لكن هذه الحملة كانت بداية للاحتكاك مع سلطنة المماليك، والتى مهدت لتوجيه نظر كل منهما للعلاقات الودية بينهما فيما بعد .

تحالف ملكى أراجون وصقلية مع السلطان المنصور قلاوون ضد البابوية وفرنسا (٦٨٩هـ/ ١٢٨٩م)

إزاء التطورات التى طرأت فى العلاقات بين الممالك الأسبانية وسلطنة المماليك فى مصر منذ نشأتها ، أن طرأت أوضاع سياسية فى الغرب الأوربى جعلت ملكى أراجون وصقلية يتحالفان مع السلطان المنصور قلاوون ضد البابا وفرنسا .

وقد تم هذا التحالف نتيجة لأوضاع سياسية واقتصادية دفعت مملكة أراجون[2] إليه وفى الوقت نفسه لاقى هذا الطلب قبولا وارتياحا ، من قبل السلطان المنصور قلاوون .

١- Ibid .

٢- عقدت المعاهدة نتيجة لأوضاع سياسية واقتصادية ، دفعت كلا من الملكتين إلى ذلك ، فلابد لنا من استعراض الأوضاع السياسية والاقتصادية فى كل من مملكة أراجون وسلطنة المماليك قبل عقد هذه المعاهدة .

فالنسبة لأراجون نجد أنها كانت تتطلع إلى تكوين إمبراطورية أراجونية فى البحر المتوسط، وبدأت ذلك بغزو جزيرة صقلية بعد ثورة الصقليين فى عام ١٢٨٢م ضد شارل دى أنجو والاستيلاء عليها فى عهد بدرو الثالث[١] ، ومنذ تلك الفترة بدأت مملكة أراجون تنغمس فى أحداث البحر المتوسط ، باندلاع الحرب بينها وبين فرنسا والبابوية ، وبدأت تطغى على حوادث أوربا فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى .

ولما توفى بدرو الثالث فى سنة ١٢٨٥ تولى ابنه الفونسو الثالث عرش مملكة أراجون وكان عمره حينذاك عشرين عاما[٢]، وشاهد حكمه كثيرا من المشاكل الدولية المعقدة ، فقد ورث عن أبيه ذلك العداء الشديد مع البابوية وفرنسا ، والأنجويين فى إيطاليا [٣]، فكان بدرو الثالث قد أعلن قبيل وفاته أنه مستعد لاعادة مملكة صقلية للبابوية ، لكن أولاده لم يكن فى نيتهم التنازل عن مكاسبهم [٤]، إذ تولى حكم مملكة صقلية[٥] ، خايم ابن بدرو الثالث والذى توج فى مايو عام ١٢٨٦م [٦]، وأصبحت مملكة منفصلة عن أراجون[٧] ، ولكنها ولاية تابعة لها تدور فى فلكها السياسى .

بدأ الفونسو الثالث حكمه، الاهتمام بالدفاع عن أراضيه فى شبه الجزيرة الايبيرية وغزو ميورقة[٨]، وفى سبتمبر عام ١٢٨٧ بدأ الاتصال بملوك شعوب أخرى ومنهم سلاطين المماليك،

١- Cronica de la corona de Aragon , p. 105 .

أيضا أنظر ازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط ، ص .

٢- وعلى الرغم أنه كان من المتصور أن هذا السن يمنحه فترة حكم طويلة جدا ولكنها كانت قصيرة وانتهت فى عام ١٢٩١م .

٣- Prieto : op. cit ., p. 50 .

٤- Chaytor : op. cit ., p. 124 .

٥- الذى سيتولى عرش أراجون بعد وفاة أخيه الفونسو الثالث .

٦- Abadia : op. cit . p. 15 .

٧- سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ، ص٥٤٨ .

٨- Martin : Historia de Espana , T III, p. 76 .

بهدف توجيه سياسته الخارجية نحو إنشاء علاقات سياسية ودية [١]، فى مواجهة العداء مع فرنسا والبابوية ونافار والانجويين فى إيطاليا ومع ملك قشتالة الذى تحالف مع الفرنسيين [٢]، وكان هذا التحلف الأخير بين قشتالة وفرنسا فى عام ١٢٨٨[٣]، يمثل خطرا عظيما عليه فى شبه الجزيرة ، لذلك وطد علاقته مع إدوارد الأول ملك انجلترا [٤]، الذى كان قد خطب ابنته اليانور فى حياة أبيه ، لكن البابا منح هذا الزواج لأن أراجون آنذاك كان قد صدر ضدها قرار الحرمان الكنسى [٥].

وفى محاولة للهروب من العزلة السياسية التى فرضتها عليه البابوية وفرنسا ، عقد الفونسو الثالث معاهدات تحالف مع ملك تلمسان فى عام ١٢٨٧، ومع ملك غرناطة فى عام ١٢٨٨[٦]، ومع مصر فى فى عام ١٢٨٩ [٧].

والواقع أن التحالف مع مصر كان له أهمية خاصة ، حيث أنه يمثل أهمية سياسية واقتصادية بالنسبة لكلا الطرفين ، فالبنسبة لمملكة أراجون تنحصر هذه الأهمية فى محاولة الخروج من العزلة التى فرضتها عليها البابوية وفرنسا ، ومحاولة كسب ود المماليك الذين يمثلون الجانب المضاد للبابوية بجانب إيجاد نوع من توازن القوى فى حوض البحر المتوسط ، أما الأهمية الاقتصادية للتحالف فتتمثل فى المكاسب الناجمة عن الاستيلاء على صقلية التى كانت مركزا هاما للتجارة وملتقى رحلاتهم البحرية إلى شرق أفريقيا [٨]، هذا فضلا عما ترتب

١- Perieto : op. cit . , p. 40 .

٢- Ibid ., p. 150 .

٣- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., p. 305 .

٤- أثمر توسط إدوارد الأول فى عقد اجتماعات فى باريس عام ١٢٨٦ للصلح بين أراجون وفرنسا لكنها فشلت أمام رفض الفونسو الثالث الدخول فى السلام مع ملك ميورقة وإعادة أملاكه إليه .

Cronica de la corona de Aragon , p. 125 .

Chaytor : op. cit ., p. 124 .

٥- Ibid . p. 127-128 .

٦- Hillgarth : los Reinos , 305 .

٧- Prieto : op. cit ., p. 51 .

٨- Ibid .

على ذلك من فتح أسواق تسد النقص فى إنتاج المحاصيل ، والموارد الأخرى التى تحتاجها أراجون وهكذا كانت سيطرة أراجون[١] على صقلية من أهم أهدافها الرئيسية لفتح طريق للتجارة إلى الشرق .

كانت أراجون قد ركزت سياستها صوب شرق البحر المتوسط تجذبها أسواق الأسكندرية محاولة السيطرة على طريق تجارة التوابل مع مصر لأن تجارة التوابل ، اعتمدت عليها أراجون كبنية أسياسية لتجارتها [٢]، خاصة وأن مصر أصبحت الطريق الوحيد للتجارة مع الشرق ، بعد أن عمت الفوضى الأقاليم الوسطى والغربية من آسيا نتيجة لغزوات المغول ، وغلق طريق بغداد التجارى، فلم يبق هناك طريق أمام الغرب الأوربى للحصول على منتجات الشرق الأقصى والهند، وبخاصة التوابل والبخور إلا عن طريق دولة المماليك[٣] . وكان الأسطول الأراجون قد نمى عن طريق التجارة وأصبح أداة مناسبة للتفاوض من أجل عقد أحلاف أو عمل صداقات ، وكذلك توسيع أملاك التاج ، حيث أن نفس السفن كانت تستخدم فى الحرب وكذلك فى المساعى السلمية [٤].

تجاوب السلطان المنصور قلاوون مع رغبة مملكة أراجون فى عقد التحالف معها ، خاصة وأنه كان لايمنع أى تحالف مع الممالك الأوربية منعا لقدوم حملات صليبية إلى الشرق أو تقديم مساعدات للبقايا الصليبية بالشام، فضلا عن أن هذه التحالفات تؤدى إلى ضرب الممالك الأوربية بعضها مع البعض ، ليتفرغ للقضاء على هذه البقايا ، وهكذا يتضح أهمية التحالف بالنسبة للملة أراجون .

أما بالنسبة للأوضاع السياسية والاقتصادية لسلطنة المماليك والتى أدت إلى تجاوب السلطان المنصور قلاوون لعقد هذا التحالف ، فإن السلطان قلاوون قد واجه متاعب عند توليه العرش من المغول وسنقر الأشقر- الذى أعلن التمرد على قلاوون- والصليبيين ولم يكن فى

١- Ibid .

٢- Hillgarth : los Reinos , p. 315 .

٣- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٤١ .

٤- Prieto : op. cit ., p. 49 .

استطاعة قلاوون أن يواجه الصليبيين قبل أن يفرغ من المغول واكتفى بتجديد الهدنة العامة التى عقدها السلطان بيبرس مع الصليبيين فى أواخر حكمه[١] .. فقد عاود المغول الكرة على بلاد الشام ٦٨٠هـ (١٢٨١م) فنازل أبغا قلعة الرحبة وتقدم منكوتمر حتى وصل حماة والتقوا فى حمص مع السلطان المنصور قلاوون ، واستطاع قلاوون هزيمتهم وصدهم عن الشام [٢].

ثم اتجه قلاوون إلى مهاجمة القوى الصليبية بالشام غداة زوال الخطر المغولى عنه فأعلن أن معاهداته معهم لم تعد ذات بال وانقض على حصن المرقب واستولى عليه فى سنة ١٢٨٥م / ٦٨٤هـ [٣]. كما أن الشواهد من ناحية أخرى دلت على أن الصليبيين بالشام كانوا يمرون بدور الاحتضار ، بعد أن توقفت معونة الغرب الأوربى من جهة وازدادت الخلافات الداخلية بين القوى الصليبية فى بلاد الشام من جهة أخرى[٤] ، مما شجع قلاوون على إرسال حملة استولت على اللاذقية فى سنة ١٢٨٧ م ، ٦٨٦هـ [٥].

ثم حاصرت مدينة طرابلس [٦]، واستطاع الاستيلاء عليها بعد حصار أربعة وثلاثين

١- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص٣٠٠ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٦٨٥ / سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ، ص٦٧ .

٢- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٦٣ / المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٦٩٥ ، ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ج١٤ ، ص٣٢٤-٣٣١ .

أبو الفدا : المختصر ، م٤ ، ص١٥ / ابن أيبك الدوادارى : الدرة الزكية ص٢٤٢-٢٤٣ ، ومما ساعد قلاوون فى صدامه مع المغول، أن مملكة عكا فى الفترة من (١٢٧٧-١٢٨٤) قد تعرضت إلى نزاع حاد بين أتباع هيو . ملك قبرص وشارل دى أنجو وانشغال الصليبيين بصراعاتهم .

عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢١ .

٣- ابن أيبك : الدولة الزكية ، ص٢٦٨-٢٧١ / أبو الفدا : المختصر ، ج٤ ، ص٢٢ / المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٧٢٧-٧٢٨ . رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٦٦٨ .

٤- سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٦٨ .

٥- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، ص١٥١ . ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٠٨ .

٦- أدت وفاة بوهيمند السابع أمير طرابلس إلى اضطراب أمورها فلم يترك وريثا على العرش مما أدى إلى التنازع على امارتها بين الأمراء الصليبيين مما شجع السلطان قلاوون على الاستعداد للاستيلاء على طرابلس فى شهر ربيع الأول من سنة ٦٨٨هـ .

أنظر رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٦٨١-٦٨٢ .

يوما[1]، وكان حصارها بدأ من الرابع والعشرين من فبراير عام ١٢٨٩ إلى السادس والعشرين من أبريل عام ١٢٨٩ م [2].

انزعج ملوك الغرب لما حل بطرابلس وكانت مسألة صقلية لازالت تملأ عقول سائر الملوك ، وفشلت كل دعوة لإنقاذ البقايا الصليبية بالشام[3]، وكان ذلك عاملا مساعدا لنجاح قلاوون في الشرق .

وخلال حصار طرابلس وصلت سفارة ملك أراجون[4] ، لطلب التحالف مع المماليك، وجاءت هذه السفارة في وقت كان فيه السلطان قلاوون يخشى من قدوم حملات صليبية أو إمدادات من أوربا ، لذلك فإنه لم يتوان عن عقد هذا التحالف خاصة بعد سقوط طرابلس في يديه وكانت هذه السفارة محملة بالهدايا ومن بينها سبعون شخصا من الأسرى المسلمين [5]. ووقعت هذه المعاهدة بين السلطان المنصور قلاوون وابنه وولي عهده الأشرف خليل من ناحية وبين الملك ألفونسو الثالث ملك أراجون وأخيه خايم- الذي سوف يصبح خايم الثاني ملك أراجون - حاكم صقلية والتابع لها وأخويه دون فردريك ودون بدرو من ناحية أخرى[6].

١- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٢٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٧ ، ص٣٢١ / ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص٢٨٣ / المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٧٤٧ / ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٤٠٣ .

٢- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١١٧-١١١٨ رنسيمان : نفس المرجع، ج٣ ، ص٦٨٤ .

٣- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٦٨٩ .

٤- كانت السفارة مكونة من ثلاثة أشخاص هم ابن لنجير ستفتس ، وريمون الملمان قراري برشلونة والحكيم داود بن حسداي اليهودي وهو وزير الملك الفونسو الثالث وكان هؤلاء السفراء ذو مناصب قيادية في أراجون ويتمتعون بصفات خاصة تؤهلهم للحوار والدبلوماسية ، ومعهم خطاب تصديق يؤكد شخصياتهم . ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٥٧ .

٥- لم يحدد المصدر نوعية هؤلاء الأسرى أو جنسيتهم واكتفى بذكر أنهم أسروا من أزمنة طويلة . ابن عبد الظاهر تشريف الأيام ، ص١٥٦ .

٦- كان بدرو الثالث عند وفاته قد ترك أربعة أولاد وبنتين من زوجته كونستانس فالفونسو الابن الأكبر الذي خلفه على العرش ، وخايم الابن الثاني أصبح ملك صقلية ، والابن الثالث فردريك والذي سوف يصبح ملكا لصقلية عندما يخلف خايم الثاني أخاه الأكبر بعد وفاته على عرش أراجون ، والابن الرابع بدرو والذي حمل اسم أبيه تزوج من كونستانس مونكادا ، والابنة الأولى هي إيزابيلا أصبحت ملكة البرتغال بينما الصغرى فيولانت تزوجت من روبرت ملك نابولي .

Cronica de la corona de Aragon, p. 125-126 .

Chaytor : op. cit ., p. 124 .

وقد شملت المعاهدة المناطق والمدن والأقاليم الخاضعة لحكم السلطان المنصور قلاوون وما بها من مختلف العناصر سكان وتجارة وفرسان .. الخ وتضمنت أيضا ما سوف يفتحه السلطان بعد ذلك من قلاع وحصون [١]، وذكر من بينها اللاذقية التى استولى عليها السلطان فى عام ١٢٨٧ وطرابلس التى استولى عليها قبل عقد المعاهدة بفترة وجيزة ، وكانت من ضمن العوامل التى دفعته إلى الاستجابة الفورية لتحالف أراجون ، وفى المقابل أيضا تدخل كل الأقاليم والمدن الخاضعة لحكم ملك أراجون وأيضا ما سوف يفتحه من مدن أعدائه [٢].

وكما سبقت الإشارة ، كان ما يخشاه المنصور قلاوون هو قدوم حملات صليبية ، أو إمدادات للبقايا الصليبية بالشام ، لذلك ركز فى المعاهدة على ذلك فتضمنت :

«وإن قصد الباب برومة، أو ملك من ملوك الفرنج متوجا كان أو غير متوج كبيرا كان أو صغيرا ، أو من الجنوية أو من البنادقة أو سائر الأجناس على اختلاف الفرنج والروم والبيوت بيوت الإخوة الداوية والأسبتارية وجميع أجناس النصارى مضرة مولانا السلطان بمحاربة أو أذية يمنعهم الملك الريداغون ويردهم ويعمر شوانيه ومراكبه هو وإخوته ويقصدون بلادهم ويشغلونهم بنفوسهم عن قصد مضرة بلاد مولانا السلطان وموانيه وسواحله وثغوره المذكورة وغير المذكورة ويقاتلونهم فى البر والبحر بشوانيهم وعمائرهم وفرسانهم وخيالتهم ورجالهم» [٣].

وقد كان السلطان قلاوون قد سار على سياسة بيبرس فى مهادنة بعض القوى الصليبية ، فقد انقسم الصليبيون إلى فريقين حيال المماليك ، تكون الفريق الأول من إمارة عكا وفرسان المعبد (الداوية) حيث فضلوا التعاون مع المماليك وتألف الفريق الآخر من إمارة طرابلس وفرسان الأسبتارية حيث آثروا التعاون مع المغول [٤].

١- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٥٨ .

٢- نفس المصدر والصفحة .

٣- نفس المصدر، ص١٥٩ .

٤- عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٦ .

بدأ قلاوون حكمه بسلسلة من المعاهدات ، واحدة فى الثالث من مايو عام ١٢٨١ مع الفرسان الأسبتارية بعكا ، وأبرم فى السادس عشر من يوليو عام ١٢٨١ معاهدة أخرى مع بوهيمند السابع أمير طرابلس وكذلك مع صاحب عكا هدنة فى الثالث من يونيو عام ١٢٨٣[١]، وأسرعت مرجريت صاحبة صور إلى مسالمته ومناصفة دخل الإمارة معه ، وعقد قلاوون معها هدنة مشروطة وفعل بالمثل مع ملك أرمينية الصغرى[٢]، وبعد سقوط طرابلس فإن هنرى- ملك قبرص - أبحر للأراضى المقدسة حال سماعه بسقوط طرابلس ، وأرسل وفدا يطلب تجديد الهدنة بالنسبة لعكا لعشر سنوات [٣].

كان السلطان قلاوون كثيرا ما ينقص هذه المعاهدات متى حان الوقت المناسب لذلك وكان لاينقصه التعليل لهذا ، وبناء عليه فقد اشترط فى المعاهدة على أنه إذا فسخ أي هدنة مع الفرنج بعكا وصور وبلاد الساحل وغيرها نتيجة لإخلالهم بالهدنة ، فإنه على ملك أراجون وإخوته عدم إمدادهم بأى إمدادات عسكرية [٤].

وكان ما يخشاه السلطان المنصور قلاوون هو تحالف المغول مع الصليبيين خاصة وأن خان المغول تيجدور (أحمد) والذى أعتنق الإسلام ، وأعلن الصداقة مع قلاوون قد توفى فى عام ١٢٨٤ وتولى العرش أرغون [٥]، الذى أرسل أربع سفارات للبابا بغرض القيام بحملة مشتركة مع البابوية لحرب المماليك بالاشتراك مع ملوك الغرب الأوروبى[٦] . مما دفع السلطان قلاوون

١- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١٢١ ؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة بنى قلاوون ، ص٢٣٢-٢٣٣ .

٢- نظير حسان سعداوى : الحرب والسلام زمن الحروب الصليبية ، ص١٤٥ .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١١٣ / رنسيمان : نفس المرجع ، ص٦٦٨ .

٣- عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٧ .

٤- «وعلى أنه متى خرج أحد من معاهدين على مولانا السلطان من الفرنج بعكا وصور وبلاد الساحل وغيرها من شروط الهدنة المستقرة بينه وبينهم ووقع مايوجب فسخ الهدنة ، لايعينهم الملك الريدر اغون ولا إخوته ولاخيالته ولافرسانه ولا أهل بلاده بخيل ولاخيالة ، ولاسلاح ولا مال ولانجدة ولاميرة ولامراكب ولاشوانى ولاغير ذلك» ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١٥٩-١٦٠ .

٥- Setton : op. cit ., p. 751 .

٦- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١١٣ .

التركيز على عدم استجابة ملك أراجون وأتباعه لأى طلب من التتار إلى جانب ملوك الفرنج والروم ، ويتعدى ذلك أنه إذا استعد أحد الملوك المذكورين للتوجه إلى مصر والشام فعلى ملك أراجون إرسال أخبارهم إلى السلطان بميعاد خروجهم والجهة التى يقصدونها قبل تحركهم من بلادهم [١].

كانت التجارة بين المماليك وبين مملكة أراجون تسير على قدم وساق فلقد كانت الممالك الأوربية تسعى جاهدة إلى الحصول على منتجات الشرق الأقصى والأدنى، نشأت على هذه التجارة إمبراطوريات وممالك أوربية مثل الجمهوريات الإيطالية ومارسيليا وبرشلونة ، وكانت مملكة أراجون تسعى جاهدة إلى تبوء مكانة عظيمة فى التجارة بين المماليك والممالك الأوربية، مما دعا ملك أراجون إلى الاهتمام بالبنود التجارية فى المعاهدة مع السلطان قلاوون وتنظيم التبادل التجارى وحماية السفن والتجارية والتجار لكل منهما فى بلد الآخر [٢]، وقد شملت الحماية التجار المسلمين والنصارى واليهود التابعين للماليك فى حالة وفاتهم يرد كل ما يملكون إلى السلطان قلاوون والعكس [٣].

كانت مصر قد تمتعت فى عهد قلاوون بمركز ممتاز بين دول العالم الشرقى والغربى من

١- «ومتى اطلع على أن أحدا منهم يقصد بلاد مولانا السلطان بمحاربة أو بمضرة يسير يعرف مولانا السلطان بخبرهم وبالجهة التى اتفقوا على قصدها فى أقرب وقت قبل حركتهم من بلادهم ولايخفيه شيئا من ذلك».

ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦٠ .

٢- «وعلى أنه متى انكسر مركب من المراكب الإسلامية فى بلاد الملك الريدراغون وبلاد إخوته ومعاهديه يكون لكل من فيها من التجار والبحارة والمال والمماليك والجوار آمنين على الأنفس والأموال والبضائع ، ويلتزم الملك الريدراغون أن يحفظهم ويحفظ مراكبهم وأموالهم ، ويساعدهم على عمارة مركبهم ويجهزهم ، هم وأموالهم وبضائعهم إلى بلاد مولانا السلطان ، وكذلك إذا انكسرت مركب من بلاد الريداغون وبلاد إخوته فى بلاد مولانا السلطان يكون لهم هذا الحكم المذكور أعلاه .

ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام ، ص١٦٠ .

٣- نفس المصدر والصفحة .

الناحيتين السياسية والتجارية ، وقيام سياستها الخارجية على أسس موطدة الدعائم[١]، كانت من نتيجتها أن أصبح البلاط المملوكى ملتقى سفارات الملوك والأمراء طلبا للتحالف أو عقد المعاهدات التجارية أو إلغاء مكس أو تخفيف ضريبة ، بحيث أصبح ديوان الإنشاء فى عصر سلاطين المماليك يمثل أضخم وزارة خارجية شهدها العالم آنذاك[٢]، وفى نفس الوقت حرص المماليك على تبادل السفارات ومقابلة ود الملوك بمثله وأرسلوا السفارات إلى مختلف البقاع ردا على السفارات التى تصل إليهم من تلك الدول والممالك ، وكثيرا ما كانت تتعرض السفارات المملوكية للقرصنة أو الوقوع فى أيدى أعداء سلطنة المماليك خاصة وأن هذه السفارات غالبا ما تحمل هدايا وأشياء قيمة ، ولذلك فإن السلطان قلاوون ركز على تأمين هؤلاء السفراء الذين يمرون ببلاد ملك أراجون قاصدين ممالك أخرى أو يضلون الطريق ويصلون إلى أراضى ملك أراجون ، فعليه أن يحفظهم ويحفظ ما معهم من أموال ونفائس ويعيدهم إلى سلطنة المماليك [٣].

كانت السفن التجارية المملوكية كثيرا ما تتعرض للقرصنة من جانب الممالك الأوربية المعادية ، يدفعها إلى ذلك ازدهار التجارة المملوكية وفى الوقت نفسه الانتقام من المماليك ومحاولة فرض الحصار التجارى عليها ، بدعوة من البابوية [٤]، وكثيرا ما كانت تتعرض لقرصنة الجمهوريات الإيطالية بجانب الأساطيل الفرنسية وغيرها ، مما دعا السلطان المنصور

١- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٣٤٦ .

٢- سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص٢٢٥-٢٢٦ .

٣- «على أنه متى عبر على بلاد الملك الريداغون رسل من بلاد مولانا السلطان قاصدين جهة من الجهات البعيدة أو القريبة صادرين أو واردين أو رماهم الريح فى بلاده يكون الرسل وغلمانهم وأتباعهم ومن فضل معهم من رسل الملوك وغيرهم آمنين محفوظين فى الأنفس والأموال ويجهزهم إلى بلاد مولانا السلطان» ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦٠ .

٤- فعلى سبيل المثال أن جمهورية جنوة رأت أن ضياع طرابلس خسارة فادحة فأنها شنت حملات انتقامية على السواحل المصرية بأن استولت على سفينة مصرية تجارية كبيرة فى مياه جنوب الأناضول .

أنظر : ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦٥ .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٦٩٨ .

قلاوون يرى التركيز على حماية السفن التجارية المملوكية ويشترط على ملك أراجون بمحاربة القراصنة المعتدين على السفن المملوكية وتوقيع العقوبة عليهم إذا دخلوا إلى بلاده وإعادة ما استولوا عليه من السفن من أسرى وتجارة إلى السلطان والعكس [١].

اشترط السلطان المنصور قلاوون على الملك الفونسو الثالث أنه إذا أخل أحدمن أتباعه بأى شرط من شروط التحالف ، فعليه معاقبة من ينقض هذه الشروط [٢].

كان الحصار الاقتصادى هو إحدى وسائل البابوية عند فشل الناحية العسكرية فى مقاومة سلطنة المماليك ، وترجع أصول هذه الفكرة وجذورها إلى بعض الأدوار المبكرة للحركة الصليبية[٣]، واشتد هذا الحصار بعد سقوط بيت المقدس فى أيدى صلاح الدين الأيوبى، واستمر أكثر تشديدا فى أوائل عهد سلطنة المماليك .

كانت مملكة أراجون قد استجابت لنداء البابا بمنع المتاجرة مع المسلمين ، وأرسل خايم الأول فى سنة ١٢٧٤م إلى حكام برشلونة بتنفيذ توجيهات البابوية ، وشملت المواد المحرم التجارة فيها مع المماليك ، وهى الحديد والبياض (وفحم الخشب) والخشب ، وكل ما يدخل فى الصناعات الحربية والعسكرية [٤]، مما جعل السلطان قلاوون يركز على التأكيد لإلغاء هذا التحريم من جانب أراجون واشترط :

«على أن الملك الريدراغون يفسح لأهل بلاده وغيرهم من الفرنج فى أنهم يجلبون إلى الثغور الإسلامية الحديد والبياض والخشب وغير ذلك »[٥].

١- « على أن الملك الريدراغون لايمكن الحرامية ولا الكراسالية من التزود من بلاده ، ولا من حمل ماء ، ومن ظفر به من الحرامية يمسكه ويفعل فيه الواجب وييسر ما يجده معهم من الأسرى المسلمين ومن البضائع والحريم والأولاد إلى بلاد مولانا السلطان، وكذلك إن حضر أحد من الحرامية إلى بلاد مولانا السلطان يجرى الحكم فيه للبلاد الريدراغون ».

ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦١ .

٢- نفس الصفحة والمصدر

٣- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٤٢ .

٤- Masia : Los documentos , doc . 1 , p. 263 .

أنظر الملحق الأول .

٥- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦١ .

وكثيرا ما ينتج عن الهجمات على السفن التجارية المملوكية فى البحر المتوسط إلى جانب الإغارة على المدن والقلاع القريبة من الساحل التابعة لسلطنة المماليك فى مصر والشام، وأسر العديد من الفرسان والملاحين والتجار وبيع هؤلاء الأسرى فى مختلف أنحاء أوربا ، لذلك نصت المعاهدة :

> «على أنه متى أسر أحد من المسلمين فى البر أو فى البحر من مبدأ تاريخ هذه المهادنة من سائر البلاد شرقها وغربها أقصاها وأدناها، ووصلوا به إلى بلاد الملك الريدراغون وبلاد أخوته ومعاهديه ليبيعوه ، فيلزم الملك الريدراغون فك أسرهم وحملهم إلى بلاد مولانا السلطان»[١].

كما ركزت المعاهدة على تنظيم العلاقات التجارية بينهما ، واهتمت بكل ما يخص التعامل التجارى وخاصة المكوس والضرائب ، عند مرور السفن المحملة ببضائع الشرق والغرب بثغورها وتجبى الرسوم الجمركية على السلع عند وصولها إلى السويس ودمياط والأسكندرية وعند إقلاعها من هذه الثغور ، وكان يفرض على بضائع الأجانب ضريبة تساوى خمس بضائعهم ويشرف على جبايتها ديوان الخمس [٢]، ولذلك تضمنت المعاهدة هذه القواعد ، بأن تخضع التجارة الأراجونية على مختلف أنواعها والتى تجلب إلى سلطنة المماليك على حكم الضرائب المقررة والعكس[٣] ، وكانت هذه الرسوم التى تجبى على التجارة الخارجية تكون جزءا

١- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦١ .

٢- المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٢ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون - ص٣٤٦ .

٣- «وعلى أن الحقوق الواجبة على من يصدر ويرد ويتردد من بلاد الملك الريدراغون إلى ثغرى الأسكندرية ودمياط وإلى الثغور الإسلامية والممالك السلطانية وسائر أصناف البضائع والمتاجر على اختلافها ، تستمر على حكم الضرائب المستقرة فى الدواوين المعمورة إلى آخر وقت ، ولايحدث عليهم فيها حادث ، وكذلك يجرى الحكم على من يترد من البلاد السلطانية إلى بلاد الريدراغون ».

ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام، ص١٦٢ .

كبيرا من دخل الدولة المملوكية [١]، ونظمت المعاهدة ما ينشب من مشاكل فى التعامل بين تجار أراجون والتجار المصرين للقوانين المقررة فى سلطنة المماليك .

«كان أمرهم محملا على موجب الشرع الشريف»[٢].

والذى حدد بالعشر من بضائعهم التى يجلبونها معهم[٣] .

كانت السفن التجارية تحمل تجارا من أجناس مختلفة ، بينهم المسلم والمسيحى واليهودى ومن ممالك مختلفة ، وكثيرا ما كانوا يتعرضون للمشاحنات والمنازعات فيما بينهم ومنعا لأى أضرار تمس أتباع السلطان قلاوون ، فقد فرض حمايته على التجار المسلمين والمسيحيين التابعين له على سفن ملك أراجون وأتباعه ، ونص على أنه إذا كان على ظهر إحدى السفن الأراجونية تجار من المسلمين ومعهم بضاعتهم ، وضاعت هذه البضاعة أو عدمت فعلى ملك أراجون أن يردها إذا كانت موجودة أو قيمتها أن كانت مفقودة ، وأيضا إذا هرب أحد من أتباع السلطان قلاوون إلى أراجون ومعه بضائع فيرد الهارب وما معه من أموال وبضائع لما دام المذكور مسلما وإن تنصر يرد المال والبضائع التى معه والعكس [٤].

كانت مدينة بيت المقدس يهرع إليها الحجاج المسيحيون من كل صوب وقد خضعت لحكم المسلمين منذ استيلاء صلاح الدين الأيوبى عليها فى عام ١١٨٧م وبدأ دخولها متعذر على الفرنجة ، فكانوا يدخلون إليها بموجب أذون خاصة وفى حالة عقد معاهدات مع الإمارات

١- جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الأسكندرية ، ص١٠٥ .

٢- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦١ .

٣- القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٦٣ .

٤- «على أنه متى ركب أحد من المسلمين فى مراكب الملك الريدراغون ، وحمل بضاعته معهم وعدمت البضاعة كان على الملك الريداغون ردها إن كانت موجودة أو قيمتها إن كانت مفقودة ، وعلى أنه متى هرب أحد من بلاد مولانا السلطان الداخلة فى هذه المهادنة إلى بلاد الريدراغون وبلاد إخوته أو توجه ببضاعة لغيره وأقام بتلك البلاد ، كان الريدراغون رد الهارب والمال معه إلى بلاد مولانا السلطان ما دام المذكور مسلما وإن تنصر فيرد المال الذى معه خاصة ولمملكة الريدراغون ولمملكة أخيه فيمن هرب من بلادهم إلى بلاد مولانا السلطان هذا الحكم المذكور أعلاه »

ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام ، ص١٦١ .

الصليبية بالشام، وكان سلاطين المماليك عند عقد المعاهدات مع الممالك الأوربية يعطون امتيازا لملوك هذه الممالك بالسماح لأتباعهم بزيارة بيت المقدس بشرط أن يحملوا خطابا مصدقا عليه من الملك إلى نائب السلطان فى بيت المقدس ، لكن يشترط السلطان قلاوون على ملك أراجون :

«بألا يكتب لأحد من أعدائه ولا من أعداء مولانا السلطان فى أمر الزيارة بشئ»[١].

وعلى ملك أراجون بأن يمنع كل من يريد مضرة السلطان .

وقد جعلت المعاهدة الفترة الزمنية مفتوحة :

«لاتنتقض بموت أحد من الجانبين ولابعزل وال وتولية غيره»

وأرخت المعاهدة بتاريخ الثلاثاء الرابع والعشرين من أبريل عام ١٢٨٩ الموافق الثالث عشر من ربيع الآخر عام ٦٨٩هـ [٢].

وقد كتب المعاهدة باللغة العربية واللغة الكتالونية القديمة، وحلف اليمين عليها الملك المنصور قلاوون والأشرف خليل ولى العهد بعدم نقضها والاستمرار عليها ، ما دام ملك أراجون وأتباعه لم ينقضوا شيئا منها[٣].

وعادت السفارة الأراجونية ومعها رسل السلطان المنصور قلاوون ليحضروا قسم ملك أراجون الفونسو الثالث وتوقيعه عليها .

ويتضح من نسخة اليمين التى حلف عليها كل من ملك أراجون والنسخة التى حلف اليمين عليها السلطان المنصور قلاوون [٤]، مدى أهمية التحالف بالنسبة لملك أراجون ، وقد ركز فيها الأخير على :

١- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦٢ .

٢- نفس المصدر السابق.

٣- نفس المصدر السابق ، ص١٦٢-١٦٣ .

٤- والجدير بالذكر أن نسخة اليمين التى حلف بها ملك أراجون قد بلغت الخمسة والعشرين سطرا ، فى حين أن نسخة اليمين التى حلف عليها السلطان قلاوون لاتتعدى أربعة أسطر ، ونسخة اليمين التى حلف عليها الأشرف خليل ستة أسطر .

أنظر ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١٦٣-١٦٤ .

١- الإشادة بذكر ألقاب السلطان المنصور قلاوون ، وجعله سيد الملوك والسلاطين .

٢- أنه صديق أصدقاء السلطان المنصور قلاوون وأصدقاء أولاده ، ويعادى معاديهم ومن يقصد محاربتهم من سائر الملوك ويتعدى ذلك بمشاغلتهم وقتالهم .

٣- تركيزه على قسمه نيابة عن إخوته الثلاثة حاكم صقلية خايم وفردريك وبدرو .

٤- وهنا زيادة فى تأكيد صدق نيته بأنه سوف يقوم بحماية جميع المسلمين الخاضعين لحكمه، على الرغم من عدم اشتراط قلاوون ذلك عليه فى نصوص المعاهدة .

٥- من خلال كلمات اليمين واستخدامه ألفاظا عديدة للقسم وصدق نيته ، نجده كان متلهفا وصادق النية على التحالف.

ويتضح مما سبق أن معاهدة التحالف بين ملك أراجون الفونسو الثالث والمنصور قلاوون كانت نتيجة لصدى الأحداث السياسية والاقتصادية فى كل من المملكتين ، فإن مملكة أراجون بهذا التحالف قد كسرت العزلة السياسية التى فرضتها عليها البابوية وفرنسا وأوجدت نوعا من توازن القوى فى حوض البحر المتوسط بجانب تأكيد دورها فى النشاط التجارى مع الشرق وتنظيم التبادل التجارى مع سلطنة المماليك .

تطور العلاقة السياسية والتجارية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك ونتائجها

كان للتحالف السياسى والعسكرى بين الفونسو الثالث ملك أراجون والسلطان المنصور قلاوون أثر كبير فى تطور العلاقات السياسية والتجارية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك ، واستتبت العلاقات بينهما وترتب على ذلك توقيع معاهدة جديدة بين الطرفين فى الثامن والعشرين من يناير ١٢٩٣م / التاسع عشر من صفر ٦٩٢هـ [1] حيث أرسل خايم الثانى

١- يوجد نص هذه المعاهدة فى ثلاثة مصادر ، والنص متطابق بهذه المصادر وأولها : Alarcon Y Santon : Los documentos Arabes diplomaticas del Archivo de la corono de Aragon , doc . 145 , pp. 335-333p .

ثانيا : Masia : Los documentos en libro (La corona de Aragon Y los Estados del notre de Africa) doc . 3 , pp. 266-267 .

وهذه الوثائق باللغة الكتالونية القديمة المحفوظة بتاج برشلونة .

ثالثا : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٦٣-٧٠ .

ملك أراجون سفارة إلى السلطان الأشرف خليل [١]، طلبا للتحالف وتجديد المعاهدة السابقة التى عقدت بين أخيه الأكبر الفونسو الثالث- وكان خايم طرفا فيها- وبين السلطان المنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل ، وكانت الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية لكل من مملكة أراجون وسلطنة المماليك هى التى دفعت بهم إلى عقد هذه المعاهدة ، فقد استجدت أوضاع أدت إلى التوتر فى العلاقات بين سلطنة المماليك ومملكة أراجون بانتهاك الأخيرة لشروط المعاهدة السابقة ، وعندما زال سبب التوتر عادت العلاقات إلى سابق عهدها ، وطلب خايم الثانى توثيق هذه العلاقات بعقد معاهدة أخرى .

فمن ناحية الأوضاع فى مملكة أراجون والتى أدت إلى التوتر فى العلاقات مع سلطنة المماليك نجد أن ألفونسو الثالث بعد عقد المعاهدة مع السلطان المنصور قلاوون كان يسعى إلى المفاوضات لعقد السلام مع البابوية وفرنسا ، وقد دفعه إلى ذلك ما واجهه من مشكلات داخلية تمثلت فى تمرد النبلاء الدائم عليه وإحداث القلاقل مما أدى إلى اضطراب الأوضاع الداخلية فى المملكة [٢].

خشى الفونسو الثالث بعد عقد معاهدة مع السلطان المنصور قلاوون من رد فعل البابوية ضده ، لذلك فإنه عندما سقطت مدينة طرابلس فى يد السلطان المنصور قلاوون ، استجاب لنداءات البابا ، ونتج عن ذلك قيام حملة صغيرة مكونة من فلاحى شمال إيطاليا ، كما انضمت خمس سفن أراجونية إلى الحملة المتجهة إلى الشام لنجدة بقايا الممتلكات الصليبية[٣]

١- هذه السفارة كانت تحمل خطاب تصديق إلى جانب خطاب إلى الملك الأشرف خليل والخطابين وهما باللغة الكتالونية القديمة :

أولا : Masia > los documentos doc 2 , p. 264-266 .

ثانيا : Chpmany Y de Monpalau Antonio : Antiguos Tratodos celebrado entre los Reyes de Aragon Y los Principes Infieles - de Asia Y Africa , p . 26-31 .

٢- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., p. 304 .

٣- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٦٩٠-٦٩١ .

عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٨ .

وفى الوقت نفسه أرسل الفونسو الثالث سفراءه إلى البابا لكى يعيد المفاوضات مع فرنسا[١]، وبدأت المشاورات والمفاوضات فى خاكا Jaca وكانفرانك Canfranc فى عام ١٢٨٨م وبيربى Perpi فى عام ١٢٨٩ [٢]، وقد أدت هذه المفاوضات فى النهاية إلى عقد معاهدة طرسكونة Tarascon فى عام ١٢٩١ م [٣].

بهذه الاتفاقية الأخيرة أخلت مملكة أراجون بشروط المعاهدة المعقودة بينها وبين السلطان المنصور قلاوون فقد تعهد الفونسو فى هذه الاتفاقية (طرسكونة) بدفع الجزية للبابا [٤]، وتنظيم حملة صليبية للتوجه بها إلى الشرق لإنقاذ البقايا الصليبية بالشام[٥]، وهذا معناه دخول أراجون فى طاعة البابوية .. وإنهاء التحالف السابق مع المماليك والذى كان موجها ضد البابوية وفرنسا ، الأمر الذى سبب توترا فى العلاقات بين المماليك ومملكة أراجون .

وسرعان ما تغير هذا الوضع بعد وفاة الفونسو الثالث فى عام ١٢٩١م دون أن يترك وريثا ، فتولى العرش أخوه خايم الذى جرد من حقوقه فى صقلية وفقا لشروط معاهدة طرسكونة [٦]، وكان غير راض عن هذه الاتفاقية ورافضا للمفاوضات مع البابوية وفرنسا حرصا على مصلحة صقلية ، خصوصا وأن من شروط الاتفاقية أن تعود مملكة صقلية إلى

١- Chaytor : op. cit ., p. 131 .

٢- Abadia : op. cit ., p. 15 .

٣- Masia : Introduccion , p. 125 .

Prieto : op. cit ., p. 51 .

٤- هذه الضرائب كان قد وعد بدفعها بدرو الثانى (١١٩٦-١٢١٣م) إلى جانب المتأخرات للبابوية من ضرائب .

Cronica de la corona de Aragon, p. 143 .

٥- Hillgarth : Los Reinos , op. cit ., p. 305 .

Prieto : op. cit ., p. 51 .

Martin : Historia de Espana , p. 77 .

٦- Cam .. Med .. Hist , V 7 , p. 586 .

حوزة البابوية[١] ، وتعهد الفونسو الثالث بمنع الأراجونيين والكتالونيين من الخدمة فى صقلية وأن يطلب من أخيه ترك صقلية للبابا وفى حالة رفضه تعلن الحرب عليه [٢].

ترك خايم أخاه دون فرديناند نائبا عنه فى حكم جزيرة صقلية ، وكان قد أعلن بأنه يخلف أخاه فى الحكم حسب وصية أبيه ولا وصية أخيه ، وكان يرى أنه يجب الاحتفاظ بتلك الولاية[٣] ، وصمم منذ اللحظة الأولى على الاحتفاظ بها تحت سيطرته المباشرة [٤]، وكان هذا انتهاكا لمعاهدة طرسكونة وعادت الحال إلى ما هى عليه من العداء بين أراجون والبابوية فرنسا.

وهنا بدأ خايم الثانى يستعد لمواجهة هذا الخطر وذلك بتأمين وضعه فى داخل شبه الجزيرة الأيبيرية ودخل فى مفاوضات مع الملك سانشو الرابع ملك قشتالة (١٢٨٤-١٢٩٥م)، ليزيل الخلافات بينهما وتم عقد معاهدة مونتياجودو Monteagudo فى منطقة سوريا Soria، وتم فيها تسوية النزاع على منطقة شمال أفريقيا وتوزيع مناطق النفوذ بينهما [٥]، وكذلك الاتفاق على زواج خايم الثانى من إيزابلا ابنة سانشو الرابع وكان عمرها تسع سنوات [٦].

كان خايم الثانى يفتقر إلى الحلفاء برغم أنه كان يملك أسطولا قويا فى البحر المتوسط،

١- Cronica de la corona de Aragon , p. 143 .
Masia : Introduccion , 195 .

٢- Chaytor : Op. cit ., p. 132 .
Cam .. Med .. Hist ., V 7 , p. 586 .

٣- Cronica de la corona de Aragon, , p. 145 .
Prieto : op . cit ., p. 53 .

٤- Salavert : op. cit ., p. 2 .
Abadia : op. cit ., p. 16 .

٥- Cronica de la corona de Aragon , p. 146 .
Martin : Historia de Espana , T 3 , p. 68 .

٦- Cronica de la corona de Aragon , p. 146 .
Prieto : op. cit ., p. 57 .

ودخل فى نزاع مع تابع البابا شارل الثانى الأنجوى ملك نابولى[١] ، أما شارل فالو[٢] ، فبدأ مع الملك فيليب ملك فرنسا إعلان الحرب الصليبية ضد خايم لوضع شارل فالو على عرش أراجون [٣]، مما دفع خايم إلى التحالف مع جنوة ليحرم شارل الثانى ملك نابولى من معونتهم البحرية[٤]، وفى نفس الوقت بدأ فى السعى إلى تجديد التحالف مع الدولة المملوكية فى مصر وأرسل سفارة إلى الملك الأشرف خليل ، ودفعه إلى طلب تجديد هذا التحالف لأنه تعرض لعداء البابوية وفرنسا وهو نفس الهدف الذى عقد من أجل التحالف السابق بين الفونسو الثالث والسلطان قلاوون بجانب المصالح التجارية خصوصا وأن خايم كان يهتم كثيرا بالتجارة الأراجونية ، لتكون مملكة أراجون مستقلة وذات كيان اقتصادى يساعدها على أن تحتل مكانة بارزة بين ممالك أوربا .

لاقى هذا الطلب ترحيبا شديدا من جانب الملك الأشرف خليل وشكل أهمية كبرى بالنسبة لسلطنة المماليك ، يرجع ذلك إلى رغبة الملك الأشرف خليل فى الحيلولة دون تكتل الدول الأوربية ضده خصوصا بعد سقوط عدد من المعاقل الصليبية الهامة فى الشام ، وتكرر نداءات البابا إلى ملوك الغرب وامرائه كى يهبوا لانقاذ بقايا الصليبيين المقيمين هناك[٥] ، ولم تستجب سوى حملة صغيرة من شمال إيطاليا وصلت إلى عكا بعد هدنة بين الملك هنرى والسلطان قلاوون واعتدت على التجار المسلمين فى عكا [٦]، وبهذا انتهكت الهدنة واستعد

١- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧١٩ .

٢- هو أخو ملك فرنسا ، والذى كان قد منح مملكة أراجون من قبل البابا وتخلى عن هذه المنحة لصالح الفونسو الثالث بعد عقد معاهدة طرسكونة وليس لخايم الثانى . Chaytor : op. cit ., p. 133 .

٣- Ibid.

٤- Cronica de la corona de Aragon , p. 146 .

Chaytor : op. cit ., p. 132 .

٥- Stevenson : the crusaders , p. 351 .

٦- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٧٥٣ .

ابن ايبك : الدرة الزكية ، ص٣٠١ .

رنسيمان : نفس المرجع ، ص٦٩٠ .

عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٧ .

المنصور قلاوون لحصار عكا ولكنه مالبث أن توفى فى عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م [١]، وتولى خلفه ابنه الأشرف خليل ، واستمرارا لسياسة سلطنة المماليك فى تصفية المعاقل الصليبية ، سار الأشرف خليل إلى عكا وحاصرها ، وعلى الرغم من وصول نجدة بقيادة ملك قبرص إلى عكا ، فقد سقطت فى يد الأشرف خليل فى عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م [٢]. بعد مقاومة شديدة من الصليبيين ، ولعب الأراجونيين دورا فى الدفاع عن حصون المدينة بقيادة المغامر الكتالونى روجر فلور [٣]، الذى استبسل فى القتال أثناء الحصار[٤].

ثم واصل الأشرف خليل بعد ذلك سيره صوب الساحل ، واستولى على صيدا وبيروت وصور وعثليث وانطرطوس وبهذا انتهى الوجود الصليبى بالشام[٥].

«وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للإسلام»

وقد أحدث سقوط عكا موجة حزن شديد فى الأوساط الأوربية ، لكن ذلك لم يؤد إلى نتيجة إذا لم تكن البابوية ولا حكام أوربا فى وضع يمكنهم من استعادة الأراضى المقدسة عن طريق الحرب[٦] ، وبدأت البابوية تجمع التقارير التى طلبتها من أجل أحسن الأساليب لاستعادة الأراضى المقدسة ، وأغلبها تنص على فرض الحصار الاقتصادى على مصر .

١- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٧٧-١٧٩ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٣٥ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٢٤٠ .

٢- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٣٧ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٧٦٤-٧٦٥ .

ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٨ ، ص٦ .

٣- انظر خايم الثانى وسياسته الخارجية (حملة الكتيلان على الشرق) .

٤- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٠٦ .

٥- أبو الفدا : المختصر ، ج٤ ، ص٢٦-٢٧ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٣٧ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٧٦٥ .

٦- عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٨ .

وكانت الحركة الصليبية ، قد خمدت بشكل لم يكن معهودا من قبل ، ورغم ذلك اتخذ السلطان الأشرف خليل جانب الحذر إزاء ملوك أوربا وأمرائها ، كما كان حريصا على كسر حدة الخوف من قدوم حملات صليبية من الغرب دون تكاتف الغرب ضده أو فرض حصار اقتصادى عليه .

وهكذا كانت الأوضاع فى كل من مملكة أراجون وسلطنة المماليك دافعا لهما نحو التقارب واعادة التحالف الذى حدث بينهما قبل ذلك ، ولذلك وصلت سفارة ملك أراجون إلى السلطان الأشرف خليل بعد سقوط عكا فى عام ١٢٩١م، وكانت مكونة من روميودى ماريمون Rameu de Marimon ورامون المانى Ramon Alemany فالأول ذو مركز مرموق ويشغل منصب قاض مدينة برشلونة والوديان ووصفه خايم الثانى بالصديق المخلص[١] ، وهما يحملان خطاب التصديق[٢] ، ويتضمن التأكيد على شخصيتهما ، واعطاهما صلاحيات للتفاوض ، وتقرير قواعد الصلح

«وأوصيناهم بتقرير قواعد الصلح والوعد بتنفيذ شروط الصلح واحترامها ، وأن تثقوا فى كل ما يعرضه سفراؤنا السابق ذكرهم من جلنبنا والتى يعرضونها عليكم»[٣]

١- Masia : doc . 2 , p. 264 .

Chpmany : Antiquos tratados, p. 26-27 .

٢- أما عن السفيرين فقد ذكروا فى خطاب التصيق على أن روميودى ماريمون قاضى مدنية برشلونة ، والثانى المانى صديق مخلص [أ] ، أما فى نص المعاهدة باللغة العربية وأيضا باللغة الكتالونية فقد ذكر الأول روميودى ماريمون Ramer de Marimon كحاكم لمدنية بلنسية والثانى ريمون المان Ramon Alamany قاضى برشلونة [ب]. وهنا نستطيع القول بأن ماورد فى خطاب التصديق عن وظفائهم هى الأجدر بالصحة لأن خطاب التصديق موقع من الملك خايم الثانى على الرغم من أن المعاهدة قد كتبت باللغتين العربية والكتالونية القديمة فى حضور هذين السفيرين .

٣- Masia : doc 2 , p. 264 // Chpmany : op . cit ., p. 27 .

أ) Masia : doc 2 , p., 264 // Chmany : op. cit ., p. 27 .

ب) Masia : doc 3 , p. , 266 . // Alarcon : doc . 145 , p. 336 .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٦٤ .

ويحمل خطاب التصديق ، التوقيع فى برشلونة بتاريخ السابع عشر من أغسطس عام ١٢٩٢ [١]، ومنح السفيران بواسطة الملك السلطة المطلقة على كل المرافقين فى السفر إلى الأسكندرية ووعدهم بمكافآت حوالى ستة آلاف سويلدو "Sueldos" برشلونى شهريا للسفارة حتى نهايتها وإعطاء تعليمات لهؤلاء المرافقين [٢].

وكان السفراء يحملون خطابا موجها من ملك أراجون خايم الثانى إلى السلطان الأشرف خليل ، وهو مكون من ستة فصول فى مستهلة التحية والسلام للسلطان ، وبعد ذلك يشير الملك خايم الثانى فى البند الأول إلى التحالف السابق بين السلطان المنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل وبين أخيه الأكبر الفونسو الثالث وأخويه فردريك وبدرو ، وأنه يطلب مواصلة هذه الصداقة والحب بينهما واستمرار إرساء القواعد التى وضعت فى التحالف السابق[٣] ، ثم يكرر ذلك فى البند الثانى بأنه يرغب فى عقد هذا التحالف استمرارا للتحالف السابق وأن يكون الود متصلا بينهما مثلما كان قبل ذلك

«ولهذا السبب نرسل سفراءنا للسلطان كى يقيموا ذلك السلام والحب والوفاق بين السلطان النبيل ودون خايم»[٤]

أما فى البند الثالث فإن خايم الثانى يشير إلى ظروفه وأحوال مملكته وحروبه مع ملك فرنسا وشارل الثانى ملك نابولى ومن ورائهم البابوية [٥]، فقد كانت الحرب بينه وبين فرنسا

١- تاريخ خطاب التصديق يوجد فى Masia : doc 2 , p. 264 بتاريخ ١٠ أغسطس ١٢٩٢م ، ويوجد بتاريخ ٩ أغسطس عام ١٢٩٢ فى Chpmany : op. cit ., p. 26 .

٢- Masca : La Corona de Aragon , p. 75 .

٣- Masia : doc 2 , p. 264 .

Chpmany : op. cit ., p. 27-28 .

٤- Masia : doc 2 , p. 264-265 .

Chpmany : op. cit ., p. 28 .

٥- Masia : doc 2 , p. 265 .

Chpmany : op. cit ., p. 29 .

قد اندلعت فى سواحل كالابريا (قلورية) ، واستطاعت قواته بقيادة دون بلاسكو دى ألاجون Don Blasco de Alagon هزيمة الفرنسيين ، وفى نفس الوقت أحرز الأميرال الأراجونى انتصارات بحرية جديدة [١]، فإنه يشير إلى انتصاراته على أنها مبعث سرور للسلطان الأشرف خليل [٢]، خاصة وأنهم كانوا أعداء المماليك السابقين .

وفى البند الرابع يطلب من السلطان أن يشمل هذا التحالف سانشو الرابع ملك قشتالة [٣]، الذى تحالف معه من أجل تفادى فتح جبهة عسكرية جديدة فى شبه الجزيرة للحصول على دعم الأسلحة القشتالية ضد فرنسا ، وكان الدور المنتظر لسانشو الرابع عسكريا هو الدفاع عن أراضى شبه الجزيرة ، الخاصة بخايم الثانى فى حالة تعرضها لهجوم فرنسى[٤] ، ولذلك فهو يشير بأنه

«لاتوجد أى خلافات بين كليهما ، وهكذا فإن ممالك هذا وممالك ذاك تكون شيئا واحدا وإرادة واحدة ووفاقا واحدا ، بالطريقة التى يجب أن يقدر الواحد الآخر بأى شئ بالأشخاص أو بالأموال أو بالرجال بالعدد وبكل قدرته »[٥]

وكذلك يطلب دخول ملك البرتغال دينيس "Dinis" (١٢٧٩-١٣٢٥) معهم فى هذا الاتفاق، وكان متزوجا من أخت خايم الثانى وابنة بدرو الثالث وهى إيزابلا [٦]، وأن كل ما يتفق عليه ملك أراجون خايم الثانى مع السلطان الأشرف خليل يكون ساريا على ملكى قشتالة والبرتغال [٧].

١- Cronica de la corona de Aragon , p. 146 .
Martin : Historia de España , T III , p. 77 .

٢- Masia : doc 2 , p. 265 .
Chpmany : op. cit ., p. 29 .

٣- Masia : doc 2 , p. 265 .
Chpmany : op. cit ., p. 29 .

٤- Martin : Historia de España, p. 77 .

٥- Masia : doc 2 , p. 265 .
Chpmany , op. cit ., p. 29 .

٦- Chaytor : op . cit ., p. 124 .

٧- Masia : doc . 2 , 265 .
Chamany : op . cit ., p. 39 .

أما البند الخامس من الرسالة فله عدة دلائل ذات أهمية ، أولها أن الدولة المملوكية كانت ذات مكانة عالية رفيعة فى النواحى السياسية والاقتصادية مما جعل ملك أراجون خايم الثانى يطلب من السلطان الأشرف خليل قرضا يستطيع به الصمود أمام أعدائه خاصة وأنه يملك العدد والعتاد [١]، ليضمن الحصول على مساعدة نقدية ، وكان لذكاء السفراء أثر كبير فى الحصول على كمية كبيرة من السفن والفرسان والمشاة والملاحين المهرة ، الذين جمعهم خايم حتى يظهروا عظمة أراجون وشهرة الانتصارات الأراجونية [٢].

والواقع أن هذا الطلب ذو غرابة مدهشة ، فلم يحدث فى السفارات من قبل وبعد ذلك أن يكون هذا الطلب من بينها ، يدل ذلك على أن خايم الثانى كان يستعد استعدادا ضخما لمحاربة فرنسا ولذلك فهو يعبئ جيوشه وما تحتاجه من أموال ، فمن الممكن طلب مميزات تجارية، أو مطالب سياسية أما يتعدى ذلك إلى طلب أموال على سبيل القرض ، فلم يحدث أن مملكة من الممالك الأوربية قد طلبت مثل هذا الطلب من قبل ، ويشير أنه من واجب الصديق أن يعين صديقه .

والبند السادس والأخير نجد أن خايم الثانى يلتمس من الملك الأشرف خليل إطلاق سراح الأسرى التابعين لملك أراجون أو لملكى قشتالة والبرتغال [٣]، لكن لم نجد فى المصادر التى تم الرجوع إليها ما يشير إلى أسر مثل هؤلاء الأسرى ولكن الأرجح أنهم قد أسروا فى فتح عكا خاصة وأن أراجون لها جالية تجارية بها [٤].

١- Masia : doc , p. 265 .

Chpmany : op. cit ., p. 30-31 .

٢- Masia La Corona de Aragon , p. 76 .

٣- Masia : doc 2 , p. 265-266 .

Chpmany : op. cit ., p. 30-31 .

٤- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٤٨٨-٤٨٩ .

هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ج١ ، ص٣٣٢ .

Hillgarth : The Spanish , op. cit ., p. 246 .

كان ذلك مجمل لخطاب الملك خايم الثانى إلى السلطان الأشرف خليل وبناء عليه تم عقد المعاهدة فى الثامن والعشرين من يناير عام ١٢٩٣ الموافق التاسع عشر من صفر عام ٦٩٢هـ[١]، والواقع أن معاهدة التحالف تكاد تكون مطابقة تماما مع معاهدة التحالف بين الفونسو الثالث والسلطان المنصور قلاوون فلاتغدو أن تكون هى نفس المعاهدة فيما عدا تغيير الأسماء والألقاب .

وبالنسبة لتلك المعاهدة الموقعة بين خايم الثانى وأخويه دون فردريك ودون بدرو وصهريه سانشو الرابع ملك قشتالة ودينيس ملك البرتغال ، وقد ذكر فى النسخة العربية والكتالونية القديمة فى التحالف بأنه ألفونسو [٢]، والواقع أن حاكم البرتغال كان دينيس من الفترة (١٢٧٥-١٣٢٥م)[٣] ، ويبدو أن تعدد أسماء الفونسو فى كل من ممالك أسبانيا - قشتالة وأراجون والبرتغال - قد جعلت المصادر العربية غالبا ما تذكر عن أى ملك من ملوك أسبانيا بأنه أدفونش على أساس أنه لقب من ألقابهم [٤].

١- ذكر تاريخ المعاهدة بالتاريخ الميلادى خطأ فى النسخة العربية ، حيث أن خطاب التصديق بتاريخ السابع عشر من أغسطس عام ١٢٩٢، وتاريخ خطاب ملك أراجون العاشر من أغسطس عام ١٢٩٢، إذ السفارة قامت بعد هذا التاريخ واستمرت الرحلة إلى مصر واستغرقت من أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ، ونوفمبر، وديسمبر ، ويناير العام التالى (١٢٩٣م) حيث أن النسخة العربية تذكر خطأ تاريخ عقد المعاهدة بأنه يوم الثامن والعشرين يناير ١٢٩٢م مع أنها قامت بعد أغسطس ١٢٩٢ ، أنظر تاريخ السفارة للنسخة العربية فى القلقشندى :

صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٦٤ ، أنظر أيضا . Alarcon : doc , 145 , p. 335

أنظر التاريخ الصحيح فى . Masia : doc 3 , p. 266

٢- Alarcon : doc . 145 , p. 335 .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٦٤ .

Masia : doc . 3 , 266 .

٣- Hillgarth : Los Reinos , op. cit ., p. 35 .

٤- العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٦٠ .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٨ ، ص٣٣ .

ويركز السلطان الأشرف خليل كما فعل والده على أن يتعهد الملك خايم الثانى وأخويه وصهريه بأن

« يفسح كل منهم لأهل بلاده وغيرهم من الفرنج أن يجلبوا إلى الثغور الإسلامية ، الحديد والبياض والخشب وغير ذلك »[١]

خاصة وأن البابوية قد طلبت الاقتراحات بعد سقوط عكا وكان أغلب التقارير المقدمة تطالب بفرض حصار اقتصادى على مصر[٢] ، وأيد شارل الثانى ملك نابولى فرض الحصار الاقتصادى على مصر وسوريا ، خاصة وأنه يرى من المستحيل فى هذا الوقت القيام بعمل حربى فى الشرق [٣] ، وكان شارل الثانى هو الجانب المضاد لكل من أراجون والمماليك ، وكانت المعاهدة أساسا موجهة ضد البابوية وفرنسا وشارل الثانى، كما ذكر خايم فى خطابه الموجه للأشرف خليل فى البند الثالث .

كانت مملكة أراجون تهتم فى هذه المعاهدة بتأكيد الأوضاع التجارية والاقتصادية بينها وبين سلطنة المماليك، فكانت تعتمد فى رخائها على التجارة الشرقية التى يجتاز قدر كبير منها ممتلكات السلطان المملوكى[٤].

وهكذا نظمت المعاهدة العلاقات التجارية بينهما وخاصة الضرائب المفروضة على التجارة التى ترد إلى ثغرى الأسكندرية ودمياط [٥]، وذكر القلقشندى تفسيرا لتلك الضرائب بقوله :

١- Masia : doc 3 , p. 269 .

Alarcon : doc . 145 p. 337 .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٦٨ .

٢- أنظر عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٨-٢٣٠ .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١٣٥-١٤٠ .

٣- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٢١ .

٤- نفس المرجع ، ج٣ ، ص٨٢٢ .

٥- Alarcon : doc ., 145 , p. 338 .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٦٩ .

«واعلم أن المقرر فى الشرع أخذ العشر من بضائعهم التى يقدمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شرط ذلك عليهم»(١)

وقد تخضع للزيادة والنقصان حسب احتياج السلطنة لهذه البضاعة ولكن الذى استقر عليه ديوان الخراج هو أن تؤخذ رسوم جمركية خمس بضائعهم .

وكان السلطان الأشرف خليل لايمنع أى تقارب مع الممالك الأوربية بل ويسعى إلى تسهيل مهماتها التجارية ، وكان لايتوانى عن تأكيد الامتيازات التجارية الأراجونية وكان ذلك فى حادثة البنادقة عندما اعتدت سفن البندقية على سفن مملوكية وأسروا منها أعدادا كثيرة ، ولذلك قبض الأشرف على عدد من البنادقة الموجودين بالأسكندرية ، وهنا أرسلت البندقية لطلب مراحم السلطان الأشرف خليل وإطلاق سراح التجار المسلمين مع تعويضهم ، لذلك وافق الأشرف خليل على طلبهم ومنحهم الامتيازات وتأمين البنادقة والبيازنة والجنوية والكتالونية وغيرهم بأن يترددوا إلى الثغور الإسلامية آمنين مطمئنين (٢).

وهكذا شهدت العلاقات الأراجونية المملوكية تطورا ليس بجديد فى عهد خايم الثانى ملك أراجون والأشرف خليل سلطان المماليك، امتدادا للعلاقة بينهما فى عهد الفونسو الثالث والمنصور قلاوون ، فقد ارتبطت المصالح السياسية والاقتصادية بينهما مما دفعهما إلى تأكيد ذلك بعقد معاهدة سياسية تجارية فى الثامن والعشرين من يناير ١٢٩٣ / التاسع عشر من صفر سنة ٦٩٢هـ ، كان من نتيجتها انتظام العلاقات السياسية وتنظيم التبادل التجارى بينهما ، مما كان له أثر فى ازدهار كل من مملكة أراجون وسلطنة المماليك اعتمادا على المكاسب التجارية لكل منهما .

١- القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٦٣ .

٢- نفس المصدر والجزء والصفحة .

٣- ابن عبد الظاهر : الألطاف الخفية فى السيرة الشريفية ، ص٤٤-٤٥ .

الفصل الثالث

العلاقات السياسية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ / ١٢٩٣-١٣٤١م)

١- تحالف ملك أراجون خايم الثانى مع غازان ملك المغول ضد المماليك (٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م) .

٢- دور أراجون فى رعاية المسيحيين بالشرق .

٣- اهتمام أراجون بتحرير الأسرى المسيحيين .

تحالف ملك أراجون خايم الثانى مع غازان ملك المغول ضد المماليك (٦٩٩-١٣٠٠م)

بعد أن بدأت العلاقات بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك تتوطد وتأخذ مسارها فى المجالين السياسى والتجارى ، طرأت أحداث سياسية فى الغرب الأوربى فرضت على أراجون تغيير موقفها السياسى ، إذ أنه فى عام ١٢٩٥م- والذى يعتبر عاما ذا أهمية خاصة فى تاريخ مملكة أراجون أو بمعنى آخر فى تاريخ النصف الغربى من البحر المتوسط - عقدت معاهدة أناجنى فى هذا العام، والتى بمقتضاها انتهت الأزمة الصقلية ، التى شغلت أوربا فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى ودخلت مملكة أراجون فى طاعة البابوية .

ودفعت خايم الثانى - بعد عقد معاهدة التحالف مع السلطان الأشرف خليل (١٢٩٣م) مصالحه إلى محاولة البحث عن حل سلمى يسمح له بالتحكم على الأقل تجاريا فى صقلية ووضع نهاية للحرب التى امتدتد (من ١٢٨٢) فى جبهتين : صقلية وشمال كتالونيا ، فقد كان فيليب الرابع ملك فرنسا يسيطر على وادى أران[1] ، فى الوقت الذى تصالح فيه ملك قشتالة مع ملك فرنسا وترك خايم الثانى لحظة[2].

١- Martin : Historia de España , T III, p. 77 .

٢- Ibid .

كان لضغط البابا بونيفيس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٤م) على خايم الثانى دور فى عقد المعاهدة السالفة والتى بمقتضاها تنازل خايم الثانى عن مملكة صقلية فى مقابل منحه جزيرتى سردينيا وكورسيكا [١]، ومن أهم بنودها أيضا رفع العقوبات عن مملكة أراجون وإلغاء منحها إلى شارل دى فالو أخى ملك فرنسا [٢].

وبامعان النظر فى معاهدة أناجنى يمكن اعتبارها حلا سياسيا سلبيا، من حيث التنازل عن ميورقة وصقلية فى مقابل بدء المفاوضات لاسترداد وادى أران- والتى تسيطر عليه فرنسا- ولكن كانت المعاهدة مفيدة لأراجون تجاريا وذلك بضم سردينيا وكورسيكا إلى ممتلكاتها ، كان ذلك يضمن لخايم الثانى التحكم فى غرب البحر المتوسط [٣].

ومن أهم ما كسبه خايم الثانى من هذه المعاهدة ، استدعاء البابا بونفيس له فى فبراير سنة ١٢٩٦م وتوليته منصب القائد الأعلى للقوات البابوية ضد أعداء الكنيسة [٤].

وبهذه الاتفاقية أخلت مملكة أراجون بشروط التحالف مع سلطنة المماليك وبدأت عهدا جديدا تحت راية البابوية ، فإن خايم الثانى بحصوله على لقب الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما جعلته يتبنى شئون المسيحيين وخاصة فى مصر والشام مع الاهتمام بمحاولة استرداد بيت المقدس ، بالتحالف مع المغول فى عام ١٣٠٠م .

كان غازان (١٢٩٥-١٣٠٤م) ملك المغول قد اعتنق الإسلام فى سنة ١٢٩٥م ٦٩٤هـ [٥]، ولم يكن لاعتناقه الإسلام أثر فى توطيد علاقته بالمماليك فى مصر، بل سار على سياسة من سبقه من ايخانات المغول فى بسط نفوذ دولته على ما جاورها من البلاد خاصة بلاد الشام التى كانت خاضعة لنفوذ سلطنة المماليك فى مصر [٦].

١- Cronica de la corona de Aragon , p. 148 .

٢- Hillgarth : los Reinos , op. cit ., p. 307 .

٣- Martin : Historia de España T , III , p. 77 .

٤- Chaytor : op. cit ., p. 136 .

٥- حسن الأمين : الغزو المغولى : ص١٦٩ .

أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك ص٣٥ .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٢٠ .

٦- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص١٧٦ .

بدأ غازان غزو الشام بعبور الفرات فى سنة ٦٩٩ هـ لتأديب سلامش- الذى خرج عن طاعته[١]- وتوجه إلى مجمع المروج بالقرب من حمص [٢]، وعندما علم الناصر محمد بن قلاوون بنبأ عبور غازان نهر الفرات عهد إلى بعض الأمراء بالخروج إلى بلاد الشام لصد غارات المغول ، ثم تبعهم على رأس جيش كبير [٣]، والتقى الجيشان فى سلامية [٤]، قرب حمص فى الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ١٢٩٩م، هزم فيها الجيش المملوكى[٥]، وتوجه غازان بعد ذلك إلى دمشق وحاصرها مما دفع سكانها إلى طلب الأمان ثم عاث نهبا وفسادا فى المدينة[٦] إلى أن اضطرته ظروفه إلى العودة إلى بلاده نتيجة لمرضه ولمواجهة خطر أقربائه من المغول الذين تمردوا عليه [٧].

وعندما علم أراجون خايم الثانى بهذا الانتصار المغولى وجد الفرصة سانحة ليعيد التحالف القديم مع المغول من أجل استرداد بيت المقدس [٨]، خاصة بعد أن حصل على لقب القائد العام للجيوش البابوية ، أصبح مسئولا عن تحرير الأراضى المقدسة ، وأعلن قبل ذلك فى سنة ١٢٩٧م بأنه حامل اللواء البابوى وأنه سوف يسعى لإقامة محمية للمسيحيين الشرقيين فى

١- أبو الفدا : المختصر، ج٤ ، ص٤٤ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٨٧٨ .

٢- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٢٠ .

٣- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص١٧٧ .

٤- تعرف أيضا بوادى الخزندار ، المقريزى ، ج١ ، ق٣ ، ص٨٨٦ .

٥- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٨٨٨ .

ابن ايبك : الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، ج٩ ، ص١٦ .

٦- المقريزى : السلوك ، ص٨٩١ .

٧- أحمد عبد الكريم : المغول والمماليك ، ص٥٠ .

٨- Hillgarth : The Spanish, VI , p. 268 .

Abadia : op. cit ., p. 43 .

Prieto : op. cit ., p. 60 .

الأماكن المقدسة فى فلسطين[١]، وكان تحقيق هذا الهدف صعبا أمام ملك أراجون مما دفعه إلى التحالف مع المغول أعداء المماليك ، وكان هذا التحالف المغولى الأوربى هو الركيزة التى اعتمد عليها دعاة الحروب الصليبية بعد سقوط عكا ، فريمون لول (١٢٣٢-١٣١٥م) الكتالونى "Ramon Lull" - أشهر هؤلاء الدعاة- عندما سمع بنبأ غزو غازان للشام ، اتجه إليها لكنه وصل متأخرا بعد رحيل غازان فلم يجتمع به [٢].

ونتيجة للأوضاع السابقة أرسل خايم الثانى سفيره بدرو سوليفير Petro Soliver إلى الملك غازان ليعرض عليه الصداقة والتحالف ضد المماليك[٣]، وكان خطابه إلى غازان يحمله السفير موقع فى مدينة لاردة[٤] ويحمل تاريخ التاسع عشر من مايو سنة ١٣٠٠م [٥].

فى هذه الرسالة يشير خايم الثانى إلى بيت المقدس وكيف أنها قد دنست مما دفعهما إلى غزوها والاستيلاء عليها لكن استطاع المسلمون استردادها وعرض على غازان مساعدته فى غزو بيت المقدس والاستيلاء علياه من أيدى المسلمين وأعلن استعداده بتقديم المساعدة سواء أكانت بالمؤن أو الفرسان أو السفن وأكد ذلك بقوله

> «وعلى ذلك نعرفكم بأنه إذا احتجتم إلى مساعدتنا من سفن أو رجال مسلحين أو فرسان أو مؤن أو أشياء أخرى مناسبة لجهودكم ، نرجوكم أن

١- Hillgarth : Los Reinos , T I , p. 313 .

٢- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٣٦ .

٣- Chpmany : op. cit ., p. 106 .

٤- : مدينة قديمة مرتفعة حصينة على وادى شقر شرقى سرقطة فى منتصف الطريق بينها وبين برشلونة وكانت القاعدة الثانية بعد سرقطة فى منطقة الثغر الأعلى حينما استقل بنو هود بهذه المنطقة أيام ملوك الطوائف وكانت سرقطة ولاردة : من أهم المناطق التى تنازع عليها ملوك هذه الأسرة وسقطت لاردة فى أيدى المسيحيين نهائيا ٥٤٣هـ / ١١٤٨م استولى عليها ريموند برنجير الرابع أمير أراجون راجع صفة جزيرة الأندلس للحميرى ، ص١٦٨ ، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس تحقيق دكتور أحمد مختار العبادى ، هامش ، ص٩٨ .

٥- يذكر خايم الثانى فى هذه الرسالة اللقب الجديد وهو «الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما» من ضمن ألقابه Chpmany : op. cit ., p. 106 .

تشركونا فيها عن طريق رسولكم ، لأننا مستعدين للقيام بها والوفاء بجميعها »[١]

ويشيرخايم إلى أنه قد أمر رعاياه بأنه لاعائق أمام ذهابهم وانضمامهم إلى الجيش المغولى[٢]، خاصة وأنه كان لديه العديد من المغامرين والفرسان العاطلين ، بعد رجوعه من محاولة تأديب أخيه فردريك ، الذى خرج عن طاعة خايم ولم يوافق على الامتثال لبنود معاهدة أناجنى ، مما دفع خايم الثانى إلى مواجهته بناء على أمر البابا ، لكن بانتصاراته غير الحاسمة التى أيد فيها الصقليون فردريك ضده ، والتى جعلته يعتبر أنه قد نفذ وعوده التى تعهد بها فى معاهدة أناجنى وانسحب من صقلية [٣]، وأصبح أسطوله بقيادة روجردى لوريا متفرغا ، بجانب العديد من المغامرين والفرسان والعاطلين ، مما دفعه فى سنة ١٣٠٢م إلى الاستجابة لطلب امبراطور القسطنطينية بإرسال هؤلاء المغامرين إليه لمساعدته فى مقاومة الأتراك[٤].

ومن منطلق لقب خايم الثانى، الذى منحه له البابا وهو «الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما » إلى جانب قائد الجيوش البابوية فإنه يطلب من غازان ملك المغول، أن يتولى الدفاع عن المسيحين المقيمين بتلك المناطق وعلى الأخص رعايا مملكة أراجون [٥].

ويشير أيضا فى الرسالة إلى أن سفيره بدرو سوليفير يملك الصلاحيات للتفاوض ، بجانب تعليمات ملك أراجون التى ركز فيها على طلب- فى مقابل مساعدة المغول ضد المماليك- امتلاك خمس الأراضى المقدسة [٦]، وفى نفس الوقت حصول رعايا ملك أراجون على

١- Ibid .

٢- Ibid .

٣- Abadia : op. cit ., p. 18 .

٤- Cronica de la corona de Aragon, p. 175 .

Masia : Introduccion , p. 197 .

٥- ومما جاء فى خطابه «نرجوكم أن تتولوا بعنايتكم ودفاعكم المسيحيين الموجدين فى هذه الأراضى وخصوصا الفرنجة من رعايانا المخلصين للدين الكاثوليكى، فى الأرض والبحر ، وفى الأرض المقدسة التى جعلكم الله تربحوها »

Chpmany : op. cit ., p. 106 .

٦- Ibid , p. 108 .

امتيازات منها الأمان والحج بدون جزية إلى القبر المقدس وأيضا كل الفرنجة المسيحيين [١].

بعد وصول سفارة خايم الثانى إلى غازان ملك المغول ، عاود الكرة مرة أخرى على بلاد الشام فى المحرم عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م [٢]، وكان الناصر محمد قد استعد لهذا بفرض الضرائب وتجهيز الجيش وتزويده بالأسلحة والعتاد [٣]، إلا أن غازان سرعان ما رحل عن الشام عائدا إلى بلاده [٤].

وقد استمرت المناوشات بين المغول والمماليك حتى استطاع الناصر محمد بن قلاوون هزيمتهم فى موقعة مرج الصفر (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م) [٥]، وترتب على هذه الهزيمة فشل التحالف الأراجونى المغولى .

سعت البابوية وملوك أوربا خاصة بعد فشل التحالف مع المغول ، بالإضافة إلى أن الحركة الصليبية أخذت فى الخروج من مجال السياسة العملية بعد سقوط عكا وطرد الفرنج من الشام[٦]، ، وفشلت أية محاولات للدعوة إلى حملة صليبية تتجه إلى الشام لاسترداد بيت المقدس سعيا لاتخاذ أفضل الأساليب والطرق لاستعادة هذه الأراضى ، مما دفع بعض الكتاب ورجال الكنيسة إلى وضع مقترحات عديدة فى هذا الشأن وأهم هؤلاء الدعاة ريمون لول

١- Ibid , p. 109 .

٢- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٠٦ .

زيتر شتين : تاريخ سلاطين المماليك: ص٨٤ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص١٨٧ .

٣- أبو الفدا : المختصر ، ج٤ ، ص٤٧ / المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٠٦ -٩٠٧ .

٤- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٣٣ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص١٨٨ .

٥- المقريزى: السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٣٠-٩٣٦ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

ابن ايبك الدواداري : الدر الفاخر ، ص٨١-٨٨ .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٣٦ .

٦- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧١٧ .

الكتالونى (١٢٣٢-١٣١٥م) [١]، الذى أصدر كتابه المعروف باسم "Liber de Fina" الذى حوى بالتفصيل أفكاره [٢]، ومشروعه الحربى يتلخص فى ضرورة توجيه الجهود لطرد المسلمين من أسبانيا أولا ثم العبور منها إلى الشمال الأفريقى والزحف من هناك على مصر، واقترح أيضا جعل كل من جزيرتى رودس ومالطة وقبرص مراكز الأنطلاق الرئيسية فى الهجوم ضد المسلمين[٣]، واعتمد فى تنفيذ مشروعه على مملكتى أراجون وقشتالة ويرجع ذلك لوفرة الأشجار الصلبة فى كتالونيا وأراجون وقشتالة والحديد الذى يستخدم فى صنع آلات الحرب بجانب وفرة المؤن الكافية بهما [٤].

كما قام بزيارات عديدة إلى الأقاليم الإسلامية[٥]، من أجل ذلك الهدف وخاصة إلى بلاد الشام لمقابلة غازان ملك المغول الذى كان قد ترك الشام قبل وصوله هو إليها [٦].

وكانت لاتخلو هذه التقارير من وضع التحالف مع المغول فى الحسبان - على الرغم من أن التحالف المغولى الأوربى قد تعددت أدواره منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وانتهى كل دور منها بالفشل- خاصة كتابه «تاريخ الأراضى الشرقية» لهيثوم الأمير الأرمنى الذى دعا إلى التحالف مع المغول كاحدى الخطط لاستعادة بيت المقدس [٧].

وصلت سلطنة المماليك إلى درجة عظيمة من القوة بحيث أصبح استخدام السلاح معها لايجدى شيئا ويتضح ذلك من خلال فشل غزوات المغول وتحالفهم مع القوى الأوربية مما كان سببا لاتجاه مملكة أراجون إلى وسيلة أخرى لتنفيذ رغباتها وهى وسيلة التودد والمسالمة .

١- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢، ص١١٣٥ .

٢- Atiya : The crusade in the later Middle Ages , pp. 74-94 .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٤٢٧ .

٣- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٣٥ .

عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢٢٩ .

٤- Atiya : op. cit ., p. 81 .

٥- رنسيمان : نفس المرجع ، ص٤٢٧ .

٦- رنسيمان : نفس المرجع ، ص٧٣٦ .

٧- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٣٦ .

عبد القادر اليوسف : علاقات ، ص٢٣٠ .

دور أراجون فى رعاية المسيحين بالشرق

انتهى التحالف الأراجونى المغولى بالفشل ، بهزيمة المغول فى موقعة مرج الصفر وتأكد عدم جدوى الأعمال العسكرية ضد المماليك ، وبانتصار المماليك أصبحت سلطتهم فى أوج عظمتها وقوتها ، لذلك فإن خايم الثانى رأى أنه من الأفضل لتحقيق أغراضه فى الاهتمام بشئون المسيحين فى مصر والشام فضلا عن تحرير الأسرى الصليبيين وضمان أفضل معاملة للمسيحين وتأمين طريق الحجاج إلى بيت المقدس ، ايجاد نوع من العلاقات السلمية والتحالف الودى مع سلطنة المماليك .

وكانت الدوافع الاقتصادية للتقارب مع سلطنة المماليك قد احتلت مكانة بارزة فى هذه العلاقات خاصة وأن أراجون تمتلك أقوى أسطول فى البحر المتوسط [١]، وتعتمد عليه فى التجارة الشرقية .

بدأ خايم الثانى فى إرسال السفارات منذ عام ١٣٠٣ واستمر تبادل السفارات بين الجانبين حتى عام ١٣٣٠ [٢]، واشتملت على عدد من المطالب السياسية والدينية والتجارية من أراجون ومن هذه المطالب الاهتمام بشئون المسيحين فى الشام ومصر . فسوف تركز أراجون فى كل سفارة من سفارتها على هذا الاهتمام والذى يعتمد فيه خايم الثانى على تفويض البابا له وتقليده منصب الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما بعد اتفاقية أناجنى سنة ١٢٩٥م .

ومن أهم أسباب قدوم سفارة سنة ١٣٠٣ إلى مصر ضمن عدة سفارات من الإمبراطورية البيزنطية وروما وفرنسا والحبشة ، بسبب ما تعرض له المسيحيين فى مصر من أحداث فى عام (سنة ١٣٠٠م / ٧٠٠هـ) واختلفت المصادر فى الواقعة سبب الأزمة [٣] ، ولكن ما يهمنا هنا

١- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٧١٩ .

٢- أورد عزيز سوريال عطية فى كتابه «الحروب الصليبية فى أواخر العصور الوسطى» The crusade in the later Middle ages

من ص ٥١٠-٥١٦ ملحقا عن هذه السفارات المتبادلة بين أراجون ومصر نبذة صغيرة عن كل سفارة هذا بجانب مولفه الخاص بعلاقة أراجون بمصر فى كتاب «مصر وأراجون» Egypt and Aragon وهى دراسة وثائقية تتضمن محتويات رسائل لملك أراجون ورسائل سلطان مصر مع تعليق هامش عليها .

٣- أنظر لمزيد من التفاصيل حول هذه السفارات : المقريزى : السلوك ، ج١ ، ص٩١٢-٩١٣ ، أيضا قاسم عبده قاسم : أهل الذمة ، ص٩٢-٩٧ / محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ، ص٢٩٤ .

أنها حدثت عقب مجئ الوزير المراكشي إلى مصر ، ويبدو أنه شاهد وضعا لم يرض عنه بالنسبة للمسيحيون مما أقلعه وذكر للسلطان والمسلمين بما يجب أن يتبعوه مع المسيحيين [١]، مما ترك أثرا عند السلطان وأصدر مرسوم رجب سنة ٧٠٠هـ واشترط عدم استخدام أحد من النصارى أو اليهود بديوان السلطان أو بدواوين الأمراء وألا يركبون خيلا ولابغالا مع تمييز النصارى بعمائم زرق وتمييز اليهود بعمائم صفر [٣]، بجانب غلق الكنائس بمصر والقاهرة [٤]، وصدر الأمر إلى الشام بتنفيذ هذا المرسوم [٥]، ولم يمتثل المسيحيون لهذا الأمر وقاموا بفتح

١- يذكر ابن أيبك «السبب فى ذلك وصول وزير صاحب المغرب يريد الحج إلى بيت الله الحرام، فوجد النصارى واليهود بالشاشات البيض السلطانية، واللبس الحرير والبقابير ولايفرق بينهم وبين المسلمين إلا الزنار واليهودى العلامة الصفرا فى عمامته» ابن أيبك : الدر الفاخر ، ج٩ ، ص٤٧ .

وقال المقريزى «فاتفق وزير ملك المغرب يريد الحج واجتمع بالسلطان والأمراء وبينما هو تحت القلعة إذ برجل راكب فرسا وحوله عدة من الناس مشاة فى ركابه ، يتضرعون ويسألونه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم لايعبأ بهم بل ينهرهم ويصيح فى غلمانه بطردهم فقيل للمغربى أن هذا الراكب نصرانى فشق عليه واجتمع بالأمير بن بيبرس وسلار وحدثهما بما رآه وأنكر ذلك وبكى بكاءا كثيرا» .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٠٩-٩١٠ .

يذكر ابن تغرى بردى «جلس الوزير المغربى بالباب المذكور بباب القلعة عند بيبرس الجاشنكير وسلار ، فحضر بعض كتاب النصارى، فقام إليه ودخل إلى السلطان بحضرة الأمير سلار وبيبرس مدبرى مملكة الناصر وتحدث معه فى أمر النصارى واليهود وأنهم عندهم فى بلادهم فى غاية الذل والهوان»

ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٨ ، ص١٣٣ .

٢- ابن أيبك : الدر الفاخر ، ج٩ ، ص٤٨-٤٩ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩١٠-٩١١ .

٣- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٣٣ .

النويرى : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٢ .

زيترشتين : تاريخ سلاطين المماليك ، ص٨٧ .

٤- ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٨ ، ص١٣٤ .

٥- النويرى : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٢ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩١٢ .

إحدى الكنائس بدون إذن وبعضهم امتنع عن لبس العمامة الزرقاء [١]، مما دفع المسلمين إلى هدم كنيستين على أساس أنهما استحدثتا بعد الإسلام [٢].

ولم تكن هذه إلا بعض المناوشات البسيطة بين المسلمين والمسيحيين ومالبث أن تصدى الفقهاء المسلمون لسياسة هدم الكنائس وأفتوا بأنه لايجوز أن يهدم من الكنائس إلا ما استجد بناؤه، بناءا على العهد العمرى [٣].

انتشر صدى هذه الأحداث وتوالت السفارات من ملوك بيزنطة والبابوية وفرنسا والحبشة[٤]، واستجاب الناصر محمد لرسل الإمبراطور البيزنطى وفتح كنيسة المعلقة [٥]، بمدينة مصر وكنيسة ميكائيل الملكانية» [٦].

ومن أهم هذه السفارات سفارة خايم الثانى ملك أراجون [٧]، وقام بهذه السفارة السفير

١- المقريزى : السلوك، ج١، ق٣، ص٩١٤-٩١٥ .

٢- زيترشتين : تاريخ سلاطين المماليك، ص٨٧-٨٨ .

المقريزى : السلوك، ج١، ق٣، ص٩١٠ .

٣- زيترشتين : تاريخ سلاطين المماليك، ص٨٧-٨٨ .

المقريزى : السلوك، ج١، ق٣، ص٩١٠ .

ترتون : أهل الذمة فى الإسلام، ص٦١ .

٤- محمد مرزوق : الناصر محمد، ص٢٩٤ .

٥- «هى بمدينة مصر فى خط قصر الشمع على اسم السيدة وهى جليلة القدر عندهم»

المقريزى : الخطط، ج٢، ص٥١٠ .

٦- المقريزى : السلوك، ج١، ق٣، ص٩١٢ .

٧- ذكر المقريزى «وفيها قدم رسول ملك الفرنج الريدراكون البرشلونى بهدية جليلة القدر للسلطان وللأمراء وسأل فتح كنايس النصارى» السلوك، ج١، ق٣، ص٩٥٠ .

وذكر المقريزى أيضا فى خططه «فبعث ملك برشلونة فى سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته عم بها جميع أرباب الوظائف من الأمراء مع ما خص به السلطان وكتب يسأل فى فتح الكنائس »

المقريزى : الخطط، ج٢، ص٤٩٩ . Muir: The Mameluke p. 59 .

ايميرك دوساى Eymerico Dusay الذى حمل رسالة خايم الثانى، بتاريخ[١] ، أول يونيو عام ١٣٠٣م [٢]، ومما حواه خطاب خايم :

«بكل الصداقة والحب فنحن نرجو منكم بأن تأمروا بفتح كل الكنائس والتى قد أغلقت فى القاهرة وبابليون مع منحهم حرية العبادة فى كنائسهم وحرية المرور كما نحن نعطى للمسلمين تحت حكمنا حرية العبادة فى مساجدهم»[٣]

وهكذا ينوه خايم الثانى للسلطان الناصر محمد بن قلاوون بأن المسلمين يمارسون حرية العبادة فى مساجدهم ، وكان يطلق على هؤلاء المسلمين بالمدجنين ، الذين اختاروا البقاء فى أوطانهم بعد سقوطها فى يد الأسبان [٤]، ورغم ما يذكره خايم الثانى فقد كان هؤلاء المسلمون المقيمون بأسبانيا المسيحية يرغمون فى العادة على لبس زى خاص وتكون منازلهم فى كل مدينة فى حى منعزل عن سائر أحيائها وكانت تفرض عليهم ضريبة فادحة أكثر مما تفرض على غيرهم[٥] ، وكثيرا ما كان يتراجع الأسبان عن هذه السياسة ، لأن وجود مملكة غرناطة فى ذاته عنصر من عناصر تكييف السياسة الأسبانية إزاء المدجنين ، ذلك أن ملوك أسبانيا فوق ما كان يحدوهم من رغبة المحافظة على مصالحهم والسكينة والحفاظ على حالة الهدوء فى بلادهم بايثار الرفق فى معاملة المدجنين ، وكانوا أيضا يخشون سياسة الانتقام من النصارى المقيمين فى غرناطة وفيما وراء البحار فى بلاد المغرب بل فى الممالك الإسلامية الأخرى مثل مصر [٦].

١- موقعة فى Villafrance del panades وهى منطقة تعتبر ضاحية من ضواحى برشلونة تقع إلى الغرب منها ناحية الجنوب .

Atiya: Egypt and Aragon , p. 290 .

٢- Masia : doc . 25 , p. 290 .

٣- Ibid .

أنظر أيضا Atiya : The crusade in the later Middle ages p. 510 .

٤- محمد عبدالله عنان : مصر الإسلامية ، ص١٦٩ .

٥- ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٨ .

٦- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٤٥ .

وفى عام ١٣٠٤ م / ٧٠٣هـ أرسل السلطان الناصر محمد [١]، ردا على رسالة ملك أراجون يوضح فيها بأنه قد أجاب لطلب الملك خايم وفتح كنيستين على الرغم من مقتضى الشرع بألا تبقى كنائس مفتوحة إلا ما كان موجودا منها قبل العهد العمرى وأن سفير ملك أراجون قد عاين فتح الكنيستين [٢].

وقد استجاب الناصر محمد إلى مطالب ملك أراجون بفتح كنيستين، هما كنيسة يعقوب بحارة زويلة [٣]، لليعاقبة وكنيسة الملكانية للقديس نيقولا[٤] فى البندقانيين من القاهرة، ويشرح لملك أراجون سبب هذا الإغلاق بأنه بناء على العهد العمرى والذى ينص على عدم بناء أى كنائس جديدة، وأما الكنائس التى كانت قبل العهد العمرى فتبقى كما هى ولاتجدد «وهذا ما اشترطه أهل الذمة مع عمر بن الخطاب» [٥].

١- Alarcon : doc . 147 , p. 350 .

٢- الفقرة الخاصة بذلك فى الرسالة تذكر «أجبنا سؤاله فى أمر الكنائس ورسمنا بفتح كنيستين بمدينة القاهرة المحروسة مع أن أمر الكنائس الرجوع فيه إلى الشرع الشريف ومقتضى الشرع الشريف أن لايبقى منها شئ مفتوحا إلا ماهو من العهد العمرى وكلما تجدد بعد العهد العمرى يقتضى شرعنا وديننا أن لايفتح، واتفق أن تجددت بعد العهد العمرى كنايس كثيرة والملك يعلم انكم كما يجب عليكم الوقوف عند شرعكم وأحكام دينكم كذلك نحن أيضا يجب علينا أن نقف عند شرعنا وأحكام ديننا فهذا هو كان السبب فيما حصل فى أمر الكنايس وبعد هذا وقبله فإكراما للملك ولأجل محبته ومودته ومنزلته عندنا رسمنا الآن بفتح كنيستين معرفتين بمدينة القاهرة المحروسة كل ذلك لأجل محبة الملك ولأجل خاطره وقبول إشارته وقد عاين رسول الملك فتح الكنيستين المذكورتين وموافقته على ما طلبه وقصده .

Alarcon : doc . 147 , p. 351 .

٣- «وهى كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة وهى على اسم السيدة وزعموا أنها قديمة تعرف بالحكيم زابلون وكان قبل الملة الإسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة وأنه صاحب علوم شتى وأن له كنزا عظيما يتوصل إليه من بئر هناك» المقريزى : الخطط، ج٢، ص٥١١ .

٤- المقريزى : السلوك، ج١، ق٣، ص٩٥٠ الخطط، ج٢، ص٤٩٩ .

Hillgorth : los Reinos : Op . cit ., p. 313 .

Atiya: Egypt and Aragon , p. 25 .

٥- القلقشندى : صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٥٧-٣٥٩ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون، ص١٠٧ .

وأصل خايم الثانى اهتمامه بكل ما يخص المسيحيين فى مصر والشام ففى رسالته الثانية والتى حملها السفير السابق ايمرك دوساى والمؤرخة فى برشلونة بتاريخ أول سبتمبر عام ١٣٠٥م[1] يشكر فيها خايم الثانى السلطان الناصر محمد على تنفيذ طلباته الواردة فى الخطاب السابق وخاصة أمر السلطان بفتح الكنائس المعلقة فى القاهرة وبابليون والتكفل بحرية عبادة المسيحيين ثم يقدم اهتماماته المتكررة لكن فى ظل ترتيبات جديدة هى :

> «إن الحجاج الذين يحملون خطاب مختوم ممنوح منا يسمح لهم بحق الدخول القبر المقدس وأن يمنح رعايانا جوازا يبيح لهم حرية المرور فى أراضيكم دون أن يدفعوا رسوما لذلك وحماية كل الذين فى أرضكم وهذا ناتج من منطلق الصداقة العميقة بيننا وبينكم »[2]

كان بيت المقدس ملتقى الحجاج من كافة المناطق المسيحية ، فعندما استولى صلاح الدين على بيت المقدس سنة ١١٨٧م أصبح الدخول إليها متعذرا من جانب رعايا الممالك الأوربية المعادية للأيوبيين وكان لايدخلها الحجاج المسيحيون إلا بتصريح خاصة من السلطان ، لذلك فإن خايم انتهز هذه الفرصة - فى فترة كانت سلطنة المماليك على عداء مع أغلب الممالك الأوربية - فى الحصول على امتياز دخول الحجاج الذين يحملون خطابا موقعا من خايم نفسه إلى بيت المقدس .

أما عن منح رعايا خايم جوازا يبيح لهم حرية المرور فى أراضى السلطان الناصر محمد دون أن يدفعوا رسوما تجارية وفرض الحماية عليهم، فقد كان لأراجون فى مصر قنصل عاما يتولى رعاية شئون التجار ورعايا ملك أراجون فى أراضى السلطان [3].

وردا على هذه السفارة ، بعث السلطان الناصر محمد برسالة فى السادس عشر من فبراير عام ١٣٠٦م غرة شعبان عام ٧٠٥ هـ[4]، يتضح منها أنه يعترف بزعامة خايم الثانى

١- Masia : doc 28 , p. 292 .

٢- Ibid ., p. 293 .

٣- Martin : la Peninsula , p. 440 .

Hillgarth : The Spanish , p. 373-374 .

Masia : la Corona de Aragon, p. 82 .

٤- Alarcon : doc . 148 , p. 355 .

للمسيحيين وتولى أمرهم وذلك من خلال الألقاب التى أشار بها إلى خايم الثانى فى هذه الرسالة [1].

وفضلا عن ذلك يجيب السلطان على طلب خايم الثانى الخاص بحماية المسيحيين فى مصر والشام، فإنهم يمارسون عبادتهم بكل حرية وأن كل من يتعرض لهم من المسلمين بأذى يخضع للعقاب من قبل السلطان وفى نفس الوقت ينتهز السلطان الفرصة ليؤكد التوصية بالمسلمين (المدجنين) فى أراضى أراجون [2].

وللتوصية برعايا ملك أراجون الذين يصلون لزيارة بيت المقدس وجهت التعليمات إلى ميناء الأسكندرية ويذكر لخايم بأنه من جانبه لايحول دول قيام المسيحيين عامة بزيارة بيت المقدس فكيف لايكرم رعايا ملك أراجون بما هم أهل له من التبجيل والاحترام من منطلق الصداقة والود بين العاهلين [3].

لكن العلاقات بين أراجون والمماليك مالبثت أن توترت عقب حادثة فخر الدين مع السفير الأراجونى دوساى- والتى سوف نتعرض لها فيما بعد بالتفصيل - فى أثناء عودة السفارة الثانية إلى أراجون [4]. واستمر هذا التوتر فترة كبيرة حتى عام ١٣١٤ على الرغم من محاولات أراجون لإرسال سفارات فى خلال تلك الفترة من عام ١٣٠٦ على ١٣١٤م، حتى تعيد العلاقات إلى سابق عهدها .

١- «اطال الله بقاء حضرة الملك الجليل المكرم الخطير الهمام الأسد الضرغام العالم فى ملته العادل فى مملكته الملك حاكم الريدراغون وملك بلنسية وسردانية وكرسقة وقومص برجلونة وأمير علم كنيسة رومية ومقدم الكنيسة وأميرها عضد الأمة الصليبية نصير دين النصرانية »

٢- Ibid.

Ibid., p. 35.

٣- Ibid.

٤- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٥٠-٩٥١ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٢٦٧ .

Ataiya : Egypt and Aragon, p. 33 .

كان خايم دائما يفخر علانية بلقب حامل الراية والأميرال والقائد العام للكنيسة الرومانية المقدسة ، لذلك فإنه كان يفرض حمايته على مسيحى الشرق [١]، ولما تعثرت عودة العلاقات مع سلطنة المماليك خاصة بعد محاولة إرسال سفارة عام ١٣٠٩م لتنفيذ سياسته الخاصة بحماية المسيحين فى الشرق ، لجأ إلى فرصة أخرى سنحت له فى عام ١٣١٠م بوفاة زوجته دونيا بلانكا [٢]، ليقترن بماريا أخت ملك قبرص والمنتظر لها وراثتها لملك جزيرة قبرص وبيت المقدس[٣] خاصة وأن مملكة قبرص هى التى تجمع فيها كل من ترك الشام بعد استيلاء المماليك على آخر معاقلهم فى عكا على يد الأشرف خليل عام ١٢٩١ ومنذ تلك الفترة انتقل الثقل الصليبى لمقاومة المماليك إلى مملكة قبرص [٤].

وكان خايم قد أعلن فى إحدى المناسبات بأنه سوف يسعى لاستعادة الأراضى المقدسة[٥]، لذلك فإن رباط زواجه من الأميرة ماريا القبرصية سوف يؤدى إلى الامتداد الأراجونى إلى ما وراء البحار[٦] ، ومنطقة الشام ، فى نفس الوقت تنفيذ سياسته التى حملها على عاتقه ، وتهيأت له بجانب ذلك فرصة أخرى بظهور مشروع حملة صليبية فى تلك الفترة بناءا على

١- Ferrando : op. cit ., p. 203 .

٢- Cronica de la corona de Aragon , p. 164 .

Prieto : op. cit . p. 61 .

٣- كان ملك قبرص هنرى الثانى له أربعة أخوات الاثنتان المتوسطان كانت قد تزوجتا واحدة منهم مرجريت ملكة أرمينيا ماتت مبكرا والأخرى اليكس كانت فى ذلك الوقت أميرة جاليليا وكذلك تيبرايدس Ti-beriades بقى اثنتان لم تتزوجا : الكبرى ماريا والصغرى ايلويوسا أو ايلدوس Eloysa O Elois أما فيما يتعلق بالأخوة كانوا قد توفوا ماعدا واحدا حيث أن الملك جعله يعانى السجن لأنه اشترك فى حركة تمرد التى ظل فيها هنرى الثانى مخلوعا عن العرش وبعيدا عن مملكته وبالتالى فإن الأميرة ماريا كان لمن الممكن أن تكون ملكة قبرص يوما حيث أن قوانين المملكة كانت تمنح لها هذا الحق مع التفضيل للأخوة الذكور لكن ليس فقط كانت تستطيع الوصول لتكون ملكة قبرص لكن أيضا ملكة بيت المقدس حيث أن هذا اللقب كان موجودا منذ أن سيطر المماليك على الأرض المقدسة . . Ferrando : op. cit ., p. 199-200

٤- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٦٣ .

٥- Fermato : op. cit ., p. 203 .

٦- Ibid ., p. 204 .

مقترحات تقدم بها الأمير الأرمني هيثوم أوهايتون كوريكوس ، بتوجيه حملة مزدوجة تسير بحرا وتتخذ من قبرص وأرمينية قاعدتين لها وأيد التعاون مع الأرمن والتحالف الوثيق مع المغول [١]، وفى الموضوع نفسه كتب عمورى دى تورو Amaury de Turo[٢] الوصى على العرش فى قبرص إلى خايم الثانى بالاشتراك فى الحملة الصليبية المنتظرة ، مما دفع خايم إلى التقدم بمشروع للتحالف مع ملوك أرمينيا - خاصة وأنه كان على علاقة طيبة بهم- بالإضافة إلى قبرص مع خان المغول[٣]، وأرسل الرسل ليستطلعوا الموقف فى الشرق اللاتينى وفى الأماكن المقدسة [٤]، ويلى ذلك ذهاب آل لوزيجنان إلى مجلس فينا (١٣١١-١٣١٢م) ، ذلك ليحفزوا البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥-١٣١٤م) لتنظيم هذا المشروع [٥]، الذى وجد قبولا لدى الفرنسيين والبابا [٦]، واكتملت هذه الآراء باقتراح أرسله سفراء خايم الثانى المشاركين فى مجلس فينا له والذى اقترحه نائب البابا باستخدام حملة الكتالونيين (المغامرين) فى القسطنطينية فى الحروب الصليبية من أجل إعادة الأراضى المقدسة إلى حوزتهم[٧].

١- كان الأمير الأرمنى هيثوم قد لجأ إلى فرنسا وأضحى مقدم دير فى براير نسترانت قرب بواتييه والذى أصدر فى سنة ١٣٠٧ كتاب المعروف باسم "Flos Historiorum Terre Orientis" الذى شمل خلاصة موجزة لتاريخ الشرق الأدنى مع مناقشة وثيقة الدراية عن حالة الدولة المملوكية .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٢٦-٧٢٧ .

٢- كان عمورى دى تورو أخو هنرى لوزيجنان والذى كان حاكما على نيرو وقام بمؤامرة ضد أخيه ونفاه فى سنة ١٣٠٦ إلى أرمينيا حتى سنة ١٣١٠م .

Ferrando : op. cit ., p. 205 .

٣- Ibid ., p. 204 .

٤- Ibid .,

٥- وقد أشار المقريزى إلى تلك الاستعدادات من ناحية ملك قبرص والتى لم تخفى على سلطنة المماليك بقوله تحت حوادث سنة ٧٠٨هـ «ورد الخبر بأن متملك قبرس اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين قطعة لغزو دمياط » المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٤٨ .

٦- Ferrando : op. cit ., p. 204 .

٧- Ibid .

كانت هذه مجرد اقتراحات ضعفت أمام المصالح الشخصية فإن فيليب الرابع ملك فرنسا (١٢٨٥-١٣١٤م) لم يكن له هدف من وراء تلك الاقتراحات سوى الحصول على أموال الداوية والكنيسة[1] بجانب أن خايم الثانى كان قد انشغل فى الحملة ضد مسلمى المرية التى كانت تمثل خطرا قريبا له جعلته يستبعد كل هذه المحاولات الحربية بالإضافة إلى عدم موافقته على الاقتراح باستخدام حملة الكتالونيين فى غزو الأراضى المقدسة لأن ذلك سيضر بمصالحه ومنافعه التجارية فى رومانيا [2].

والجدير بالذكر أن الارتباط بمملكة قبرص كان لايهمل الدوافع التجارية، فإن كل من قبرص وأرمينيا كانتا فى مداخل طرق التجارة الآسيوية وبالتالى فقد كانت أسواقهما تعتبر من أغنى الأسواق العالمية فى عصره [3].

وتأكد من جديد فشل العداء مع الدولة المملوكية ، لذلك فإن خايم الثانى لم يجد إلا طريق الصداقة والود فسعى إلى عودة العلاقات السياسية مع الناصر محمد ، وفى نفس الوقت الاعتذار عن حادثة فخر الدين ودوساى ولذلك أرسل سفارة فى الثامن من سبتمبر عام ١٣١٤م[4]، بعد الحصول على إذن مسبق من البابا كليمنت الخامس بقيام هذه السفارة تحت شعار تحرير الأسرى[5]، وقام بهذه السفارة سفيران جديدان هما خيرارد دى كاسندال Gerardo de Casandat وأرنولد دى باستيدا[6] Arnaldo de Bastida [7]، ويحملان خطاب تصديق

١- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٣٦ .

٢- Ferrando : op. cit . p. 204 .

٣- Ibid .

٤- Masia: doc . 37 . p. 304 .

ويشير المقريزى فى سنة ٧١٦ هـ إلى قدوم ثمانية رسل ومنهم رسل صاحب برشلونة وهو وضع سفارة سنة ١٣١٤م ، سنة ٧١٤هـ فى وقت متأخر فى عام ٧١٦ هـ المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٦٣-١٦٤ .

٥- Masia : doc . 36 . p. 303 .

٦- باستيدا كان مواطن من برشلونة ينتمى لأكبر العائلات التجارية وكان يملك سفينة والتى حمل عليها السفارة وكان شخصية مقربة من الملك .

MAsia : la Corona de Aragon . p. 115 .

٧- Chpman : op. cit ., p. 32 .

موقع من خايم الثانى وفيه يؤكد على شخصية السفيرين وتفويضهما فى كل ما يطلبونه [1].

وفى الرسالة الموجهة من خايم الثانى إلى الناصر محمد يركز فيها على الاعتذار عن حادثة فخر الدين ويطلب عودة العلاقات الطيبة إلى سابق عهدها[2]، كما يشير إلى موافقة السلطان على السفارات السابقة من أجل حرية العبادة للمسيحيين المقيمين فى أراضى مصر والشام وحمايتهم وحماية حجاج بيت المقدس الذين يحملون إذن مرور من خايم الثانى وفى المقابل فإن حرية العبادة متوفرة للمسلمين فى بلاده ، ويوضح ذلك بقوله :

«يجب إخبار السلطان بوضع المسلمين الخاضعين لحكم ملك أراجون والذين يستطيعون أن يتعبدوا بحرية فى مساجدهم دون أى ضغوط من أى نوع وأنهم يتمتعون بالحماية فى كل شئ حتى أن الملك يدافع عنهم إذا ما تعرض أحدهم لأى عمل عدوانى وذلك فى مقابل أن يتم معاملة المسيحيين المقيمين فى أراضى مصر بالمثل»[3]

ورد الناصر محمد على تلك السفارة برسالة فى السابع عشر من مارس عام ١٣١٥/ عاشر ذى الحجة عام ٧٠٤هـ [4]، مؤكدا فيها على روح الود والصداقة فيما بينهم ، وأغفل الإشارة إلى المطلبين الخاصين بحرية العبادة للمسيحيين أو ما يخص حجاجا بيت المقدس على أساس أن هذين المطلبين كانا منفذين بالفعل دون طلب من خايم الثانى .

واصل خايم الثانى سياسته فى متابعة شئون المسيحيين - تضامنا مع المطالب الأخرى والتى سوف نتعرض لها فى موضعها بعد- فى الشرق وأرسل سفارة فى السابع والعشرين من أغسطس عام ١٣١٨م وقام بها فرديناند دى فيلافرنكا Fernado de Villafranca وهو أحد نبلاء برشلونة وصحبه فى السفر أرنولد دى باستيدا Arnaldo de Bastida ، الذى قام بالسفارة السابقة .

١- Ibid .

٢- Masia : doc . 37 , p. 305 .
Atiya : Egypt and Aragon , p. 35 .

٣- Masia : doc . 37 , p. 306 .

٤- Alarcon : doc , 14 , p. 360 .

٥- Masia : doc . 41 , p. 311 .

ويركز خايم الثانى فى هذا الخطاب على أن هذه السفارة قامت نتيجة لما أعلنه السلطان فى الرسالة السابقة بأن تقام علاقات طيبة وصداقة مع ملك أراجون[١] وقد غلب على هذه السفارة طلب تحرير الأسرى إلى جانب الاهتمام فيها بالنواحى التجارية .

ورد الناصر محمد على هذه السفارة فى السادس من أبريل عام ١٣١٩م[٢] عبر فيها عن استقباله بسرور للسفراء وإطلاق سراح الأسرى ثم طلب توسط خايم الثانى لدى ملك قبرص لإرجاع أحد التجار الذى هرب بتجارة من مصر والتجأ إلى قبرص [٣].

بدأت أراجون تمارس سياستها فى زعامة مسيحى الشرق ولتحقيق ذلك كان لابد من الإشراف على بيت المقدس بصفة خاصة القبر المقدس أو بمعنى آخر تحويل بطريركية بيت المقدس من أيدى اللاتين إلى أيدى الأراجونيين ، مما جعل أراجون تهتم بهذه القضية فى السفارات التالية وبدأت ذلك بأن أرسلت فى عام ١٣٢٠م راهبا أراجونيا يدعى بدرو فرديناند دى اكس Pedro Fernandesz de Ixar إلى الناصر محمد بن قلاوون بسبب المصلحة الدينية فيما يتعلق بالقبر المقدس [٤]، ويطلب فيها ملك أراجون أن يتم تسليم هذا الرجل البيوت التابعة لبطريركية القدس ليستطيع الإقامة فيها ويؤسس ديرا [٥]. مع أن إرسال هذا السفير الدينى

١- Masia : La corona de Aragon, p. 116 .

٢- يشير عزيز سوريال عطية إلى أن الناصر محمد لم يرد على سفارة عام ١٣١٨ وذلك بناء على عدم وجود رسالة عربية فى الأرشيف الأراجونى والتى جمعها الأركون فى كتابه عن «الوثائق العربية المحفوظة بأرشيف التاج الأراجونى»

Atiya : Egypt and Aragon , p. 43 .

ولكن توجد رسالة باللغة الكتالونية القديمة وهى النسخة الخاصة بأراجون والموجهة من السلطان الناصر محمد إلى خايم الثانى ردا على سفارة سنة ١٣١٨ وتحمل تاريخ السادس من أبريل عام ١٣١٩ ويبدو أن النسخة العربية من الرسالة فقدت وبقيت النسخة الكتالونية أنظر :

Masia : doc . 42 , p. 314 .

٣- Maisa : doc 42 , p. 314 .

٤- Masia : doc 43 , p. 314 .

٥- Ibid ., p. 316 .

لايمكن اعتباره بمنزلة إرسال سفارة ، فإنه كان بمثابة تمهيد للطلبات الخاصة بالخدمة الدينية فى القبر المقدس تمت الإشارة إليها فى السفارة التالية[١]، والتى تسعى إلى نقل إشراف اللاتين على القبر المقدس إلى الأراجونيين لكن هذا المطلب لم يجد صدى للموافقة ومن ثم أعيد عرضه بشكل متكرر .

كان القبر المقدس خاضعا للإشراف اللاتينى لأن أول نداء أذيع للحروب الصليبية كان من فرنسا وأول من لبى النداء فرسانها ، بجانب أن المستعمرين الفرنسيين هم الذين أقاموا مملكة بيت المقدس [٢]، حتى أن هذه المملكة كانت تسمى المملكة اللاتينية وعقدت اتفاقيات بين الطوائف الصليبية تنص بعض شروطها على أن يكون للاتين حق امتلاك الكهف الذى ولد فيه المسيح والقبر المقدس فى بيت المقدس [٣].

ففى سفارة بعث بها خايم الثانى والمؤرخة بالحادى عشر من سبتمبر عام ١٣٢٢م [٤]، يؤكد فيها على مطالبه التى تتضمن أن يعهد السلطان إلى الاخوان الدومنيكان الأراجونيين بحراسة القبر المقدس وإدارة شئونه مع فرض الحماية عليهم[٥]، بدلا من اللاتين (الفرنسيين) تدل هذه المطالب على مدى العداء المستمر بين فرنسا وأراجون ، كما أنه يعبر فى الوقت نفسه على العلاقات الطيبة مع السلطان الناصر محمد يدل على ذلك أيضا رجاءه- فى حالة الموافقة على هذا الطلب- بأن تنقل ملكية البيوت التى كانت للبطريركية إلى رجال الدين الأراجونيين لتصبح مكانا لحماية القبر المقدس [٦]، هذا بالإضافة إلى طلبات أخرى منها تسليم السلطان

١- Masia : La corona de Aragon, p. 118 .

٢- باركر : الحروب الصليبية ، تراث الإسلام ، ج١ ، ص١٤٠-١٤١ .

٣- نفس المرجع ، ص١٤١ .

٤- قام بهذه السفارة برنجير كاستيل Berenguer de Castellbisbisbal

وخيرالد أوليفير Geraldo Oliver

٥- Masia : doc . 51 , p. 323 .

Atiya: Egypt and Aragon , p. 44 .

٦- Masia : doc 51 , p. 325 .

لسفراء ملك أراجون الآثار المقدسة التى فى حوزته والتى تحوى الأجزاء الحقيقية لآثار السيد المسيح وصليبه ، وجثمان القديسة بربارة [١].

وقد استجاب السلطان الناصر محمد إلى هذه المطالب فى رسالة ترجع إلى الثالث والعشرين من فبراير عام ١٣٢٣م / خامس عشر صفر عام ٧٢٣هـ خاصة طلبه بالنسبة للرهبان الدومنيكان وإشرافهم على القبر المقدس، لكنه كان غامضا إزاء بعض المطالب الأخرى الواردة فى سفارة خايم الثانى[٢].

ويلاحظ من هذه الرسالة أن الناصر محمد أكد على حسن معاملة المسيحيين فى مملكته ومعاملتهم معاملة طيبة

«وأما بقية النصارى فهم عندنا موفرين الجانب على ما سره لأنهم رعايانا وبحمد الله»[٣]

ويرجع تأكيد الناصر لذلك لما حدث من شقاق بين المسلمين والمسيحيين فى عام ٧٢١هـ ، بسبب هدم المسلمين لكنيستين متقابلتين بالزهري لتوسيع (البركة الناصرية) [٤]، ولما رأى المسيحيون ما حل بكنائسهم أخذوا يشعلون النيران فى الأماكن العامة والمساجد [٥]، فأخذ

١- Ibid.

Atiya : Egypt and Aragon , p. 44 .

٢- أما عن إجابة باقى الطلبات التى لم يرد لها ذكر فى هذه الرسالة فإن الناصر محمد سيجيب هذا الطلب الخاص بجثمان القديسة بربارة فى السفارة التالية .

Alarcon : doc , 150 , p. 366 .

Ferrando : op. cit ., p. 203

٣- Alarcon : doc , 150 , p. 366 .

٤- المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٢١٨ .

ترتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ص٦٥ .

٥- المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٢٢٠ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢ ، ص١٢١ / ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٩ ، ص١٢١ .

المسلمون ينتقمون من المسيحيين ويهاجمون الكنائس ، ووقف الناصر محمدضد العامة وأخذهم بالشدة ، وفى الوقت نفسه ألزم المسيحيين ببعض القيود فى منشور نشره فى المملكة ، خوفا من ازدياد الفتنة كما عمل على إرضاء المسلمين [١]، لكن سرعان ما أهمل المسلمين تنفيذ هذا المنشور [٢]، وعادت الأمور إلى سابق عهدها .

كما طلب الناصر محمد من خايم الثانى العمل على حسن معاملته للمسلمين الخاضعين لسلطانه لأنه علم بأنهم تعرضوا للمضايقة من قبل الأسبان وعدم تمكنهم من إقامة الصلاة [٣]، ويرجع وصول أخبار اضطهادهم إلى السلطان الناصر محمد لما حدث فى عام ١٣١٩م/ ٧١٩هـ من موقعة مروج غرناطة بين مملكة قشتالة ومملكة غرناطة»[٤] واشترك فرسان أراجون بها والتى أشارت إليها المصادر المملوكية وعظمت من انتصار المسلمين عليهم [٥]، وقد كان لهذه

١- المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٢٢٤ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص١٠٩-١١١ .

Muir : The Mameluke , p. 74 .

٢- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص١١١ .

٣- «ونحن نعرفه أنه بلغنا أن جماعة المسلمين الذين فى بلاده واستقروا بها بعدما استقرت عليهم أحوالهم، لهم عوايد متقدمة بالكرامة والرعاية وعدم المعارضة فى المساجد المستقرين بها وأنهم الآن ربما تغيرت عوايدهم فى ذلك وصاروا لايتمكنون من التأذين فى مساجدهم وإقامة الصلاة بها والمراد من محبته الصادقة أن يتقدم بالوصية التامة بجميع من فى بلاده من المسلمين وإجرابهم على أجمل عوايدهم وأكمل قواعدهم ولايغير عليهم مغير فى مساجدهم والإعلان بصلاتهم وكف الضرر عنهم ورعاية جانبهم » .

Alarcon : doc , p. 366 .

٤- تتلخص هذه الموقعة فى أن الأميران بدرو وخوان الوصيان على ملك قشتالة الطفل الفونسو الحادى عشر قاما بحمله على مملكة غرناطة وانتهت بمقتل الأميرين القشتاليين فى مروج غرناطة سنة ١٣١٩م / ٧١٩هـ هزيمة الجيش القشتالى. ولمزيد من التفاصيل أنظر : أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس : ص٤١١ / وأيضا عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ص٥٢٥ .

٥- أبو الفدا : المختصر ، ج٤ ، ص٨٧-٨٨ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢ ، ص١٠٠-١٠١ .=

الهزيمة أثر كبير على المدجنين الخاضعين لحكم ملك أراجون وملك قشتالة إذ تشددت مملكتى قشتالة وأراجون فى تطبيق بعض الإجراءات عليهم مثل إرغامهم على ارتداء زى خاص وعزلهم فى حى خاص بهم مع فرض ضرائب كثيرة عليهم [١].

جعل ذلك الناصر محمد بعد أن أكد حرية عبادة المسيحيين فى مملكته وأشار إلى وضع المسلمين فى أراجون كنوع من المقايضة فى المعاملة، ويبرر الناصر محمد مسئوليته عن رفاهية وأحوال المسلمين فى كل مكان [٢].

وعندما تجاهل الناصر محمد بن قلاوون طلب خايم الثانى فى السفارة السابقة (عام ١٣٢٢م) الخاص بجثمان القديسة بربارة ، فكر فى إرسال سفارة فى عام ١٣٢٧ م تحمل عدة طلبات من أهمها طلب جثمان القديسة بربارة ، ووضح خايم الثانى الغرض من هذا الطلب ، حيث أن زوجته ايسلندا Elisanda[٣] ، قد أسست ديرا للنساء الراهبات ، وأقامت فيه مذبحا تكريما للقديسة بربارة وكان لها مكانة خاصة لدى المسيحيين .

والواقع أن الناصر محمد أراد استغلال هذا الطلب فى الحصول على مراكب أراجونية بها بضائع ، ويتضح ذلك من خطاب أرسل فى التاسع والعشرين من مارس سنة ١٣٢٨ م / خامس عشر من جمادى الأول عام ٧٢٨هـ[٤].

= العينى : عقد الجمان ، ج٢٣ ، ص١٧٧-١٧٩ .

المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٩٨-١٩٩ .

ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٦ ، ص٥١ .

١- ديورانت : قصة الحضارة ، ج٤ ، ق٤ ، ص٢٤٨ .

٢- «فهو يعلم أننا قد ألقى الله تعالى إلينا مقاليد ساير أهل الإسلام حيث كانوا وأين كانوا فى أى مكان وجد به أحد من المسلمين كانوا متعلقين بنا ويتعين علينا رعايتهم فيفعل فى أمرهم ما يتخذ له به أكمل وأجمل الصحبة وحمته تغنى عن التوكيد فى ذلك » .

Alarcon : doc , 150 , p. 366 .

٣- أنظر خايم الثانى وسياسته الخارجية .

٤- «فأما ما ذكره بسبب الكنيسة التى عمرت فى بلاده وقصد نقل ما قصده من جسد بربارة إليها فقد علمنا الصورة وصارت على خواطرنا الشريفة وإذا تقدم بإرسال مراكب جيدة فيها بضائع كثيرة فترسم عند ذلك بقضاء شغله وإجابته إلى ما التمسه فيعلم ذلك ». Alarcon : doc , 151 , p. 368-368 .

وكان لتغيير حاكم أراجون ، أن جعل الناصر محمد يسعى إلى الكسب المادى، على الرغم من أن كنيسة القديسة بربارة قد هدمت لأن المسيحيين كانوا قد سألوا الناصر محمد فى ترميم الكنيسة فأذن لهم ، فما كان منهم ، إلا أن ازدادوا فى بنيانها وحصونها باللآت العظيمة ، فغضب المسلمون لذلك، وأمر السلطان بهدمها حتى صار موضعها «كوم تراب» [١].

وتعرض خايم الثانى مرة أخرى لموضوع حراسة القبر المقدس وطلب إحلال الفرنسيسكان الأراجونيين بدلا من الدومنيكان فى خدمة القبر المقدس ، ذلك أن القبر المقدس تعرض للأهمال وعدم العناية والخدمة الجادة [٢]، مع منح هؤلاء الرهبان حرية التجول مع فرض الحماية على كل المسيحيين المقيمين فى أملاك السلطان .

وبوفاة خايم الثانى ، تولى عرش أراجون الفونسو الرابع الذى سار على نفس سياسة أبيه فى فرض الزعامة على المسيحيين فى الشرق ، وتنفيذا لهذه السياسة أرسل سفارة إلى السلطان الناصر محمد مع السفيرين فرانسيسكو ماركيس Francisco Marques ورامون دى فال Ramon de Vall واللذان حملا ثلاثة خطابات إلى السلطان فى يوليو وأغسطس عام ١٣٢٩ وموقعين فى مدينة بلنسية [٣]، وفيها يوافق الفونسو على طلب السلطان الناصر محمد بإرسال سفينة محملة بالبضائع فى مقابل استلامه لرفات القديسة بربارة وأيضا ذراع القديس سيمون [٤]، ويؤكد الفونسو الرابع استمراره على الود والصداقة مثلما كانت فى عهد والده ، ويتدارك طلباته التى تخص شئون المسيحيين فى مصر والشام ويهتم فيها بطلبات

١- النويرى : نهاية الأرب ، ج٣ ، ص١١٩ .

المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٨٢-١٨٣ .

العينى : عقد الجمان ، ج٢٣ ، ق١ ، ص١٥٠-١٥١ .

٢- Masia : doc 59 , p. 334 .

Atiya : Egypt and Aragon , p. 53 .

٣- وبالنسبة للأول Masia : doc 61 , p. 366 .

وبالنسبة للثانى . Masia : doc 66 , p. 340 .

وبالنسبة للثالث Masia : doc , p. 342 .

٤- Masia : doc , 61 , p. 338 .

بطريرك بيت المقدس وبطريرك الأسكندرية التى أرسلوها إلى الفونسو الرابع ليتدخل فى تنفيذها مع السلطان وتتخلص هذه الطلبات فى أن يشمله السلطان برعايته هو ورعاياها ويطلب أن يكون له بيتا أو حجرة مناسبة بالقرب من القبر المقدس تتيح لهذا البطريرك بمصاحبة ثلاثة رجال رهبان آخرين أن يتعبدوا على مقربة من القبر المقدس وطلب أيضا أن يتم استبدال رجال الدين هؤلاء كلما كان ذلك مناسبا وهذا البطريرك بجانب هؤلاء الاكليركيين الذين يتبعونه يطلبون أن يتجولوا بحرية فى أقاليم السلطان وأن يقيموا الصلاة أينما كانوا وأيضا يمنحه رجلا لحمايته ويلازمه فى كل تحركاته فى أراضى السلطان وأن يعفى من الضرائب التى يدفعها[١] ، ويشاركهم أيضا فى هذه الطلبات الفونسو الرابع ويرغب فى تحقيق طلباتهم من خلال الصداقة بالسلطان الناصر محمد [٢].

ويمثل هذا الطلب أهمية خاصة بالنسبة للمسيحيين فى مصر فقد استغلوا الصداقة الوطيدة بين الفونسو الرابع والسلطان فى تأمين وضعهم وحصولهم على الحماية وفى نفس الوقت اعترافا بزعامة أراجون على المسيحيين فى مصر والشام .

أرسل الفونسو الرابع سفارة بقيادة أخيه الأمير بدرو كونت ريبا جورث Rifagorzo وامبورياس Impurias ومعه خطاب موقع فى لاردة الخامس عشر من سبتمبر عام ١٣٣٣م[٣]، ويذكر فى الخطاب الخاص بالسفارة بأن يستقبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير بدرو كما لو كان هو ملك أراجون وينزله بما هو أهل له من الاحترام والتبجيل ، لكن لايوضح لنا مضمون الخطاب الذى يحمله الأمير بدرو وجود أى طلبات خاصة، والواضح أن السفارة كانت تميل إلى الناحية التجارية أكثر من النواحى السياسية إلى جانب إرسال هذه السفارة كانت لتأكيد الصداقة والود وخاصة أنه يحمل طلبات شفوية خاصة يذكرها للناصر .

ويتضح مما سبق أن سفارات مملكة أراجون إلى السلطان الناصر محمد من عام ١٣٠٣ إلى عام ١٣٣٠م كانت لاتخلو واحدة منها عن طلبات تخص الاهتمام بشئون المسيحيين فى مصر والشام وذلك من منطلق زعامة خايم الثانى للمسيحيين فى الشرق بحصوله على لقب الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما بعد اتفاقية اناجنى سنة ١٢٩٥ م .

١- Masia : doc 65 , p. 341-342 .

٢- Masia : doc . 66 , p. 342 .

٣- Masia : doc . p. 346 .

اهتمام أراجون بتحرير الأسرى المسيحيين

ومن أهم الدوافع الرئيسية التى دفعت مملكة أراجون لإرسال سفارات إلى سلطنة المماليك، تحرير الأسرى المسيحيين وخاصة الأراجونيين منهم والذين أسرتهم سلطنة المماليك فى الحروب الصليبية من استيلاءها على المدن والحصون الصليبية ، وهؤلاء الأسرى كانوا من جنسيات مختلفة .

والحقيقة أنه كانت لاتخلو سفارة ، من طلب تحرير الأسرى المسيحيين حتى أن خايم الثانى كان يسعى دائما للحصول على الإذن البابوى بحجة تحرير الأسرى، وكل سفارة حصلت على هذا الاذن كان من أجل هذا الهدف وإن كانت تسعى إلى الجوانب الأخرى التى تخص رعاية مسيحى الشرق أو إقامة علاقات تجارية مع مصر .

والحقيقة أن المسلمين فى العصر المملوكى فى مصر كانوا يعاملون أسرى الحرب معاملة تنطوى على كثير من التسامح والمعاملة الطيبة وتشهد معاملتهم هذه على الفرق بينهم وبين الغرب فى معاملة الأسرى المسلمين فقد كانوا يعاملونهم معاملة وحشية قاسية [١]، ويحدثنا المقريزى عن الطرق المتبعة بعد أسر هؤلاء بتحديد مراتبهم ومكانتهم لتحديد المبالغ المقررة كفدية لهم، وإن لم تسدد يرسلوا إلى معتقلاتهم خاصة بالأسرى أو يوزعون على الأمراء [٢]، ويشير أيضا إلى أنهم قد لاقوا أحسن معاملة من الناصر محمد بن قلاوون [٣].

ومما سبق يتضح أن سلطنة المماليك اهتمت بعملية تحرير الأسرى المسيحيين لأنها تمثل دخلا ماليا لهم . وأيضا استخدامهم لأغراض سياسية .

١- سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية ، ص١١٩ .

٢- يصف المقريزى الحالة بعد أن تضع الحرب أوزارها بقوله «فقد كان السلطان لايتصرف فى أمرهم بشئ إلا بعد معرفة مراتبهم ومكانتهم بين أهلهم فمن كان منهم ذو مقام خاص طلبت منه الفدية وأخلى سبيله بعد أدائه المبلغ المقرر أما من كان منهم من العامة ولاينتظر منه فدية وكان يرسل إلى معتقلات خاصة بالأسرى أو يوزع على الأمراء»

سعاد ماهر : نفس المرجع ، ص١١٩ عن المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص٣٠١ .

٣- ويتحدث أيضا عن معاملة الناصر محمد للأسرى فيقول «أن السلطان الناصر لما عاد إلى السلطنة الثالثة صار يتحدث بنفسه فى الجليل من الأمور والحقير ويستجلب خاطر كل أحد صغيرا أو كبيرا ولاسيما حواشيه فلذلك عظمت حاشية المملكة وأتباع السلطنة وتخولوا فى النعم الجزيلة حتى الخولة والكلابزة والأسرى من الأرمن والفرنج» سعاد ماهر : نفس المرجع عن الخطط ، ج٢ ، ص٣٠١ .

أما عن دور أراجون فى تحرير هؤلاء الأسرى المسيحيين فنجد أن الممالك الأوربية انتهزت العلاقات الودية بين خايم الثانى والناصر محمد بن قلاوون لتطلب من خلال خايم تحرير بعض هؤلاء الأسرى التابعين لهم .

وتشير المعاهدتين السابقتين (١٢٨٩م-١٢٩٣م) بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك إلى عملية تحرير الأسرى المسيحيين وخاصة الأراجونيين [١].

وفى أول سفارة من خايم الثانى إلى الناصر محمد بن قلاوون فى عام ١٣٠٣م و ٧٠٣هـ كانت إحدى مطالبه الرئيسية إطلاق سراح أربعة رهبان كانوا قد أسروا فى طرابلس [٢]، عند الاستيلاء عليها فى عام ١٢٨٩م[٣]، وذكر المقريزى أنه قد أسر فى الاستيلاء على طرابلس ألف ومائتا أسير [٤]، وكانت حكومة عكا الصليبية قد أرسلت فى طلب هؤلاء الأسرى الأربعة قبل سقوطها فى سنة ١٢٩١م [٥]، ويتضح من ذلك أن حكومة عكا الصليبية - التى انتقلت إلى قبرص بعض سقوطها- قد استغلت العلاقات الودية بين خايم الثانى والناصر محمد لطلب تحرير هؤلاء الأسرى واعتمادا فى نفس الوقت على مسئولية خايم الثانى كأميرال وكابتن عام لكنيسة روما ، واهتمامه بشئون المسيحيين فى الشرق .

وأجاب السطان الناصر محمد على خايم الثانى ملك أراجون فى سفارته عام ١٣٠٤م / ٧٠٣هـ إجابة غامضة ، ويذكره بأنه قد أحيط علما بمضمون طلبه الخاص باطلاق سراح هؤلاء الأسرى [٦]، ولم يشر هل أطلق سراحهم أم لا، لكن على الأرجح أنه لم يطلق سراح هؤلاء الأسرى ،، خاصة وأنه يذكر فى رسالته بأنه قد أرسل فخر الدين سفيره ليتأكد من حقيقة السفير دوساى [٧]، ولم توجد أى إشارة لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى .

١- أنظر ما سبق فى الفصل الثانى النقطة الثانية والثالثة .

٢- Masia : doc . 75 , p. 290 .

٣- ابن ايبك : الدرة الزكية ، ص٢٨٣ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٢٢ .

٤- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٧٤٧ .

٥- Masia : doc . 25 , 290 .

٦- Alarcon : doc , p. 290 .

٧- Ibid , p. 351 .

وخلال مقابلة فخر الدين مع الملك خايم الثانى وطلب منه الأخير تحرير رجل كنسى يدعى ايميريكو دى لامبيلسا Eimerico de Lambielsa بناء على رجاء من أصدقاء هذا الأسير ولم يشر المصدر هل حرر أم لا [١].

أم فى السفارة الثانية عام ١٣٠٥م التى أرسل فيها خايم الثانى رسالته مع نفس السفير السابق «دوساى» طلب نتيجة لتوسلات ملك قشتالة فرديناند الرابع إطلاق سراح أسرى لدى السلطان وهم خوان بيريث Juan Perez وفاسكو بيريث فاخاردو Vasco Peres Fajardo والفونسو بيريث Alfonso Peres بالإضافة إلى شخصيات أخرى تشفعوا من أجل بيرتران دى لابوبيا Bertran de la Popia وهو من كارس Caersi إقليم مجاور لأراضى أراجون[٢]، وأيضا بجانب الأسرى التابعين لأراجون .

استجاب السلطان الناصر محمد إلى طلب خايم الثانى بتحرير الأسرى الأراجونيين وأطلق سراحهم فى رسالته المؤرخة [٣]، بالسادس عشر من فبراير عام ١٣٠٦ م غرة شعبان عام ٧٠٥هـ وركز على أنه لمكانة الملك خايم الثانى لديه فإنه أطلق سراح اثنى عشر أسيرا بجانب تسعة آخرين وأنه سوف يطلق سراح الأسرى الباقين متى عاد فخر الدين من سفارته وأرسل هؤلاء الأسرى المطلق سراحهم مع الأمير فخر الدين الدين السفير المصرى إلى ملك أراجون [٤]، لكنه لم يطلق سراح الأسرى التابعين لملك قشتالة فرديناند الرابع[٥] (١٢٩٥م - ١٣١٢م)

١- Masia : La Corona de Aragon , p. 103 .

٢- Masia : doc . 28 , p. 293 .

٣- Alarcon : doc 148 , p. 355 .

٤- «وقد سيرنا الآن من تهيأ إطلاقه فى هذا الوقت من الأسرى صحبة الأمير فخر الدين رسولنا وهم اثنا عشر نفرا ... وكذلك تسعة نفر آخرين من الأسرى أيضا بقية المطلوبين إن شاء الله تعالى إذا عاد الأمير فخر الدين رسولنا من عند الملك ذلك الوقت يحصل المقصود فى إطلاق من بقى ومن تأخر إكراما لسؤال الملك ومودته وصداقته ومحبته لأجل ذلك عجلنا الآن بانفاذ هؤلاء الذين توجهوا صحبة الأمير فخر الدين رسولنا» Ibid .

٥- «وأما ما ذكره من حديث الملك الفونش (يقصد فرديناند الرابع) وأنه قصد شفاعة عندنا فى إطلاق ثلثة نفر عين أسماهم فقد علمنا حديثهم وقد أعدنا الجواب عمن أمرهم مشافهة مع رسولنا فخر الدين».

Alarcon: doc . 148 , p. 356 .

ويبدو أن هؤلاء الأسرى التابعين لقشتالة قد أتوا أفعالا تضر بالدولة المملوكية ضررا بليغا حتى أنه لايقبل أى تشفع فى إطلاقهم ، وأنه قد أبلغ رسول خايم الثانى بما يمنعه من إطلاقهم .

لكن فى خلال عودة سفارة أراجون ومعها الرسول المصرى فخر الدين، فعندما أبحرت السفينة الأراجونية أنزل السفير دوساى فخر الدين من على السفينة وأعاده إلى الأسكندرية واستولى على كل ما معه [1].

كان فخر الدين تاجرا ، لذلك فإنه اقترض نحو ستين ألف درهم لكى يتاجر فيها عند وصوله مع دوساى إلى أراجون ، وعند استيلاء دوساى على ما معه رجع وكتب إلى حاكم الأسكندرية بالاستيلاء على كل من يرد ببضاعة من «افرنج برشلونة»[2] وترتب على ذلك انقطاع العلاقات بين سلطنة المماليك ومملكة أراجون لمدة ثمانية أعوام على الرغم من محاولات مملكة أراجون لإعادة هذه العلاقات فى محاولتين عامى ١٣٠٧ ، ١٣٠٩ م .

والحقيقة أن سبب حادثة إنزال فخر الدين ، أنه خلال مقابلة السفير الأراجونى للسلطان الناصر محمد طلب تحرير أحد الأسرى «عين بالاسم» من ضمن باقى الأسرى المطلوب تحريرهم فوافق الناصر على هذا الطلب ولكن أرسل إليه بعض الأسرى :

١- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٥٠-٩٥١ .

وقد جمع المقريزى السفارتين (سفارة عام ١٣٠٣م وسفارة عام ١٣٠٥م فى عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م .

وقد ذكر بيبرس الدوادارى عن تلك الحادثة والتى وضعها فى مكانها الصحيح فى عام ٧٠٥هـ «وفيها كان عود رسول البرشنونى الواصل من جهته وفخر الدين عثمان الأقرم المجهز فى صحبته فلما خرجا من الأبواب الشريفة ووصلا إلى الأسكندرية ركبا المركب وعزما على الإقلاع ، فتفاوضا مفاوضة أفضت إلى الخصام ، فاستشاط الفرنجى غضبا وخرج فخر الدين من المركب إلى قارب الخيمة الذى خرج من الميمنا مشيعا للمركب على العادة، هو وغلمانه ولم يعطيهم شيئا مما كان معهم وأقلع من فوره فعاد المذكور إلى الثغر وحضر إلى الباب العزيز خايب مسعاه مجدبا مرعاه» بيبرس الدوادار : زبدة الفكر ، ج٩ ، ص٤٨٠-٤٨١ .

أنظر أيضا : . Atiya : Egypt and Aragon , p. 33

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٢٦٧ .

٢- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٥٠-٩٥١ .

«بأن هذا الذى أفرج عنه ابن ملك كبير، ولو أردتم فيه مركبا ملان بالذهب لحمله إليكم فى فلكه»[١]

فأرسل الناصر محمد للأسكندرية لاستعادة هذا الأسير مما دفع السفير دوساى إلى الانتقام بعد إبحاره بإنزال فخر الدين وأخذ ما معه .

وحتى نتبين وجه الحقيقة فإننا نستعرض وجهة نظر السفير دوساى- والتى أرسلها فى رسالة إلى خايم الثانى يشرح فيها كل ما حدث- عندما أنزل السفير دوساى فخر الدين خاف من عقاب الملك خايم الثانى ، لذلك فإنه لجأ إلى فردريك الثانى ملك صقلية يطلب حمايته ، انتظارا لطلب العفو من الملك خايم .

وعندما علم خايم الثانى بذلك أرسل إلى قاضى برشلونة ليتحقق من هذه الحادثة [٢]، وبعد بحث واستقصاء أجاب القاضى بما سمعه من أحد الأشخاص الذين شاهدوا الحادثة بالأسكندرية إلى جانب بحارة إحدى السفن التى تقابلت مع سفينة دوساى فى البحر ، بأنهم علموا من دوساى أن فخر الدين قد خانه ، فبعد الإفراج عن الأسرى أعيد القبض عليهم مرة أخرى بأمر من السلطان وكان بينهم شخصيات هامة ، منهم القس دالماثيو دى روكابيرتى Dalmacio de Rocaberti . والسفير المصرى كان حاملا لرسالة مشينة لملك أراجون ولكل العالم المسيحى وتتضمن الاشتراط على ملك أراجون إذا كان يريد السلام والصداقة مع السلطان عليه أن يقسم أمام ثمانية أو عشرة رجال أغنياء من أراجون، وأن هذا ما سمعه قاضى برشلونة من هذا البحار حيث أنه لم تصل إلى الآن سفينة السفير ولا أية سفينة أخرى [٣].

ولجلب عطف الملك خايم الثانى أرسل دوساى إليه من صقلية يروى فيها بأن فخر الدين لم يحقق أى وعد من وعوده لنا عندما كان موجودا فى أراجون وعندما عاد إلى الأسكندرية تنكر لوعوده وأفرج عن عشرة من الأسرى غير ذوى أهمية فهم شيوخ ومرضى ولم يكونوا رعايا الملك أراجون لأنه كان بينهم بعض اليونانيين . ومن أجل تحرير القس دالماثيودى روكابيرتى فقد وزع

١- نفس المصدر والجزء والصفحة .

٢- Masia: doc . 29 , p. 294 .

٣- Masia : doc . 30 , p. 295 .

مـالا وهدايا وفـيـرة على كل المقربين من السلطان بحكم مـوقـعـهم وعلى الرغم مـن ذلك فـإنه عندمـا أفرج عنه اعتـقل من جديد فى الأسكندرية ، إلى جـانب أنه عندمـا اجـتـمـعـا (دوسـاى وفخر الدين) مع السلطان اشتكى فـخر الدين بأنه لم يستلم أى هدايا وانتقد ملك أراجون وأن نفقات فخر الدين التى منحها له ملك أراجون قليلة ، وعندما علم دوساى من الترجمان أجاب بأن ذلك كذب فإن فخر الدين أهدى له من ملك أراجون ستة آلاف كـاريلنيس "Carlines" من الفضة [١]، وملابس ثمينة بالإضافة إلى ألف كارلينيس وملابس أخرى لأبنائه ، وعندمـا كرر الترجمان هذه المعلومات غضب فخر الدين محاولا أن يفشل أى مهمة تسند إلى دوساى وبدأ فخر الدين فى الإساءة إلى ملك أراجون بوضع شروط مهينة للصداقة مع السلطان ، وعندمـا وصل إلى الأسكندرية طلب فـخـر الدين ألف بيـزانتس نظيـر التـغـاضى عن أهمـيـة القس روكابيـرتى ، ولم يوافق دوساى على طلبه ، وعلم أنه يوجد اتفاق بين فخر الدين وبين بعض كبار الموظفين على ابتزازهم ، وعندمـا تأكدوا من خيانة السـفـير والسلطان بعد القبض على روكابيرتى أنزلوا فـخر الدين وكل أفراد حاشيتـه محتـجزين كل مـا كان لهم، وهو مـا قيـمتـه حـوالى ثمـانمائة بيـزانتس وهى تقريبـا المقـدار الذى أخذه المصرى من دوسـاى نتـيـجـة الخداع والزيف، وينهى رسالته بطلب العفو [٢].

من هذا السـرد الطويل للسـفـيـر دوسـاى دفـاعـا عن نفسـه نلاحظ أنه يغـالى كثيـرا ويأتى بأسباب غير منطقية كانت سببا لتصرفه مع الأمير فخر الدين محاولا القاء التبعة كاملة عليه وأظهر أنه هو الذى أفرج عن الأسرى فى حين أن هذا من اختصـاص السلطان إلى جانب أنه قد وضع شروطا مهينة ينفذها ملك أراجون حتى يقبل السلطان صداقته - مع أن فخر الدين مجرد سـفـيـر - وأنه قد ساومـه على القس روكابيرتى وعندمـا رفض أعـاد فـخر الدين هذا القس إلى القاهرة .

أما القس روكابيرتى والذى كان سببا فى حدوث الأزمة بين المماليك وأراجون فهو ليس ابن ملك كمـا ذكر المقريزى لكنه أخا لرئيس أسـاقفة طركونة "Tarrogona"[٣] وكـان عضـوا فى

١- عملة تتعامل بها برشلونة .

٢- Masia : doc , 31 , p. 296 -299 .

٣- Atiya : Egypt and Aragon, p. 33 .

جماعة رهبان الداوية بدليل أن أسمه كان ضمن الرسالة التى أرسلها فرسان الداوية[١] العسكرية فى العشرين من سبتمبر عام ١٣٠٦، التى أرسلت إلى خايم الثانى والتمسوا فيها انقاذهم من الأسر[٢]، على أساس أنهم رعايا تاج أراجون ، وكان هذا الراهب روكابيرتى قد أسر فى جزيرة رودس (أرواد)[٣] وهى تجاه طرابلس ، التجأ إليها الصليبيون بعد سقوط عكا وكانت تابعة للدولة البيزنطية [٤]، وشكلت خطرا على الشام[٥]، مما دفع بالناصر محمد بن قلاوون فى عام ١٣٠٣م / ٧٠٢ هـ إلى إرسال أسطول صغير هجم عليها وأسر منها حوالى خمسمائة أسير[٦].

والواقع أنه بعد استعراض وجهتى النظر المملوكية والأسبانية يتضح لنا أن الأمير فخر الدين كان سفيرا يمثل السلطان الناصر محمد بجانب كونه تاجرا فى الأصل دوساى سفيرا يمثل ملك أراجون وهو فى الوقت نفسه تاجر ، وأنهما فى الغالب قد اختلفا فى الاتفاق على أمور تخص التجارة بينهما خاصة وأن فخر الدين قد اقترض نحو ستين ألف درهم لكى يتاجر بها. إلى جانب محاولة فخر الدين استغلال إطلاق سراح القس روكابيرتى بطلب أموال من أجل تسهيل مهمة إطلاق سراحه وفى المقابل غضب السفير دوساى من استعادة القس روكابيرتى إلى القاهرة بعد إطلاق سراحه ، وطمعه فى الاستيلاء على البضائع والأموال التى يحملها السفير فخر الدين للمتاجرة بها فى أراجون مما دفعه إلى سلوك هذا التصرف مع فخر الدين .

١- Masia : la corona de Aragon , p. 109 .

٢- Masia : doc , 32 , p. 299 .

٣- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٥٠ .

٤- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٣٠ / عبد القادر اليوسف : علاقات ، ص٢٣٩ .

٥- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٢٣ .

٦- أبو الفدا : المختصر ، ج٢ ، ص٤٩ / المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٢٨ - ٩٢٩ / زيترشتين : تاريخ المماليك ، ص١٠٨ / الذهبى : دول الإسلام ج٢ ، ص٢٠٧ / ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٥٢ ، ٢٥٣ وقد ذكر ابن ايبك الدوادارى «أنه أسر منها ألفى نفر خارجا عن القتلى» الدر الفاخر ، ص٨٠ .

توترت العلاقات بين أراجون ومصر [١]، بسبب هذه الحادثة مما دفع خايم الثانى إلى محاولة لإعادة العلاقات فى عام ١٣٠٧م ، فجهز سفارة ومعها خطاب موجه إلى السلطان الناصر محمد موقع فى ترويل "Teruel" بتاريخ الثامن عشر من نوفمبر عام ١٣٠٧م [٢]، يعتذر فيه عن تصرف دوساى وأنه حجز على أملاكه لتعويض فخر الدين واعتقل دوساى ليوقع عليه الجزاء مع التشفع فى وقف اعتقال القس روكابيرتى وإطلاق سراحه [٣]، ولم تشر المصادر[٤] عما إذا كانت هذه السفارة وصلت إلى القاهرة ولم يعرها الناصر التفاتا أو لم تصل إلى القاهرة فى ذلك الوقت .

واصل خايم الثانى محاولته الثانية لإرجاع العلاقات مع سلطنة المماليك فجهز سفارة وعين لها اثنين هما رامون دسبلا Ramon Despla وبرنارد ساروفيرا Bernardo ca Rovira ومعهما خطاب فى العاشر من يونيو عام ١٣٠٩ [٥]، يعتذر فيه أيضا عن حادثة دوساى ويذكر له أنه قد عاقبه على ذلك، مع رغبته فى عودة المفاوضات من أجل إطلاق سراح الأسرى الذين قد احتجزوا بسبب هذه الحادثة [٦]، ولم تشر المصادر [٧]، أيضا عما إذا كانت وصلت

١- جعل المؤرخ وليم موير تلك الحادثة سببا فى اضطهاد اليهود والسلمين على الرغم من هذا الرأى الخطأ والبعيد عن الصواب فيذكر «فى غضون تلك المدة أصدر السلطان قوانين صارمة ضد اليهود والمسيحيين ويعزى صدورها إلى سبب لم يكن فى الحسبان ذلك لأن حكومة أرغونة أرسلت وفدا إلى سلطان مصر تطلب إليه أن يسمح بفتح بعض كنائس وبفك أسير مسيحى فأجاب السلطان مصر الملتمس ولكن حينما كان الوفد عائدا إلى الأسكندرية ليبحر منها رأى السلطان أن يأخذ فدية هذا الأسير وأرسل يسترجعه فلم يكتف الأسبان بالرفض بل أخذوا معهم الرسل الذين جاءوا من القاهرة وغير هذا العمل صدور المصريين على المسيحيين وأثار ثائر عدوانهم وعاملوهم بالقسوة .

وليم موير : تاريخ دولة المماليك .

٢- Masia : doc , 33 , p. 300 .

٣- Masia : doc , 33 , p. 300-301 .

٤- المقصود بالمصادر هنا، هى المصادر العربية والوثائق والمصادر الأسبانية التى تحت أيدينا .

٥- Masia : doc 35 , p. 302 .

٦- Ibid .

٧- نقصد بالمصادر هنا المصادر العربية والوثائق العربية والمصادر والوثائق الأسبانية التى تحت أيدينا .

هذه السفارة إلى القاهرة فى فترة تنازل السلطان الناصر محمد لبيبرس الجاشنكير عن العرش فى الفترة من عام ١٣٠٨ إلى ١٣٠٩م [١]، ووجد أن الأمور مضطربة ووجدت كذلك حاكما جديدا على العرش فرجعت إلى أراجون أو أنها لم تقم من برشلونة أو صادفتها متاعب فى الطريق وقفلت راجعة إلى أراجون .

وفى عام ١٣١٤ طلب خايم الثانى الإذن من البابوية فى قيام سفينة لتذهب إلى الأسكندرية لفدية الراهب روكابيرتى [٢]، وأرسل خايم الثانى السفارة وركز فى تعليماته للسفراء على الشكر للسلطان لإجابته لطلبات ملك أراجون وإطلاق سراح اثنى عشر أسيرا فى السفارة السابقة (١٣٠٥م) ، وسأله باطلاق سراح باقى الأسرى خاصة روكابيرتى وتسعة أسرى آخرين حسب ما طلب سفراء ملك أراجون[٣]، وفى نفس الوقت يتوصل للسلطان بإطلاق سراح القس روكابيرتى ويعرفه بأنه قد قام بفعل الواجب فى السفير دوساى نتيجة لفعله مع فخر الدين [٤].

وفى التعليمات الخاصة للسفراء فإن خايم الثانى يتفق معهم بأنه إذا لم يستجب السلطان لطلبات تحرير كل الأسرى، فإن لدى السفراء التفويض باختيار البعض منهم والذين لهم أهمية خاصة ، علمًا بأن الناصر محمد فى سفارة سنة ١٣٠٥ م قد وعد خايم الثانى بإطلاق سراح عدد من الأسرى عند عودة السفير فخر الدين من أراجون [٦].

وفى إجابة السلطان على سفارة ملك أراجون المؤرخة فى السابع عشر من مارس عام ١٣١٥م، يوضح أن هؤلاء الأسرى قد أضروا بالسلطنة وعلى الرغم من ذلك أطلق سراح

١- ابن ايبك : الدر الفاخر ، ج٩ ، ص١٥٦-١٥٧ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٨٦-٢٨٧ .

٢- Masia : doc . 36 p. 303 .

٣- Masia : doc . 37 , p. 306 .

٤- Masia : doc . 37 , p. 307 .

٥- Ibid .

٦- Alarcon : doc ., 148 , p. 355 .

الموجـودين منهـم مع أنهم ليـسـوا من أتبـاع ملك أراجـون وإنما تطوعـوا لنجـدة أعـداء سلطنة المماليك ووقعوا فى الأسر وليعرف الملك مقدار مكانته عنده أطلق هؤلاء الأسرى[١].

وهنا يسـتجيب الناصر لرجاء ملك أراجون بإطلاق سراح الراهب روكابيـرتى (دالماط) الذى كان سببـا للتـوتر فى العلاقـات بين أراجون والممـاليك ، ويؤكـد الناصـر محـمـد مدى إجـلاله واعتزازه لملك أراجون لإطلاقه سراح الأسرى الذين حضروا لمساعدة أعداء الدولة المملوكية .

مارس خايم أيضا سياسته وطلب الإذن البابوى فى عام١٣١٧م من أجل افتداء الأسرى[٢]، ووافق البابا عليها ومنحه الإذن من أجل سفر سفينة لهذا الغرض [٣]، وفى رسالة الملك خايم إلى الناصر محـمد يشكره فيهـا على إطلاق سراح ستة من الأسرى المسيـحيين الذين أشـادوا بمعـاملة الناصر لهم ويعلمـه أيضـا بوصـول ثلاثة أسرى مـسـيـحـيين حرروا بدون طلب أو رجاء مسبق [٤]، وفى هذه الرسـالة يرد خـايم الثـانى بلبـاقـة على النـاصر مـحـمـد ويذكـر بأن رغـبـة السلطان عدم إطلاق سـراح كل المسـيحيين يرجع إلى رغـبـته فى ألا تنقطع العـلاقـات عندمـا لايوجد شئ يطلبه فإن خايم يردد بأن العـلاقات سوف تبقى دائما ودية وسواء وجد أسرى أو لم يوجد فإن علاقات الصداقة بين كلا البلدين قائمة والسفارات لاتنقطع [٥].

ويوجه خايم الثـانى تعليـماته إلى سفرائه بطلب إطلاق سراح كل الأسرى المسيـحيين فإن لم يوافق فعليـهم بمحاولة إطلاق سـراح أربعـة من رعـايا ملك أراجون لأنهم خدمـوه باخلاص [٦].

١- «والذى نعلمه به أن هؤلاء الذين حصل طلبهم من المفسدين وممن كانوا يوافقون على الأذية فى البلاد وأما لأجل كلام حضرة الملك وإرساله بسببهم وسؤاله فى معناهم أطلقنا له الموجود منهم ، مع أن علم الملك محيط بأن هؤلاء ما فيهم من أخذ من بلاد الملك ولا من حصل التعرض إليه فى جهته وإنما حضروا إلى نجدة أعداء البلاد الإسلامية المحروسة ».

Alarcon : doc 149 , p. 360-361 .

٢- Masia : doc . 38 , p. 307-309 .

٣- Masia : doc . 39 , p. 309-310 .

٤- Masia : doc . 41 , p. 312 .

٥- Masia : doc 41 , p. 313 .

٦- وهم برتران دى لابوبيا Bertran de la Popia وفيليب دى مينالیف دى إكسيبرى Felip de Menalef de Xipre فاخردوا دى أورتيجيرا Fajardo de Ortiguera وخيراردوا دى لابيرسا Gerardo de la Perosa

وكانوا أعضاء فى رهبانية الداوية العسكرية [١].

وفى الواقع أن فرسان الداوية العسكرية[٢]، كان لهم دور كبير فى أحداث الحروب الصليبية فى الشام وخاصة قبل سقوط آخر معقل للصليبيين (عكا) فى الشام الذين قاموا بدور كبير فى الدفاع عن أملاك الصليبيين ، فعلى سبيل المثال كانوا فى حصار عكا قد قاوموا المسلمين بشدة ، وقاموا فى الخامس عشر من أبريل عام ١٢٩١م بشن هجوم مباشر على معسكر جيش حماة وأخذوا المسلمين على غرة غير أن عددا كبيرا من الداوية تعثرت أقدامهم فى حبال الخيام عند الأصيل ، فهووا إلى الأرض، ووقعوا فى الأسر[٣]، وبعد أن دخل الأشرف خليل عكا التجأ فرسان الداوية إلى حصنهم فى اللسان الداخل فى البحر ناحية الجهة الشمالية الغربية من المدينة ولجأ إليها من بقى على قيد الحياة من الداوية فضلا عن عدد من السكان وظلت أسوارها الضخمة تتحدى المسلمين عدة أيام ، وهمت السفن لمساعدتها بعد أن أنزلت اللاجئين فى قبرص واشتد الحصار حتى استطاع المسلمون هدم الحصن وأسر من فيه [٤].

اتجه بعد ذلك الداوية إلى حصنهم بجزيرة أرواد (رودس) والتى تقع على مسافة ميلين من الساحل قبالة انطوطوس ، ومنها يغيرون على ساحل الشام حتى غزو الأسطول المملوكى لهذه الجزيرة فى عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م ، وأسر من فيها من فرسان الداوية ومن سكانها [٦]، وقد

١- Masia : doc . 41 , p. 313 .

٢- لمزيد من التفاصيل عن نشأتهم ، أنظر :

William of tyre : op. cit., p. 524-527 .

أيضا رنسيمان : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٢٤٧-٢٥٢ .

٣- أنظر لمزيد من التفاصيل فى King : op. cit ., p. 295 .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٠٢ .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٢٦ .

٤- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٣٧ .

رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٠٨-٧٠٩ .

٥- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧١٢ .

٦- المقريزى : السلوك ج١ ، ق٣ ، ص٩٢٨-٩٢٩ / أبو الفدا : المختصر ج٢ ص٤٩ / ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٥٢-٢٥٣ .

استقر بعض فرسان الداوية فى جزيرة قبرص [١]، والتى تزعمت القيادة الصليبية فى الشرق ضد المماليك بما لجأ من البقايا الصليبية فى الشام .

وكان فرسان الداوية [٢]، من أشد أعداء سلطنة المماليك ولهم دور بارز فى مقاومة المماليك وفى شن الهجمات عليهم فى سواحل الشام من جزيرة (ارواد) أو من قبرص ، كما يشهد بذلك تاريخهم فى مملكة بيت المقدس قبل سقوطها ، ويوضح ذلك الطلبات من ملك أراجون المستمرة بتحرير هؤلاء الأسرى التابعين لفرسان الداوية على أساس أنه المتولى رعاية شئون المسيحيين بالشرق والمسئول عن تحريرهم خاصة وأنه الملك الأوربى الذى له علاقة صداقة وود مع سلطنة المماليك .

ورد الناصر على تلك السفارة ، بأنه استقبل بسرور سفارة باستيدا Bastida وفيلافرنكا Villafranca واستجاب لطلبه وأطلق سراح أربعة عشر من الأسرى المسيحيين ليعودوا مع السفراء[٣] وأطلق الناصر عدد أكثر من الأربعة المهمين الذين ذكرت أسماؤهم .

وفى العشرين من أبريل عام ١٣٢١ طلب خايم الثانى من البابا حنا الثانى والعشرين الإذن بإرسال إحدى السفن إلى مصر من أجل فدية الأسرى المسيحيين [٤]، ووافق البابا على هذا الطلب مع التأكيد بعدم حمل بضائع محرمة [٥]، وفى التعليمات التى وجهها الملك خايم الثانى إلى سفرائه ، تقديم الشكر للسلطان الناصر محمد على إطلاقه سراح أربعة عشر أسيرا والذين وصلوا إلى أراجون [٦]، وفى نفس الوقت يمهد لطلب تحرير الأسرى المسيحيين بذكر

١- رنسيمان : نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٣٣ .

٢- أما الطوائف العسكرية والتى نشأت أصلا للقتال فى الأرض المقدسة من أجل العالم المسيحى فلا زال واجبها الأساسى ، على أن طائفة الفرسان التيوتون غادروا الشرق بعد سقوط عكا سنة ١٢٩١م ، وتوجهوا إلى أملاكهم على بحر البلطيق بينما اتخذ كلا من الداوية والاسبتارية مقرا لهم فى جزيرة قبرص .

أنظر رنسيمان : نفس المرجع ، ص٧٢٠-٧٢١ .

٣- Masia : doc 42 , p. 314-315 .

٤- Masia : doc 44 , p. 316-317 .

٥- Masia : doc 46 , p. 317-318 .

٦- Masia : doc 51 , p. 324 .

استعداداته وتجهيزاته لغزو جزيرتى سردينيا وكورسيكا [١]، التى منحت له فى اتفاقية اناجنى سنة ١٢٩٥ م مع البابوية وفرنسا فى مقابل تنازله عن صقلية [٢]، فإنه يطلب إطلاق سراح الأسرى المسيحيين سواء كانوا من أراضى ملك أراجون أو من أراضى غيره ، وتعليماته إلى السفراء بأنه إذا رفض إطلاق سراح كل الأسرى حتى لاتتوقف سفارات ملك أراجون فيجب التأكيد عليه ، لن يحدث ذلك ، وإذا رفض فليحاولوا تحرير رعايا أراجون وإذا كان ذلك عسيرا فليحاولوا إطلاق سراح من هم أعلى منزلة [٣].

وأجاب الناصر محمد على إطلاق سراح ما أمكن من الأسرى وإعادتهم إلى مملكة أراجون[٤].

وفى رسالة الملك خايم المؤرخة فى العشرين من أغسطس عام ١٣٢٧ م طلب تحرير كل الأسرى المسيحيين التابعين له أو لملوك أوربا الآخرين مع التأكيد على بعض الأسرى الذين لهم أهمية خاصة [٥].

ولم يذكر الناصر محمد فى إجابته على تلك السفارة أى خبر يذكر عن تحرير الأسرى المسيحيين وتجاهل هذا الطلب [٦].

أرسل الفونسو الرابع- الذى تولى بعد وفاة أبيه- سفارة عام١٣٢٩ يركز فيها على طلبات

١- Ibid .

٢- Cronica de la corona de Aragon , p. 146 148 .

أنظر خايم الثانى وسياسته الخارجية .

٣- Masia : doc 51 , p. 325 .

٤- Alarcon : doc . 150 , p. 366 .

٥- وهؤلاء هم : بونانت كاتالا من برشلونة Bonant Catala

خوان رودريكومن نافار Johan Rodrigo

والترجمان خاكيت انجلز Jaquet Angles

وآخرين Masia : doc , 59 , p. 334 .

٦- Alarcon : doc . 151 , p. 368-369 .

أخرى وفى آخر تعليماته للسفراء يطلب تحرير وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين مثلما كانت تسير هذه السياسة فى عهد والده [١].

وفى إجابة السلطان الناصر محمد على تلك السفارة لم يشر إلى موافقته على طلب إطلاق سراح الأسرى والخطاب يحمل جمل وعبارات ودية لكنه يتجاهل مطالب ملك أراجون [٢].

تجاهل الناصر محمد بن قلاوون طلبات ملك أراجون فى سفارتى سنة ١٣٢٧م ، سنة ١٣٢٩ م ، ولم يستجب لتلك الطلبات ، ولم يشر إلى أنه قد أطلق سراح الأسرى أو إجابة لأى طلب آخر ، ويبدو أن ذلك التجاهل قد جعل ملك أراجون ينصرف عن علاقته مع سلطنة المماليك ويتجه اتجاهات أخرى وخاصة أن العلاقات قد دخلت دورا جديدا بعد ذلك .

ويتضح مما سبق أن مملكة أراجون قد اهتمت وأخذت على عاتقها تحرير الأسرى المسيحيين اعتمادا على رعاية خايم الثانى للمسيحيين فى مصر والشام لكونه الأميرال والكابتن العام لكنيسة روما الذى منحه له البابا ، وأن مملكة أراجون قد نجحت إلى حد كبير فى تحقيق هذا الهدف من خلال سفارتها إلى سلطنة المماليك إلى جانب أن الحروب الصليبية قد استمرت بعنف على سواحل مصر والشام بين سلطنة المماليك وجزيرتى قبرص ورودس ويدل على ذلك هذا الكم الهائل من الأسرى الذين طلبت أراجون إطلاق سراحهم .

١- Masia : doc 61 , p. 338 .

٢- Alarcon : doc . 152 , p. 370

الفصل الرابع

العلاقات السياسية بين مملكة قشتالة

وسلطنة المماليك (٦٥٨-٧٤١هـ/ ١٢٦٠-١٣٤١م)

١- سفارات ألفونسو العاشر إلى السلطان بيبرس .

٢- العلاقات السياسية بين ألفونسو العاشر والسلطان قلاوون .

٣- العلاقات القشتالية المملوكية بعد عهد ألفونسو العاشر .

سفارات ألفونسو العاشر إلى السلطان بيبرس

ارتبطت العلاقات السياسية بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك بتطور الأحداث السياسية والاقتصادية بينهما ، وكان التقارب بين قشتالة وسلطنة المماليك له أهداف بعيدة ترمى إلى تحقيق الأغراض التى يسعى إليها كل من ملوك قشتالة وسلاطين المماليك، والحقيقة أن هذه العلاقات تطورت وسارت فى طريق الود والصداقة .

فالعلاقات السياسية بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك لانجد لها صدى واضحا إلا فى عهد الملك ألفونسو العاشر (١٢٥٢-١٢٨٤م) فقبيل منتصف القرن الثالث عشر كانت شبه معدومة لأن الممالك الأسبانية قبل تلك الفترة كانت تصارع من أجل البقاء واكتساب كيانها السياسى، وبدأت منذ منتصف القرن الثالث عشر تتجه إلى تكثيف علاقاتها السياسية الخارجية مع دول البحر المتوسط وخاصة الشرق نتيجة لتوقف حركة «الاسترداد» بشكل مؤقت.

بدأت مملكة قشتالة فى توطيد علاقتها مع سلطنة المماليك، منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى على الرغم من أن مملكة قشتالة كانت أكثر اتساعا من مملكة أراجون ، ولكن الأخيرة كانت أكثر حظا فى سرعة احتكاكها بالعالم الخارجى وساعدها على ذلك موقعها الجغرافى القريب الصلة بدول البحر المتوسط أكثر من قشتالة ، يضاف إلى ذلك أن مملكة قشتالة تعتبر دولة شبه قارية على الرغم من أنها تطل على المحيط الأطلنطى بمنطقة أشبيلية التى استولى عليها القديس فرديناند فى عام ١٢٤٨ ومنطقة مرسية على البحر المتوسط [(١)]،

١- Pelayo : op. cit ., p. 33 .

ويحدها من الشمال المحيط الأطلنطى ومن الغرب مملكة البرتغال ومن الجنوب مملكة غرناطة ومن الشرق مملكة أراجون ، وهذا ما جعل اتصالها بالعالم الخارجى متأخرا عن مملكة أراجون ، وإن كانت قد بدأت العلاقات السياسية مع سلطنة المماليك قبل مملكة أراجون وذلك يرجع إلى شخصية الفونسو العاشر .

بدأت مملكة قشتالة علاقات سياسية وطيدة مع مملكة غرناطة ، حتى أن هذه الأخيرة [١]، كانت تعتبر اقطاعية تتبع لقشتالة وتدين لها بالولاء والطاعة مع دفع الإتاوة لها [٢].

ونتيجة لاهتمامها بسياسة التوسع فى شبه الجزيرة الايبيرية فكان وجودها خارج شبه الجزيرة قليلا ، خاصة وأنها قد عقدت مع أراجون معاهدة الميشرا Almizra فى عام ١٢٤٤م والتى قفلت باب التوسع أمام أراجون فى شبه الجزيرة الايبيرية وفتحتها أمام قشتالة لتتوسع على حساب مملكة غرناطة [٣].

أما عن علاقة مملكة قشتالة بالشرق خاصة مع سلطنة المماليك فى مصر والشام فقد بدأت رسميا منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وبصفة خاصة فى عهد ألفونسو العاشر ، وقد نالت مملكة قشتالة حظا من أخبارها فى المصادر المملوكية أكثر من مملكة أراجون وكانت معروفة لدى سلطنة المماليك فى مصر .

والواقع أن المصادر العربية قد أطلقت اسم «ادفونش» عامة على ملوك أسبانيا[٤] ، نظرا لتعدد هذا الاسم للملوك الممالك الأسبانية[٥] ، فاعتبرته المصادر الإسلامية الشرقية لقبا من ألقاب الملك ويشير إليه العمرى بقوله :

١- كانت مملكة غرناطة غارقة فى سياسة قشتالة بدءا من سنة ١٢٤٦م وأصبح ملكها من رعايا قشتالة بصورة شرعية مع شروط مادية متعسفة وعسكرية وواجب الحضور إلى اجتماعات الكورتيس القشتالى .

Hillgarth : Los Reinos , op. cit ., p. 188 .

٢- Loaysa : op. cit ., p. 73 .

٣- Masia : Introduccion , p. 174 .

٤- العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٦٠ .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٨ ، ص٣٣ .

٥- تعدد اسم الفونس حتى وصل إلى ألفونسو الحادى عشر ملك قشتالة بجانب الممالك الأسبانية الأخرى التى تعدد فيها هذا الاسم مثل (أراجون - ليون - البرتغال - نافار) .

«الأدفونش ملك الأندلس وبيده جمهور الأندلس وبسيوفه فنيت حجاجتها الشمس وهو وارث ملك لذريق الملك»[١]

توثقت العلاقات بين سلطنة المماليك ومملكة قشتالة بدليل أنه كان للأخيرة فى السجل الخاص للمراسلات مع الملوك[٢] ، رسم المكاتبة إلى ملوكها والتى نقلها العمرى[٣] ، بجانب الأدعية التى تليق بهم[٤] .

وعلى الرغم من أن العمرى قد أشار إلى أن بداية العلاقات كانت عدائية وأن ملك قشتالة «قوى طمعه فى بلاد الشام فى أخرى ليالى الأيام الفاطمية »[٥] إلا أن الوقائع توضح غير

١- ويشير أيضا إلى أن ملوك قشتالة من نسل هرقل «حدثنى رسول الادفونش بتعريف ترجمان موثوق به من أهل العدالة يسمى صلاح الدين الترجمان الناصرى أن الادفونش من ولد هرقل المفتتح منه الشام وأن الكتاب الشريف النبوى الوارد على هرقل متوارث عندهم محفوظ مصون » العمرى التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٦٢ .

٢- كان ديوان الإنشاء به سجل خاص للمراسلات مع الملوك وفيه يتضمن ألقاب والدعاء الذى يليق لكل من الملوك الذين تراسلهم الدولة المملوكية ، وكان يمسك بهذا الدفتر عامل خاص به .

حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص٢٠ .

٣- رسم المكاتبة إلى ملوك قشتالة (أطال الله بقاء الحضرة السامية الملك الجليل الهمام الأسد الباسل الضرغام الغضنفر بقية سلم وقيصر ، حامى حماه بنى الأصفر المنمع السلوك وارث لذريق وذرارى الملوك ، فارس البر والبحر ملك طليطلة وما يليها بطل النصرانية عماد بنى المعمودية حامل راية المسيحية ، وارث التيجان شبيه يحنا المعمدان ومحب المسلمين وصديق الملوك والسلاطين الادفنش سرقلا» .

العمرى : التعريف ، ص٦٤-٦٥ .

٤- أما الأدعية التى تليق بملك قشتالة «وكفاه شر نفسه وأجناه ثمر غرسه ووقاه فعل يوم يخبر عليه مثل أمسه وأراه مقدار النعمة بالبحر الذى يمنع بسوره ، وتوقى ترسه . أصدرناه إليه وجند الله لايمنعهم مانع ولايضرهم فى الله ما هو صانع، ولايبالون كتائب يخلفونها أم كتبا وجداول تعرض لهم أم بحار لايقطعونها إلا وثبا » دعاء آخر «وفاة بتوفيقه إتلاف المهيج وكفاه بأس كل أسد لم يهيج وحماه من شر فتنه لأبيل البحر الذى تحصن به ما يعقده غبارها من الرهج أصدرناها واسنتنا لاتردعن نحر واغنتنا لاتصد بسور ولو ضرب من وراء البحر»

العمرى : التعريف ، ص٦٥ .

٥- العمرى ، التعريف ، ص٦١

ذلك حيث أن تاريخ مملكة قشتالة يدل على استحالة هذا الرأى لأن ملك قشتالة ألفونسو الثامن (١١٥٨-١٢١٤م) ، كان مشغولا بمقاومة الموحدين الذين انتصروا عليه فى موقعة الأرك[١] (١١٩٥-٥٩١هـ) وكان كل همه أن يبسط سيطرته على أسبانيا المسيحية .

تولى ألفونسو العاشر (١٢٥٢-١٢٨٤م) حكم قشتالة ويعتبر عصره من أهم عصور قشتالة ، فهو واحد من أعظم الحكام أهمية فى العصور الوسطى وفترته كانت تمثل نهضة فى القرن الثالث عشر ، وفى أثناء حكمه ازدهرت العلوم والفنون فى أسبانيا المسيحية [٢]، وترجع شخصيته العلمية فى تكوينها إلى الثقافة والآداب العربية .

بدأ ألفونسو العاشر بعد توليه العرش فى التطلع الى تكثيف سياسته الخارجية من أجل الحصول على لقب إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة على أساس أنه وريث أسرة الهونشتاوفن فى دوقية سوابيا [٣]، ومن أجل تنشيط سياسته الخارجية وتوثيقها بدول البحر المتوسط فإنه أنشأ أسطولا مكونا من ثمانى عشرة سفينة [٤].

وباختيار الفونسو العاشر إمبراطورا تبدأ السياسة الخارجية لقشتالة تأخذ طريقا جديدا يقوم على اجتذاب المزيد من الحلفاء الذين يسمحون له بتحويل حلمه الإمبراطورى إلى واقع وحقيقة[٥] ، كما حاول إيجاد نوع من العلاقات السياسية مع سلطنة المماليك فى مصر خاصة بعد حملته على شمال أفريقيا[٦].

١- ابن الكردبوس ، ص١٢٤-١٢٥ / السلاوى : الاستقصا، ج١ ، ص١٧٨ .

الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٢ / سعيد عاشور : أوربا ، ج١ ، ص٥٣٧ .

٢- أنظر قشتالة فى عهد الفونسو العاشر .

٣- Loaysa : Op. cit ., p. 81 .

Masia : Introduccion , p. 171 .

٤- Hillgarth : Los Reinos , op. cit ., p. 342 .

٥- Martin : Historia de Espana, T III , p. 45 .

٦- كان ألفونسو قد عقد اتفاقا مع البيزنيين الذين وقفوا بجانبه فى مطالبته بمنصب الإمبراطورية وعرضوا عليه أسطول لحملاته فى إيطاليا وشمال أفريقيا.

Martin : La Peninsula , p. 325 .

كانت الدولة المملوكية أقوى دولة إسلامية فى الشرق الأوسط فى تلك الفترة وتسعى إلى خطبة ودها الممالك الأوربية ولاترفض صداقة أى دولة من تلك الدول بل تقابل الود بود والعداء بعداء ، لذلك فإن ألفونسو العاشر اتجه بسياسته إلى الشرق الإسلامى لتوطيد العلاقات الطيبة مع مصر - كإعادة للعلاقات الطيبة بين فردريك الثانى إمبراطور الدولة الرومانية بمصر - ولذلك أرسل سفارة فى عام (١٢٦٠-١٢٦١م / ٦٥٩هـ) إلى السلطان بيبرس ومعها هدية من الخيول الغربية الأصيلة [١].

وعلى الرغم من عدم إشارة المصادر العربية إلى هذه السفارة القشتالية إلى مصر إلا أن المصادر الأسبانية قد أشارت إلى وصول سفارة بيبرس إلى قشتالة والتى كانت ردا على سفارة قشتالة .

تروى المصادر الأسبانية أنه خلال احتفال ألفونسو العاشر بإحياء ذكرى أبيه الملك فرديناند، كانت تأتى إليه الوفود من الممالك المجاورة احتفالا بهذه الذكرى وكان من بين الحاضرين وفد من مملكة غرناطة [٢]، وفى أثناء هذا الاحتفال[٣] ، وصلت سفارة السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى[٤]، تحمل معها الهدايا العديدة ومنها الأقمشة والنفائس والهدايا المتنوعة الأشكال والعديد من الأحجار الكريمة النفيسة والعجيبة وأحضروا معهم أيضا فيلا وزرافة وحمارا مخططا وفرسين أحدهما أبيض والآخر أسود بجانب عدد آخر من البهائم والحيوانات

١- أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك ، ص٢٠٤-٢٠٥ .

٢- وابن الأحمر ملك غرناطة يرسل إلى الملك دون الفونسو شخصيات كبيرة من بيته فى هذه المناسبة ومعهم مائة بيدق وكان يحمل كل منهم شمعة بيضاء مشتعلة وهذه المائة شمعة كانت توضع حول قبر الملك دون فرديناند وكان يفعل ابن الأحمر هذا تشريفا للملك Rosell : op. cit ., p. 8 .

٣- وكانت العادة فى مثل هذا اليوم ، يوم الذكرى أن تغلق المحلات أبوابها وكذلك مكاتب الحكومة لم تكن تقوم بأى عمل مع وجود الملك دون ألفونسو فى أشبيلية ومعه كل الناس لإحياء ذكرى وفاة والده .

Rosell : op. cit . cit ., p. 8 .

٤- اختلفت المصادر الغربية فى اسم بيبرس البندقدارى ، خلطوا بينه وبين السلطان قطز ويرجع هذا الاختلاف إلى أن الألقاب المملوكية غريبة عليهم، متشابهة ولكن الملك الذى أرسل هذه السفارة هو بيبرس البندقدارى لأن الاسم الذى ذكر Alvandexever وهو يقصد به البندقدارى وكان قطز قد قتل بعد معركة عين=

المتنوعة[1]، ويصف المصدر رد فعل وصول هذه السفارة إلى قشتالة فيذكر أنها قد لفتت أنظار الاشبيليين بأزياء رجالها وهندامهم وأرديتهم وازدادوا إعجابا بحيوان الزرافة ذى الرقبة الطويلة وحمار مخطط بجانب الهدايا المتنوعة التى أعجبوا بها [2].

استقبل ألفونسو العاشر هذه السفارة بحفاوة شديدة وكرم جم وزاد فى حفاوتهم بأن شملهم برعايته[3] ، وطلب من الأسقف كابيلدو Cabilado مسجدا من المساجد التى كان قد أعطاها لهم وذلك لصلاة هؤلاء السفراء [4]، زيادة فى تكريمهم ، وقد صورت الرواية الأسبانية هذه السفارة بأنها كانت لخطب ود الملك الفونسو العاشر بجانب طلب يد ابنته للسلطان الظاهر بيبرس [5].

= جالوت فى سنة ١٢٦٠م (٦٥٨هـ) وتاريخ السلطان قطز يوضح بأنه قضى فترة سنة واحدة فى الحكم انشغل فيها بالاستعداد لصد المغول ولايوجد فى عهده أى اتصالات دبلوماسية مع الغرب الأوربى وقد ذكر مونتابث Montavez فى بحثه عن «العلاقات بين ألفونسو العاشر والسلطان بيبرس» Relaciones de Alfonso X de Castilla Con el Sultan Mameluco Baybars .

تحقيقا شمل الصفحات من ص٣٤٧ إلى ص٣٥٥ عن هل هو بيبرس أم قطز ليصل إلى التقرير بأنه بيبرس Montavez: op. cit ., p. 347-355 .

١- Rosell : op. cit ., p. 8 .

Keller : op. cit . , p. 74 .

٢- «لوحظ فى السكان حركة غريبة فى شوارع المدينة عن أجانب قادمين من مصر ذوى قامة عالية ملتحين وفى رداء بديع ، أحضروا هدايا إلى ملك قشتالة وكان هذا هو أكثر مالفت نظر الاشبيليين الذين فزعوا عند رؤية حيوان ذى رقبة طويلة لاتنتهى تسمى الزرافة ، وأعجبوا بجمال حمارة كانت العامة تطلق عليها أتان مخططة» Montavez : op. cit ., p. 350 .

٣- Rosell : op. cit ., p. 8 .

٤- Monstves : Op. cit ., p. 347 .

٥- Sitwell: Spain , p. 21 .

أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك ، ص٢٠٤-٢٠٥ .

وقد سعد ألفونسو العاشر بوصول صيته إلى مسامع السلطان[١]، ومدى التقدير الذى حظى به الملك عند السلطان المملوكى مما كان له أثر فى تطور العلاقات بين البلدين .

وتكمن أهمية هذه السفارة فى أنها مرتبطة بأنشودة العذراء مريم ، فقد استفاد ألفونسو العاشر من وصول هذه السفارة وصورها فى الأنشودة التى وضعها وهى أنشودة القديسة مريم The Cantigas de Santas Martia وصور الحيوانات التى جلتها السفارة معها وهى تركع للسيدة العذراء ، وصور الزرافة منمنمة برسومات صغيرة والفيل أيضا والحمار والمخطط بجانب حمل والذى يكون كالنو[٢] وكان من بين هذه الحيوانات أيضا العجل أبيس المصرى[٣]، وصور أيضا المسيحيون والمسلمون يتغنون بها [٤].

وكان من بين الحيوانات التمساح ، وحفظ - ولايزال إلى اليوم- معلقا فى مدخل الباب الشرقى لكاتدرائية أشبيلية فى فناء البرتقال Puerte del Lagarto los Naranjas وبالدقة تحت شجرة البرتقال [٥].

ونمت أيضا العلاقات الثقافية بين ألفونسو وسلطنة المماليك وتطورت نتيجة لاهتمام الملك القشتالى بالثقافة العربية ، وترجع شخصيته العلمية فى تكوينها - إلى حد كبير - إلى الثقافة العربية ، فقد ترجم العديد من المؤلفات العربية إلى اللغة الأسبانية ، وتعلم العديد من العلوم على أيدى أساتذة مسلمين ، واهتم بدراسة العلوم والآداب العربية وقام بترجمة القرآن إلى اللغة الأسبانية [٦]، وكان بلاطه يعج بالمؤلفين والفنانين والعلماء من العرب وبخاصة

١- Montaves : op. cit ., p. 346 .

٢- النو : ثبتل أفريقى ذو رأس كرأس الثور وقرنين معقوفين وذيل طويل .

٣- Keller : op. cit ., p. 74 .

٤- Watt: : A history of Islamic Spain , p. 159 .

٥- أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك ، ص٢٠٥ .

Sitwell : op. cit . p. 21 .

٦- Watt : op. cit ., p. 158 .

ميجل : العلاقات الثقافية ، ص١٣-١٤ .

أنظر أيضا قشتالة فى عهد الفونسو العاشر .

من مصر، فقد وفد منها علماء كثيرون إلى بلاط قشتالة بين الحين والآخر[١]، ودفعته اهتماماته بالثقافة العربية أن يراسل سلطنة المماليك زعيمة العالم الإسلامى آنذاك بغرض توثيق الصلة بهم لينعم بوفود العلماء المصريين ويستفيد بهم فى قشتالة .

أرسل ألفونسو العاشر سفارة فى عام ١٢٦٥م / ٦٦٤هـ إلى زعيم الاسماعيلية ومعهم الهدايا المتنوعة [٢]، ولانعلم ما الغرض من هذه السفارة هل هى لمجرد خطبة ود الإسماعيلية من جانب ألفونسو تضامنا مع السفارات الأخرى من ملوك أوربا اتقاء لشرهم بفتح طريق التجارة بين قشتالة والشرق الأقصى أم حماية لجاليتها التجارية فى الشرق .

والحقيقة لم يبق للإسماعيلية أى نفوذ فى الشرق فى تلك الفترة ، فقد انتهى نفوذها تماما وخاصة بعد أن دخل المغول قلعة ألموت وقضوا عليهم وازدادوا تقلصا فى عهد السلطان بيبرس الذى استطاع القضاء عليهم تماما فى عام ١٢٧٣م بالاستيلاء على حصونهم الواحد تلو الآخر[٣].

وكان السلطان بيبرس قد فرض رسوما جمركية على الهدايا التى كانت ترسل إلى طائفة الاسماعيلية ، كما فرض ضرائب باهظة على سفنهم التى تمر عبر الأراضى المصرية ، للحد من نشاطهم التجارى [٤]، بعد القضاء على قلعة ألموت على يد المغول فى عام ١٢٥٦م / ٦٥٤هـ[٥].

١- Keller : op. cit ., p. 74 .

٢- «وفيها وردت رسل الأنبرو ورسل الفنش ورسل ملوك الفرنج ورسل ملك اليمن ومعهم هدايا إلى صاحب قلاع الاسماعيلية فأخذت منهم الحقوق الديوانية عن الهدية إفسادا لنواميس الاسماعيلية وتعجيزا لم أكتف شرهم بالهدية » المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٥٤٣ .

٣- العينى : عقد الجمان : Rec .. Hist .. Orient , p, I V . 2 , p. 223 .

٤- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٦٥ .

محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ، ص٩٩ .

أسامة زكى زيد : الصليبيون واسماعيلية الشام ، ص٣٠٦-٣٠٧ .

٥- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٣٩٩ .

أسامة زكى زيد : نفس المرجع ، ص٣٠٤ .

ويروى لنا ابن عبد الظاهر عن وصول سفارة أخرى لألفونسو فى عام ١٢٨٦م / ٦٦٧هـ بقوله :

«وفى هذه المدة وصل رسل الفنش بمكاتبة متضمنة المودة واستعراض الخدم ، فكتب إليه بالأقبال والقبول »[١]

وهى سفارة دبلوماسية كما هو واضح من العبارات المتضمنة فى رسالتها وأجاب السلطان بيبرس على هذه السفارة بإرسال سفارة أخرى تتضمن نفس عبارات الود والصداقة .

كان لسقوط أنطاكية على يد الظاهر بيبرس عام ١٢٦٨م / ٦٦٦هـ[٢]، أثره على البابا كليمنت الرابع ، فقد بدأ يناشد حكام أوربا بتقديم المساعدات العسكرية للذهاب إلى الشرق واعتمد البابا فى مشروعه على أسبانيا وانجلترا وفرنسا [٣]، نتيجة لضغط البابوى حاول ألفونسو العاشر البر بوعده[٤] ، لكنه كان غير راغب فى الذهاب إلى الشرق بنفسه لسوء الحالة الداخلية فى مملكته وتمرد النبلاء بالإضافة إلى حرصه على علاقاته الطيبة مع الدولة المملوكية فى مصر وفى نفس الوقت حرص على إرضاء البابا [٥]، فزود ملك أراجون فى حملته الصليبية على الشام فى عام ١٢٦٩ بمائة (١٠٠) رجل ومائة ألف (١٠٠,٠٠٠) مارفيدس Marvedis من الذهب [٦].

١- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص٣٣٧ .

٢- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٥٦٧ .

٣- Sadeque : op. cit ., p. 57 .

عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص٢١٣-٢١٤ .

٤- King : op. cit ., p. 266 .

٥- اشترك الفونسو العاشر بعد ذلك فى حملة لويس التاسع على تونس عام ١٢٧٠م باشتراك ابنه فى هذه الحملة ويشير اليونينى إلى قتل ابن الفونسو العاشر فى تلك الحملة . اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٤٥٥-٤٥٦ .

٦- Michaud : op. cit ., p. 30 .

واصل ألفونسو سياسته فى إرسال السفارات إلى سلطنة المماليك ، فأرسل سفارة إلى السلطان بيبرس فى عام ١٢٧٥م / ٦٧٤هـ ورد عليها بيبرس بسفارة مماثلة فى نفس العام[١].

ويوضح لنا النويرى توضيحا أكثر عن سفارة الفونسو العاشر، بأن الفونسو العاشر قد أرسل سفيرا يدعى دينار ومعه هدايا قيمة ويحمل رسالة مضمونها المودة للسلطان [٢]، وكان يبغى الفونسو العاشر من هذه السفارة التى قام بها السفير دينار توثيق علاقته بالسلطان بيبرس ، وفى الغالب كان الهدف من ورائها تجاريا بحتا لأن ألفونسو العاشر كان يواجه أزمات اقتصادية ، فقد كانت قشتالة تشكل وحدة سياسية ولكنها تختلف اقتصاديا ، فالأسعار تختلف من إقليم لآخر بصورة كبيرة حسب مكان الإنتاج مع وسائل أو تسهيلات النقل ومستوى المعيشة المختلف فى كل إقليم من أقاليم قشتالة [٣]، بجانب إسرافه ببذخ مما دفع النبلاء إلى التمرد عليه [٤]، فإزاء هذه الصعاب الداخلية ، اتجه الفونسو إلى تشجيع التجارة الخارجية وخاصة مع الشرق للخروج من هذه الضائقة الاقتصادية ولتحتل قشتالة مكانة كبيرة فى التجارة بين الشرق والغرب ويفسر ذلك تلك السفارات التى أرسلها الملك ألفونسو العاشر إلى السلطان بيبرس .

١- «ففى مستهل رجب توجه السلطان من دمشق إلى مصر فدخل قلعة الجبل فى ثامن عشرة وقدمت هدية صاحب اليمن ومن جملتها كركون وفيل وحمار وحشى عتابى ، فسير السلطان إليه هدية مع رسله وجهز السلطان هدية للملك منكوتمر مع الأمير عز الدين أيبك الفخرى وجهز رسل الملك الأشكرى ورسل الفنش ورسل جنوة » المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٦٢١ / ابن الفرات : تاريخه ، المجلد السابع ، ص٤٤ .

أشار اليونينى إلى هؤلاء السفراء وذكر عددهم خمسة وعشرون سفيرا ولم يذكر سفير قشتالة بينهم اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، ج٣ ، ص١١٦ .

٢- «وذكر توجه رسل السلطان إلى أشبيلية وما كان من خبرهم ، كان الفنش صاحب أشبيلية قد سير رسولا إلى السلطان أسمه دينار وعلى يده هدية سنية ورسالها مضمونها استدعاء مودة السلطان» .

النويرى : نهاية الأرب ، ج٢٨ ، ص٢٢٧ .

٣- Martin : La Peninsula, p. 428 .

٤- أنظر قشتالة فى عهد الفونسو العاشر .

أما رد السلطان بيبرس على هذه السفارة ، فقد أرسل ثلاثة سفراء ومعهم الهدايا القيمة فى أواخر شوال عام ٦٧٤هـ ولكنهم فى طريقهم إلى قشتالة قد احتجزوا فى برشلونة فترة ثم أعيد إطلاق سراحهم وواصلوا سيرهم إلى بلنسية ثم إلى الملك ألفونسو العاشر، وقد استقبلهم أهالى قشتالة بالترحاب ولاقوا كل عناية من ألفونسو العاشر إلى أن أدوا مهمتهم ورجعوا إلى الأسكندرية فى صفر عام ٦٧٥ هـ[١].

من هنا يتضح أن بيبرس بادل الفونسو العاشر صلاته الودية خاصة وأن بيبرس كان فى حاجة إلى المنتجات القشتالية من الخشب والأسلحة والمنتجات الغذائية فى الوقت الذى كانت فيه سياسة البابا جريجورى العاشر (١٢٧١-١٢٧٦م) تحرم التجارة مع سلطنة المماليك لاسيما فى البضائع الممنوعة ، ودعا إلى الالتزام بهذه السياسة ملك أراجون خايم الأول فى منشور أصدره فى عام ١٢٧٤م [٢].

ثم أرسل الفونسو العاشر سفارة فى عام ١٢٢٧م / ٦٧٦هـ إلى سلطنة المماليك أشار إليها اليونينى فى ذيل مرآة الزمان [٣].

١- «فسير السلطان إليه الآن رسلا وهم الأمير سيف الدين الجلدكى والأمير عز الدين أيبك الكبكى والفقيه العدل الدين الحسين بن همام مرتضى وعلى أيديهم هدية سنية وعقاقير فتوجهوا من القاهرة فى العشر الآخر من شوال وتوجهوا إلى الأسكندرية وتوجهوا منها فى البحر فى ذى العقدة فوصلوا إلى شقريش فعوقهم صاحب برشونة أياما ثم أفرج عنهم فساروا حتى وصلوا إلى بلنسية ثم توجهوا منها برا وبحرا حتى وصلوا إلى مرعش وهى من جملة مملكة الفنش فاعلم بوصولهم فاستدعاهم وكان يومئذ بنطورية فتوجهوا إليه فكانوا كلما مروا ببلد خرج إليهم أهل البلد يلقوهم بالأفراح إلى أن وصلوا إلى نطورية فخرج جميع من بها من الخيالة والرجالة والتقوهم بظاهرها حتى استدعاهم الملك بعد ثلاث أيام وأكرمهم غاية الإكرام واستحضرهم فى اليوم الثانى وأحضروا الهدية فاستبشر وطابت نفسه وقبلها ثم جهز لهم مركبا ببرشنونة فتوجهوا فى البر إليها ثم ركبوا منها فى المركب فى آخر ذى الحجة فوصلوا إلى الأسكندرية فى صفر سنة خمس وسبعين وستماية ».

ابن الفرات : تاريخه ، المجلد السابع ، ص٤٤ .

النويرى : نهاية الأرب ، ج٢٨ ، ص٢٢٧ .

٢- Montavez : op. cit ., p. 362-363 .

٣- أنظر ج٣ ، ص٢٣٣ . Masia : doc . I , p. 263-264 .

«وفى سادس عشر صفر وصل إلى القاهرة رسول من جهة الفنش من بلاد المغرب إلى الملك الظاهر ومعه تقدمة حسنة فشق بها القاهرة»

قامت السفارة من قشتالة قبيل وفاة بيبرس ووصلت بعد وفاته ، وعندما وصلت كان قد تولى السلطنة ابنه الملك السعيد بركة خان (١٢٧٧-١٢٧٩ / ٦٧٦-٦٧٨هـ) واضطربت الأمور فى فترة حكمه القصيرة والتى شملت صراعات أمراء المماليك على السلطة والنفوذ[١]، لذلك لم تؤد السفارة الغرض الذى أتت من أجله خاصة وأن اليونينى يشير بأنها وصلت إلى القاهرة «فشق بها القاهرة» وانقطعت أخبارها بعد ذلك فلا نعلم هل استقبلت السفارة أم عندما وجدت أن الوضع تغير عادت إلى قشتالة دون مقابلة الملك السعيد .

بدأت العلاقات بين مملكة قشتالة ومصر بعد منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وتمثلت فى عهدى الملك ألفونسو العاشر والسلطان بيبرس ، ويغلب عليها الصفة الدبلوماسية التجارية ويتضح ذلك من خلال استعراض السفارات المتبادلة بينهما فلانجد بها مطالب خاصة أو مطالب سياسية بل تتضمن عبارات ودية وهدايا وصلات دبلوماسية وهى بذلك تمهد للعلاقات والتبادل التجارى بين البلدين فى عهد المنصور قلاوون .

العلاقات السياسية بين ألفونسو العاشر والسلطان قلاوون

كانت العلاقات القشتالية المملوكية فى عهد المنصور قلاوون استمرارا للعلاقات بينهما فى عهد السلطان الظاهر بيبرس ، فقد مارس ألفونسو العاشر ملك قشتالة سياسته فى الاتصال بسلطنة المماليك بعد وفاة بيبرس (١٢٧٧م / ٦٧٦هـ) تدعيما لأواصر الصداقة بينهما .

ففى عام (١٢٧٩-١٢٨٠ / ٦٧٨هـ) أرسل ألفونسو العاشر سفارة إلى الملك السعيد بركة خان بن بيبرس (١٢٧٧-١٢٧٩م / ٦٧٦-٦٧٨هـ) بغرض توثيق العلاقات بينهما ، ويروى المقريزى عن هذه السفارة بقوله :

«وقدمت رسل الفونش بكتب للملك السعيد وهدية فقبض على هديتهم وكتبهم وأعيدوا فى خامس عشر شوال »[٢]

١- أنظر المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٦٤٢-٦٥٧ .
أيضا محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص١٩-٢٢ .
٢- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٦٦٦-٦٦٧ .

وأورد ابن الفرات رواية أخرى فقال :

«فى شوال ، وكان رسل الفونش وصلوا على أنهم رسل للملك السعيد بن الملك الظاهر . فأحضرهم الملك المنصور وأعطوه الكتب وأعادوا المشافهة وأحضروا ما كان معهم من هدية وكانت لطيفة جدا وكتب لهم الجواب وخلع عليهم ونفق فيهم وتجهزوا وأعيدوا فى نصف شوال الشهر المذكور »[١]

وقد اتفق كل من المقريزى وابن الفرات على أن السفارة كانت مرسلة إلى الملك السعيد بركة خان ، وعندما وصلت السفارة إلى القاهرة كان السلطان المنصور قلاوون قد تولى السلطنة فى عام ١٢٧٩م / رجب سنة ٦٧٨هـ [٢]، واختلفا فيما حدث لهذه السفارة بالمقريزى يشير إلى أنها قد عوملت بجفاء واستخدم ألفاظا تدل على ذلك «فقبض على هديتهم وكتبهم وأعيدوا» أما ابن الفرات وهو الأقرب إلى الأحداث يذكر أن المنصور استقبلهم وجددوا العلاقات معه . وجهز هدايا للملك قشتالة لعودتهم وهذا أصوب لأن المنصور قلاوون كان يسعى إلى تثبيت مركزه وتأكيد سلطنته بالصلات الدبلوماسية خاصة وأنه خرج عليه سنقر الأشقر نائب الشام وامتنع عن مبايعته [٣]، طمعا فى السلطنة .

رغب الفونسو العاشر ، فى تجديد العلاقات وخاصة مع السلطان الجديد المنصور قلاوون ، طمعا فى إيجاد دور لقشتالة فى التجارة بين الشرق والغرب، للخروج من الأزمة الاقتصادية التى كان من نتيجتها تمرد النبلاء عليه بزعامة ابنه سانشو [٤]، وانضمام ملك البرتغال إلى ابنه بجانب مملكة قشتالة وبعض المدن القشتالية [٥].

١- ابن الفرات : تاريخه ، المجلد السابع ، ص١٥٧ .

٢- ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٤٨ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٦٦٣ .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص٢٩٢ .

٣- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٢٣ .

٤- Rosell : op. cit ., p. 60-61 .

٥- Hillgarth : Los Reinos , op. cit ., p. 362 .

أدت هذه الدوافع إلى أن ألفونسو العاشر أرسل إلى السلطان قلاوون سفارة فى (١٢٨٢-١٢٨٣م / ٦٨١هـ) [(١)]، ويرويها ابن عبد الظاهر بقوله :

«وفى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الأول وصل رسل الفنش وهو الفارس الحكيم بايشتر قلب الأسبنيولى ورفيقه القس بيرستنت ومعه تقادم إلى مولانا السلطان من جملتها خيل وبغال وغير ذلك من الهدايا واجتمع بهم السلطان وأكرمهم»[(٢)]

ويضيف ابن الفرات أخبارا أخرى عن تلك السفارة بقوله :

«وفيه وصل الأسكندرية رسل الفونش وهم ما يشتر قلب الاسبنيولى ورفيقه القس برفسنت ومعها ثلثة وستون نفرا دخيل وبغال للتقدمة خمسة عشر رأسا بعدما مات منها سبعة أرؤس وفى الواصلين نسوة حجاج ثلثة وخمسون امرأة»[(٣)]

ونستطيع القول بأن هذه السفارة على جانب كبير من الأهمية أو بمعنى آخر فهى من أهم السفارات المرسلة من قشتالة إلى سلطنة المماليك فقد ضمن ثلاثة جوانب ، الجانب الأول ،

١- خلط المؤرخ ميور بين هذه السفارة وبين المعاهدتين التى عقدت بين خايم الثانى والأشرف خليل فى عام ١٢٩٣ وانضم ملك قشتالة وملك البرتغال .

Muir : The Mameluke of Slave dynasty of Egypt , p. 38 .

٢- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص٢ .

٣- ابن الفرات : تاريخه ، المجلد السابع ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

وأشار بيبرس الدوادارى إلى هذه السفارة «وفيها وصل رسول من عند الفنش أحد ملوك الفرنج اسمه الفارسى الحكيم مايشتر قلب الاسبنيولى ورفيق له، ومعهما تقادم كثيرة من خيل وبغال وغير ذلك فأكرمهما السلطان وأعادهما مشمولين بالإحسان» بيبرس الدوادارى : زبدة الفكر ، ج٩ ، ص٢٤١ .

وأورد المقريزى أيضا «وفى ربيع الأول وصلت رسل الاشكرى ، ورسل الفنش بهدية» المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ .

سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٢٧١ .

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٢٦٢ .

تأكيد العلاقات السياسية واستمرارها بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك ومخاطبة ودها بإرسال الهدايا ، أما الجانب الثانى فإنه يحمل هدفا دينيا إذ أن الوفد قد ضم القس برفسنت وثلاثة وستين رجلا بجانب ثلاث وخمسين امرأة فهذا العدد الضخم كان يبغى الحج إلى بيت المقدس ، ووجود ثلاث وخمسين امرأة لها دلالة على الهدف الرئيسى للسفارة ، أما الجانب الأخير فهو الهدف القشتالى من كل السفارات التى أرسلت ألا وهو التبادل التجارى، خاصة وأن قشتالة فى تلك الفترة كانت تبحث عن سوق لمنتجاتها وأهمها تجارة الزيت ، وكان يسعى الفونسو إلى فتح سوق لها فى مصر بجانب الحصول على التوابل والحرير [١].

وهنا أورد ابن عبد الظاهر نصا على جانب كبير من الأهمية [٢]، فإنه بطبيعة عمله كرئيس لديوان الإنشاء [٣]، فإنه يشير إلى :

> « أنه فى عاشر شهر ربيع الأول من هذه السنة (٦٨٣هـ) ورد كتب من رسل مولانا السلطان الذين كانوا توجهوا إلى الفنش وهم : الأمير سيف الدين بلبان العظمى والفقيه الإمام حميد الدين الحنفى والأمير عز الدين ايبك الترجمان[٤] المعروف بالكبكى »

وكانت هذه السفارة ردا على سفارة سنة ١٢٨٢م / ٦٨١هـ التى كانت قد تأخرت فى مصر نتيجة لذهابها إلى الحج فى بيت المقدس وفى أثناء عودتها أرسل قلاوون سفارته السابقة ردا على سفارة ملك قشتالة أواخر سنة ٦٨١هـ والتى وصلت إلى قشتالة فى المحرم سنة ٦٨٢ هـ.

وعن وصول هذه السفارة إلى ألفونسو العاشر :

١- Montavez : op. cit ., p. 374 .

٢- الواقع أن هذا النص بلغ عدد من الصفحات فى تشريف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر وهو يتناول أخبارا عديدة عن مملكة قشتالة وما حدث من حرب أهلية بين ألفونسو العاشر وابنه ، ولذلك سوف نقوم بدراسة تحقيق حول هذا النص .

٣- وهى الهيئة التى تتلقى المراسلات وتخرج منها إلى مختلف البقاع .

٤- انظر التحقيق عن هؤلاء السفراء فى

Montavez : Rela . . Cast .. mam .. p. 15-17 .

«ومضمونها أنهم كانوا توجهوا من الأبواب الشريفة وأنهم وصلوا إلى الفنش فى مستهل المحرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة واجتمعوا به فى أشبيلية وأدوا الرسالة إليه فسمعها منهم»

وعند وصولهم «وجدوا الحرب قائمة بينه وبين ولده ذو صنج» [1] كان سانشو الرابع قد تمرد على أبيه خاصة وأن ألفونسو العاشر قد عدل فى قانون الوراثة وورث أولاد فرديناند دى لاسردا ابنه الأكبر والذى قتل فى معركة مع بنى مرين سنة ١٢٧٥م[2]، مما دفع بسانشو إلى مناداته بأحقيته فى العرش [3]، وفى هذا الصدد يذكر ابن عبد الظاهر :

«وقد عصى أهل البلاد على الفونش وصاروا مع ولده المذكور ولم يبق فى طاعة والده غير عسكر يسير وبقى فى يده من البلاد أشبيلية»[4]

بدأ سانشو فى العمل على جلب التزييد له من المدن والنبلاء فأرسل الرسائل إلى مختلف أنحاء قشتالة يطلب تعضيده وعودة النبلاء المغضوب عليهم من أبيه بعد أن طردوا من المملكة، ووعدهم بإعادة أملاكهم إليهم فى حالة حضورهم إليه فى بلد الوليد [5]، وبقيت مدينتان على إخلاصهما لألفونسو وهما أشبيلية ومرسية [6]، ووقف بجانب ألفونسو العاشر سلطان بنى مرين أبو يوسف [7].

١- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١١٢ .

٢- Martin : la Peninsula , p. 430 .

٣- Loaysa : op. cit ., p. 117 .

٤- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١١٢ .

٥- Rosell : op. cit . p. 60-61 .

٦- Hillgarth : Los Reino , op. cit ., p. 362 .

٧- Rosell : op. cit . p. 62 .

ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج١ ، ص٥٧٢ .

ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص٢٠٥ .

نتيجة لهذه الأوضاع وانشغال ألفونسو بمقاومة هذا التمرد خاصة وأن المتمردين قد اجتمعوا فى بلد الوليد فى سنة ١٢٨٢م وأعلنوا عزل ألفونسو عن العرش [١]، فإنه أهمل هذه السفارة لحين الانتهاء من القضاء على التمرد ، ومل السفراء الانتظار وطلبوا منه الإذن فى العودة إلى مصر [٢].

وصل خبر هذه السفارة إلى أبى يوسف سلطان بنى مرين بالحاح هؤلاء السفراء فى العودة إلى مصر ، فبعث إلى ألفونسو العاشر[٣]، يوضح له بأنهم من طرف سلطان له مكانته فى العالم الإسلامى فإما أن يجهزهم للعودة أو يرسلهم إليه ليقوم بتجهيزهم بما يليق بمكانة سلطانهم [٤].

وجدير بالذكر أن سلطنة المماليك أقوى دولة إسلامية آنذاك وأصبحت زعيمة للعالم الإسلامى فى المشرق والمغرب، وكانت الممالك الإسلامية تخطب ودها وترسل الوفود إليها ، وكانت مملكة بنى مرين ناشئة وقامت دولتهم على أنقاض دولة الموحدين فى المغرب بعد هزيمة بنى مرين للموحدين فى عام ١٢٦٩م / أواخر سنة ٦٦٧هـ[٥]، وكان اهتمام سلطان بنى مرين بسفارة المماليك إلى قشتالة كنوع من الاهتمام بزعيمة العالم الإسلامى فى المشرق والمغرب .

استنكر ألفونسو العاشر هذا الرأى :

«وأعاد الفونش الجواب على أبى يوسف صاحب مراكش بأنى إذا سيرت الرسل إليك لتجهزهم من جهتك يبقى على عار عظيم! كيف يحضر

١- Cam .. Med .. Hist . V . 7 , p. 571 .

٢- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام، ص١١٢ .

٣- عندما تمرد سانشو على أبيه وأعلن عزله عن العرش أيدته مملكة غرناطة مما دفع الفونسو إلى الاتجاه إلى سلطان بنى مرين مطالبا بتأييده ضد ابنه فى مقابل تاجه المرصع بالذهب والماس .

Rosell , op. cit ., p. 62 .

ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج١ ، ص٥٧٢ .

ابن خلدون : العبر ، ج٧ ، ص٢٠٥ .

٤- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١١٢ .

٥- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص٧٣ .

عندى رسل هذا السلطان الكبير ويجهزهم غيرى/ أى شئ يقال عنى! »[١]

ووصفت السفارة المملوكية وفاة ألفونسو العاشر :

« ولما مات لم يكن أحد من أولاده حاضرا موته سوى دون جوان ففرق موجود والده وخزائنه ، وعوفى ولد الفونش دون صنج (يقصدوا سانشو الرابع) الذى كان قد قيل عنه ، أنه مات وهو بجانب أبيه وتسلم الملك بعد ثلاثة أشهر من هلك أبيه وكان حضوره إلى أشبيلية فى يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة »[٢]

ويشير ابن عبد الظاهر بناء على تقرير السفارة المملوكية إلى احتفال سانشو باعتلائه العرش أنه فى يوم الأحد الموافق الثالث من شهر ربيع الآخر عام ٦٨٣هـ حضر سانشو إلى كنيسة أشبيلية والتى كانت من قبل مسجدا للمسلمين وحولت إلى كنيسة وتوج بها ودار بالموكب احتفلا بتتويجه فى شوارع أشبيلية وكان بالموكب سفراء سلطنة المماليك[٣]، تكريما لهم.

وفى احتفاله وصلت إليه رسل صاحب سيس ملك الأرمن [٤]، والذى كان مرتبطا بعلاقات سياسية وتجارية مع الممالك الأسبانية[٥]، ووصلت إليه أيضا رسل أبى يوسف صاحب مراكش تهنئه باعتلائه للعرش وانتهز السفراء المصريون الفرصة وطلبوا من سفراء أبى يوسف بتجهيزهم ومساعدتهم للعودة إلى مصر ، ولكن رفض سانشو بأنه أحق بتجهيزهم [٦].

١- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام، ص١١٢-١١٣ .

٢- نفس المصدر والصفحة .

٣- « ولما كان يوم الأحد ثالث شهر ربيع الآخر إلى كنيسة أشبيلية التى كانت جامعا للمسلمين وعملت كنيسة وتسلطن بها ، وتوج فيها ، وركب بالطبل خاناه والأعلام وصنجق مولانا السلطان على رأسه ودار البلد والرسل معه فنزل فى قصره ومد سماطه وجلس الرسل معه عليه ونظر فى أمر الملك وترتيب أحوال » ابن عبد الظاهر : تشريف ، ص١١٣ .

٤- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١١٣ .

٥- Hillgarth : Los Reinos . op. cit ., p. 313 ; Abadia : op. cit ., p. 49 .

٦- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور، ص١١٣ .

وكرر رسل السلطان المنصور قلاوون السماح لهم بالعودة إلى القاهرة لكن سانشو اعتذر لهم بقصر ذات اليد وعجزه عن تجهيزهم فى الوقت الحاضر وطلب منهم الانتظار حتى يجهزهم، لكنهم أصروا على العودة ، وتوجهوا إلى تونس .

«فأبى رسل مولانا السلطان إلا العود فأذن لهم فركبوا إلى تونس بخمسائة دينار ، وسير معهم رسولا وحكيما إلى صاحب تونس ، وسافروا فى منتصف جمادى الآخرة فوصلوا إلى تونس فى منتصف شهر رمضان ، وقاسوا شدائد فى البحر فتلقاهم صاحب تونس بالإحسان والكرامة والتفقد وحضروا إلى الأبواب الشريفة»[١]

مما سبق يتضح أنه كان لأحداث مملكة قشتالة صدى فى سلطنة المماليك وأن السفارة المملوكية قد بقيت فى مملكة قشتالة ما يقرب من عامين أتاحت لهم الإطلاع على ما يحدث فى قشتالة فى تلك الفترة من الحرب الأهلية بين ألفونسو وابنه وهذه الأحداث السابقة قد علمها ابن عبد الظاهر من السفراء خاصة أنه كان رئيسا لديوان الإنشاء فى ذلك الوقت .

كانت العلاقات القشتالية المملوكية فى عهد الفونسو العاشر والمنصور قلاوون استمرارا للعلاقات بينهما فى عهد السلطان بيبرس ولكن بوفاة ألفونسو العاشر وتولى سانشو الرابع وتعرض قشتالة لاضطرابات وحروب أهلية أدت- إلى حدما - إلى انقطاع السفارات فيما بينهم .

العلاقات القشتالية المملوكية بعد عهد ألفونسو العاشر

كانت العلاقات الرسمية (المباشرة) بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك بعد عهد الفونسو العاشر قد انعدمت ، ويرجع ذلك إلى الوضع الذى تعرضت له مملكة قشتالة بعد وفاة ألفونسو، فقد سيطر سانشو الرابع على الحكم فى عام ١٢٨٤م، ومنذ هذا التاريخ استمرت الاضطرابات والحروب الأهلية والتنازع على العرش حتى عام ١٣٢٤م عندما دعا الفونسو الحادى عشر الكورتيس للاجتماع فى بلد الوليد وسيطر على الحكم [٢].

١- نفس المصدر والصفحة .

٢- Watts : op. cit ., p. 179-180 .

وهكذا اتسمت هذه الفترة بالنزاع على العرش بين الأمراء مما أدى إلى عدم ثبات سياسة قشتالة الخارجية وخاصة أنها ارتبطت فى سياستها الخارجية بفرنسا والبرتغال وأراجون وغرناطة وبنى مرين[١] وتدخل هذه الدول فى النزاعات على العرش .

وعلى الرغم من ذلك فإن مملكة قشتالة لم تهمل السياسة الخارجية وعلاقاتها بالدول المرتبطة بها سياسيا وتجاريا وخاصة مع مصر ودول الشرق .

فبالنسبة للعلاقات بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك خلال هذه الفترة نجد أنها أخذت طريقا غير مباشر فنجدها قد دخلت طرفا فى المعاهدة بين خايم الثانى والأشرف خليل فى عام ١٢٩٣ وتعهد فيها خايم الثانى بتنفيذ قشتالة لكل بنود التحالف ، لذلك فإنه يشير فى خطابه إلى الأشرف خليل :

> «أن الملك دون خايم يعلم السلطان أنه بسبب المصاهرة مع الملك الشريف والقدير ملك قشتالة حيث أن الملك خايم قد تزوج من ابنته وأنه بنفس الشئ فانه لاتوجد أى خلافات بينهما وهكذا فإن ممالك هذا وممالك ذاك تكون شيئا واحدا واردة واحدة ووفاقا واحدا بالطريقة التى يجب أن يقدر الواحد والآخر بأى شئ بالأشخاص بالأموال بالرجال بالأراضى بالعدد بكل قدرته»[٢]

كان سانشو قد عقد مع خايم الثانى معاهدة مونتياجود ولتأكيد هذا التحالف تم زواج خايم الثانى من ابنته إيزابلا [٣].

ومما يمنع سانشو من الاتصال المباشر بالشرق أنه منذ توليته العرش فى عام ١٢٨٤ حتى وفاته عام ١٢٩٥ كان يكافح ضد النبلاء وضد المطالبين بعرش قشتالة وخاصة أبناء فرديناند دى لاسردا مما حدا بالممالك الأخرى إلى انتهاز هذه الاضطرابات للحصول على منافع سياسية لصالحها [٤].

١- أنظر قشتالة بعد عهد ألفونسو العاشر فى الفصل الأول .

٢- Masia : doc . 2 , p. 265 .

Chpmany : op. cit ., p. 29 .

٣- Rosell : op. cit ., p. 85 .

٤- أنظر قشتالة بعد عهد الفونسو العاشر .

وفى الوثائق العربية المحفوظة بالأرشيف الأراجونى التى جمعها الأركون فى كتابه «الوثائق العربية المحفوظة بالتاج الأراجونى» نجد وثيقة ترجع إلى شهر مارس عام ١٣٠٠م / رجب سنة ٦٩٩هـ وهى عبارة عن رسالة من السلطان الناصر محمد ابن قلاوون إلى الفونش[1]، صاحب قشتالة [2].

ومضمون رسالة السلطان هو أن سفيرا من قشتالة يدعى برنارد ريكارد «انبرناد ردفارد» وصل من قبل ملك قشتالة ووافق وقت وصوله خروج السلطان لقتال المغول فأنزله منزلة كريمة لحين عودته من الشام وأجاب طلبات السفير من حماية التجار المترددين بين قشتالة ودولة المماليك وحماية من يحضر لحج بيت المقدس وأرسل مع هذا السفير هدايا عظيمة .

ثم أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع السفير القشتالى المزعوم السفيرين المصريين فخر الدين عثمان والقاضى حميد الدين وبعث معهما هدية من القماش الفاخر والطيب والعود والزنجبيل [3]، واتضح عند وصولهما إلى بلاط قشتالة أن برنارد ريكارد هذا لم يكن فى الواقع سفيرا أرسله ملك قشتالة وإنما كان تاجرا من برشلونة زور أختام ملك قشتالة وكان يبغى من ورائها منافع تجارية [4].

أشار السلطان الناصر محمد بعد ذلك إلى هذا الموضوع فى رسالته إلى خايم الثانى فى عام ١٣٠٤م [5]، مما دفع الناصر إلى محاولة التأكيد من السفير الأراجونى فى سفارة عام

١- المقصود بالفونش هنا هو فرديناند الرابع (١٢٩٥-١٣١٢م) خاصة وأن المصادر المملوكية تطلق على ملك قشتالة أى كان اسمه لقب الفونش .

٢- جانب عزيز سوريال عطية الصواب ووضع هذه السفارة بأنها سفارة موجهة إلى أراجون وأنها أول سفارة بين أراجون والمماليك .

Atiya : Egypt and Aragon , p. 17-19 .

٣- Alarcon: doc . 146 , p. 344-346 .

٤- محمد عبدالله عنان : العلائق الدبلوماسية (مصر الإسلامية) ص١٧٣ .

٥- «غير أن الذى نوضحه لعلمه أنه كان من مدة متقدمة وصل إلينا شخص يقال له برناركارد الكتيلانى ذكر أنه رسول من جهة الملك ألفونش حضر بكلام قال أنه كلام ألفونش وكشفنا عن أمر المذكور فظهر أنه تاجر معروف من برجلونة من مملكة الملك فأكرمناه وأحسنا إليه وبقى فى خاطرنا أن يحقق أنه من جهة ألفونش وأن الكلام الذى معه كلام ألفونش لأن الملوك إذا سير رسولا ما يصل من جهتهم إلا من هو عزيز عندهم ومن غلمانهم ويختص بهم ومن يمشى فى الرسلية بين الملوك» Alarcon : doc ., 147 , p. 350 .

١٣٠٣ بارسال فخر الدين ليتأكد من هوية السفير ويشرح لملك أراجون السبب فى ذلك ما تعرض له من خدعة السفير القشتالى المزعوم وأشار إلى ذلك قائلا :

« لما وقع هذا الأمر سيرنا نحن إلى ملك الفونش رسلا من عندنا من غلماننا ... فخر الدين عثمان الناصرى ... رسولنا المذكور ووصل إلى عند الملك فى برجلونة واجتمع به وسأله عن برنار دى كارد فظهر أنه لم تكن لرسليه المذكور عن الفونش صحة وأن الملك أحضر المذكور وأنكر عليه وأدبه على ما أقدم عليه وشكر الأمير فخر الدين رسولنا ووصف من محبته لنا وشفقته ما تضاعفت به منزلته عندنا ومحبته لدينا »[١]

وقد توقفت العلاقات بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك على الأوضاع الداخلية فى كل من المملكتين ، فخلال اضطراب الأوضاع الداخلية فى قشتالة فإن علاقاتها بسلطنة المماليك أصابها الجمود وكانت مملكة أراجون تتولى رعاية وحماية مصالح رعايا قشتالة فى الشرق والاهتمام بشئونهم ويتضح ذلك مما ورد فى الخطاب الذى حملته السفارة الثانية عام ١٣٠٥م حيث يتوسط خايم الثانى عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون ويقول بأنه نتيجة لتوسلات الملك فرديناند الرابع فإنه يطلب إطلاق حرية أسرى موجودين لدى السلطان وهم تابعون لملك قشتالة وأسماؤهم خوان بيريث Juan Perez وفاسكو بيريث فاخاردوا Vasco Perez وألفونسو بيريث Alfonso Perez [٢]، ورفض السلطان الناصر محمد إطلاق سراحهم وأنه قد بلغ رسول خايم الثانى بما منعه من إطلاق سراحهم[٣] ، ويبدو أنهم قد أتوا أفعالا تضر بالدولة المملوكية ، أو طمعا فى فدية كبيرة لهم، مما دفع السلطان الناصر محمد إلى رفض رجاء ملك أراجون ما يخص هذا الموضوع .

يدل هذا على أن قشتالة كانت لها جالية تجارية فى مصر والشام وأنهم اشتركوا فى الحروب الصليبية ضد المماليك بصورة فردية بدليل وجود هؤلاء الأسرى القشتاليين لدى السلطان .

١- Alarcon : doc . 147 , p. 350-351 .

٢- Masia : doc 28 , p. 293 .

٣- Alarcon : doc 148 , p. 355 .

يشير العمرى إلى مقابلته مع رسول ملك قشتالة :

> «حدثنى رسول الادفونش بتعريف ترجمان موثوق به من أهل العدالة يسمى صلاح الدين الترجمان الناصرى أن الادفونش من ولد هرقل المفتتح منه الشام وأن الكتاب الشريف النبوى الوارد على هرقل متوارث عندهم محفوظ مصون»[١]

معنى ذلك أنه العمرى تقابل مع رسول (الادفونش) ألفونسو الحادى عشر (١٣١٢-١٣٥٠م) وتحادث معه [٢]، وكان ذلك بين عام ٧٣٣هـ (سبتمبر سنة ١٣٣٢م وسبتمبر سنة ١٣٣٣م) وهو تاريخ انتقال أبيه إلى القاهرة من دمشق للقيام بعمله رئيسا لديوان الإنشاء المملوكى ، وعام ٧٤٠هـ (يوليو سنة ١٣٣٩- يونيو ١٣٤٠م[٣]) السنة التى سجن فيها العمرى فى القلعة بالقاهرة [٤].

فخلال ثمانى السنوات تقريبا كان تاريخ إرسال المبعوث القشتالى إلى سلطنة المماليك ومقابلته مع العمرى [٥]، ولانستبعد هذه السفارة خاصة وأن مملكة قشتالة قد عادت إلى قوتها ووحدتها فى عهد الفونسو الحادى عشر [٦].

١- العمرى : التعريف ، ص٦٢ .

٢- كان والد العمرى وشقيقه قد شغلا عصر السلطان الناصر محمد بعض المناصب الإدارية الهامة فى الدولة المملوكيّة إذ تذكر المصادر التاريخية أن والده كان كاتبا للسر فى الدولة المملوكية كما شغل مؤرخنا هذا نفس الوظيفة بالشام كما عهد إليه وإلى شقيقه بقراءة رسائل السلطان الناصر محمد . أحمد عبد الرازق : دراسات فى المصادر المملوكية ، ص٤٨ .

٣- Montavez : Relacions Castellan Mameluços , p. 17-18 .

٤- بيد أن العمرى كان رجلا عنيفا مكابرا الأمر الذى جر عليه مصائب عديدة منها غضب السلطان عليه الأمر الذى أدى إلى اعتقاله ومصادرته بل إلى قطع يده والزج به فى السجن . أحمد عبد الرازق : نفس المرجع ، ص٤٨ .

٥- Montavez : Rela .. Cast ... Mam .. p. 18 .

٦- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص١٢٩-١٣٠ .

مما سبق يتضح أن علاقة مملكة قشتالة بسلطنة المماليك لاترقى إلى العلاقات بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك، فمملكة قشتالة كانت أقل احتكاكا بالعالم الخارجى من أراجون كما أن الأحداث السياسية التى مرت بها بعد عهد ألفونسو العاشر كانت من أهم الأسباب التى أدت إلى قطع العلاقات الرسمية مع سلطنة المماليك. وعلى الرغم من ذلك فإن المصادر الإسلامية اهتمت بأخبار مملكة قشتالة ، وهناك إشارات عديدة لها فى تلك المصادر .

كان عهد الفونسو العاشر هو العهد الذى نمت فيه تكثيف العلاقات الخارجية وظهرت فيه العلاقات القشتالية المملوكية ويرجع ذلك إلى اهتمام قشتالة بإيجاد دور لها فى التجارة بين الشرق والغرب بالإضافة إلى أن شخصية الفونسو العاشر أسهمت بحكم تكوينها الثقافى العربى مما جعله يميل إلى العرب سواء فى الشرق أو فى المغرب الأقصى .

وهكذا كانت العلاقات السياسية بين قشتالة وسلطنة المماليك خلال هذه الفترة مرتبطة بالأوضاع الداخلية ورغم اضطرابها فى مملكة قشتالة إلا أن ملوكها لم يغفلوا الجانب التجارى فى هذه العلاقات نظرا لحاجة قشتالة إلى تجارة الشرق .

الفصل الخامس

العلاقات التجارية بين مملكتى
قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك

١- ظهور أراجون كقوة تجارية فى البحر المتوسط وأثاره على علاقتها بسلطنة المماليك.

٢- العلاقات التجارية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك.

٣- العلاقات التجارية بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك.

ظهور أراجون كقوة تجارية فى البحر المتوسط وآثاره على علاقتها بسلطنة المماليك

كانت طبيعة الممالك الأسبانية فى شمال شبه الجزيرة الايبيرية لاتساعدها على وجود تجارة خارجية واسعة . حقيقة أنه فى حركة الاسترداد نحو الجنوب زاد الملوك المسيحيون مواردهم باحتلال الأراضى الواسعة التى يسكنها المزارعون المسلمون ، لكن ذلك لم يساعدها أيضا على رواج التجارة الخارجية ، فقد ظلت أسبانيا المسيحية خمسة قرون محصورة فى دائرة الإسلام الاقتصادية[1] خاصة وأنه من القرن الثامن الميلادى إلى القرن الحادى عشر كان البحر المتوسط تحت سيطرة المسلمين [2]، ولم يكن للممالك الأسبانية فيه أي وجود .

بدأت الممالك الأسبانية تطورها الاقتصادى ابتداء من القرن الحادى عشر مرتبطا بالتطور الاقتصادى فى أوربا فى بداية هذا القرن، وساعد على ذلك سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس والذى أتاح الفرصة للممالك الأسبانية لكى تنتعش بجانب أن ارتباطها بجنوب فرنسا جعل الامدادات الكثيرة من الرجال والعتاد تجئ إليها ، إلى جانب التجار الفرنسيون والمزارعون الذين استقروا بأعداد ضخمة فى كتالونيا أثناء القرن الحادى عشر والثانى عشر الميلادى [3].

١- ترند : أسبانيا والبرتغال : تراث الإسلام ، ج١ ، ص٥-٦ .

٢- Jackson : op. cit . p. 117 .

٣- Ibid ., p. 118 .

فقد كانت كتالونيا امتدادا فرنسيا يطلق عليه العرب والأسبان «الفرنجة»[١] وكانت البحرية الكتالونية قد نشطت وأخذت فى النمو مع بداية من هذا القرن[٢].

بجانب أن منطقة كتالونيا تتمتع بموقع جغرافى ممتاز وتمتعها بمزايا تجارية عديدة فهى تمتلك ثروات عديدة وترتبط فى تجارتها بيزا وجنوة البحريتين وبولايات الرون بأوثق الصلات وسفنها تحمل المحاصيل والمصنوعات الأسبانية وفواكه الجنوب والحرير والصوف والأقمشة والجلد إلى إيطاليا واليونان ثم إلى مصر وسوريا وكانت أسواقها عادة تعقد أيام الأعياد الكنسية وتستمر أسابيع عديدة ، وزسواقها من أشهر أسواق أوربا وأروجها ، نظرا لتنوع أصنافها وجودة بضائعها [٣].

كان لاتحاد كتالونيا وأراجون سنة ١١٣٧م أثر كبير على التجارة الأراجونية فسياسة التوسع لم يكن من الممكن تنفيذها ، فالتجارة ليست نشاطا اقتصاديا بحتا ، لكن التجار يحتاجون إلى نفوذ سياسى وعسكرى يحمى تجارتهم ويحميهم خارج بلادهم ؛ وازداد ذلك عند توحيد القوى الأراجونية الكتالونية [٤]، وأصبحت مملكة أراجون لها منفذ على البحر المتوسط فى مدينة برشلونة والتى أثرت ثراء كبيرا بسبب النشاط الزراعى والتجارى، وكانت لها أسطولا صغيرا فى بادئ الأمر مخصص للتجارة فى القرن الثالث عشر الميلادى، ورغم إصابة هذا الأسطول بالضرر على يد المجاهدين البحريين من المسلمين وخاصة من المرية وجزر البليار وطرطوس [٥]، لكن كان النواة التى استمرت حتى وصلت إلى مكانة عظيمة فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى .

والواقع أن مدينة برشلونة أخذت على عاتقها تطهير ما حولها من المجاهدين البحريين. فبدأت فى عام ١١٤٧-١١٤٨م بالاتفاق مع الجنويين فى شن نوع من الحروب الصليبية ،

١- ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص١٨٤ .

كاسترو : حضارة الإسلام فى أسبانيا ، ص٧٦ .

٢- Payne : op. cit ., V . 1 , p. 102 .

٣- يوسف أشباخ : نفس المرجع ، ص١٣٨ .

٤- Martin : la Peninsula, p. 544 .

٥- Ibid .

فاتجهت قواتهم المشتركة أولا صوب المرية واستولت عليها ثم إلى طرطوشة التى لقيت المصير ذاته وكان هذا كسبا ارتاحت له برشلونة [١].

شهدت برشلونة ازدهارا فى أوائل القرن الثالث عشر مقترنة بالثورة التجارية فى أوربا وحصول هذه المدن الأوربية على امتيازات عديدة من الملوك أتاحت لهم حرية الحركة والتجارة[٢].

بدأ العصر الذهبى للتجارة الأراجونية فى عهد خايم الثانى (١٢١٣-١٢٧٦م) الذى اهتم بها وأوصلها إلى مدى بعيد وأصبحت برشلونة فى عهده تظهر كواحدة من أهم المراكز التجارية فى عالم البحر المتوسط[٣] ، والتجار البرشلونيون أصبحوا يشكلون واحدة من ثلاث مجموعات كبيرة للتجار فى وسط البحر المتوسط وغرب أوربا للتجارة [٤].

وقد اتخذ خايم الأول عدة اجراءات للوصول ببرشلونة إلى هذه المكانة فبدأ بالاستيلاء على جزر البليار (١٢٢٩-١٢٣٥م) وكان هذا الفتح الجديد خطوة هامة لتقدم تجارة الكتيلان[٥] ، فقد أنهت الهجمات الإسلامية وفتحت المجال أمام الأسطول التجارى الأراجونى لكى يخرج إلى البحر المتوسط دون خوف وحولت مدينة برشلونة اهتماماتها التجارية من جنوب فرنسا إلى شمال أفريقيا [٦]، فأصبحت برشلونة تتاجر مع شمال أفريقيا بسهولة قبل عام ١٢٢٩م ، لكن هذه التجارة أصبحت الآن أكثر سهولة بعد إزالة عقبة جزر البليار [٧].

١- هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ج١ ، ص٣٣١ .

Martin : La Peninsula, p. 544 .

٢- Jochson , op. cit ., p. 117 .

عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص١٥٩ .

٣- Martin : La Peninsula , p. 439 .

٤- Payne : op. cit ., p. 102 .

٥- Hillgarth : The Sapnish V, I , p. 246 .

٦- Jackson , op. cit ., p. 118 .

٧- Hillgarth : los Reinos , p. 287 .

كان خايم الأول يسعى إلى تشجيع التجارة وضمان تقدمها ، فإنه فى سنة ١٢٢٧م حرم أن تحمل منتجات إلى القسطنطينية وسوريا والأسكندرية وسبته سفن أجنبية بينما توجد سفن من برشلونة مستعدة للقيام بهذه المهمة [١]، وسك عملات من الذهب من النوع المشابهة للعملة الإسلامية لتسهيل التبادل التجارى [٢]، ولتسهيل العملية التجارية أيضا فإنه أعطى لبلدية برشلونة حق ترشيح واختيار القناصلة وفى الوقت نفسه منح الامتيازات العديدة لهذه المدينة فى أعوام ١٢٤٣ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ [٣]، مع عقد المعاهدات التجارية مع دول شمال أفريقيا[٤]، وفى الوقت نفسه فإن برشلونة بدأت فى حماية مصالح تجارها مباشرة ، وأكدت امتيازاتها فى جنوب فرنسا وبلنسية وأشبيلية وصقلية وسردينيا ونابولى وتونس وتلمسان والمغرب والقسطنطينية وقبرص ومصر [٥].

اهتم خايم الأول بالمصلحة التجارية الأراجونية وكان يطيب له أن يرى التجار الأجانب يشترون حاجاتهم من برشلونة ويصدرون منها منتجاتها ، لكنه لم يصرح لهم بأن يبيعوا بالتجزئة البضائع التى استوردها من الخارج ، ولم يكن يطيق أن يرى فى برشلونة منشآت يقيمها أجانب ، ففى عام ١٢٦٥م بالغ فى هذا الشعور فأمر بطرد التجار اللومبارديين والفلورنسيين والسبينليين (من سبينا) واللوكيين (لوكا) وحظر عليهم الاقامة مستقبلا فى المدينة لمزاولة التجارة بها[٦]، وكان يرى أن تبقى تجارة برشلونة كلها فى أيدى التجار الوطنيين وأن وامتدت مؤنته من الصناعة الوطنية ولايستخدم سوى وسائل المواصلات الوطنية[٧] وامتدت اهتماماته بالمصلحة التجارية الأراجونية فى الدول الأخرى حتى أنه طلب من البابا

١- Martin : La Peninsula, p. 439 .

هايد : تاريخ التجارة ، ج١ ، ص٣٣٢ .

٢- Martin La Peninsula, p. 544 .

٣- Hillgarth : The Spanish, p. 246 .

٤- Abadia : op. cit ., p. 41-42 .

٥- Hillgarth : Los Reinos , p. 320 .

٦- هايد : نفس المرجع ، ج١ ، ص٣٣٢ .

٧- نفس المرجع والجزء والصفحة .

انوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤م) أن يستثنى من حربه الصليبية ضد الإسلام مملكة تونس والتى كان يمثل فيها التجار الكتالونيين وكذلك الميليشيات العسكرية والمبشرين بأعداد كثيرة[1].

وفى عام ١٢٥٨ طبق تنظيمات ريبيرا Ordenanzas de la Ribera فى برشلونة والتى تكون تشريعات قانونية حقيقية للنقل البحرى وفيه تحددت مسئوليات أصحاب السفن والبحارة فيما يتعلق بالبضائع التى ينقلونها ، واشترط حضور كاتب فى كل سفينة ونظم التضامن بين سفن برشلونة فى لحظات الخطر وحدد السلاح الذى يجب أن تحمله كل سفينة وأقصى الحمولات التى يمكن تنقلها وواجبات الشاحنين [2].

فقد كانت برشلونة تمتلك كل ما يلزم لتحقيق هذا الغرض وفيها طبقة من التجار الأذكياء والصناع المهرة والبحارة البواسل [3]، ووصلت برشلونة إلى درجة أنها أصبحت واحدة من المدن الرئيسية فى البحر المتوسط ونافست جنوة وفلورنسا فى حجم تجارتها والتى معتمدة فى ذلك على أسطول تجارى كبير [4].

اعتمدت أراجون على كثير من السلع التجارية التى تتبادلها مع شمال أفريقيا ، على الرغم من أن التجارة الداخلية كانت تقف فى سبيلها صعاب النقل واختلاف الموازين والمقاييس والنقد ، غير أن التجارة الخارجية تمت فى موانى برشلونة وطركونة وبلنسية ، وكان تجار كتالونيا يجوبون جميع الأقطار [5].

وكانت تعتمد فى تجارتها الخارجية على تجارة أفريقيا وتجارة التوابل من الشرق، فكانت تتاجر مع شمال أفريقيا فى الذهب والعبيد الذى يجلب من تبمكتو Tombuctu حتى البحر

١- Martin : La Peninsula , p. 440 .

٢- Prieto : op. cit ., PL 49-50 .
Martin : La Peninsula , p. 432 .

٣- هايد : نفس المرجع ، ج١ ، ص٣٣٢ .

٤- Jackson : op. cit ., p. 119 .

٥- ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٧ .

المتوسط (سبتـه وتونس وطرابلس) عن طريق القوافل التى كان يوجد فى نهايتها تجار كتالونيين يشترون فى شمال أفريقيا عبيدا سودا [١]. وقد اتجه تجار كتالونيا مع سنة ١٢٤٠م إلى الاتجار فى شراء العبيد من شمال أفريقيا ليبيعهم فى إيطاليا وفى نفس بلدهم حيث يوجد سوق للعبيد فى برشلونة[٢]. وأيضا بضائع أخرى مثل العاج وريش النعام والشمع والتمر[٣]، وكانوا يتبادلون النسيج [٤]، والمرجان بالقمح الصقلى والفضة من سردينيا [٥].

أما عن صناعة السفن كانت على أساس أربعة أطنان وثلاثين قدم طول السفينة وحمولتها من عشرين لخمسين طن للتبادل بين برشلونة وبلنسية وميورقة والسفن بين ١٠٠ إلى ٩٠٠ طن للتجارة مع شمال أفريقيا والشرق القريب [٦].

وكانت السفن تتجمع وتتحد فى الإبحار والتجديف وتصنع من الخشب وملونة بلون لامع غالبا بشرائط من اللون الأحمر والذهبى وكانت من الألوان القديمة فى كونتية برشلونة وهم يحملون كل ما يحتاجونه من المصنوعات المتوفرة من حبال الإبحار والمراسى وتكون سرعتها فى السفر كحد أقصى للسرعة من ١٢ إلى ١٣ عقدة فى الساعة [٧].

١- Martin : La Peninsula , p. 545 .

وهناك إشارة واضحة من ابن بطوطة بأنه قد انتقل من تونس إلى جزيرة سردانية من جزر الروم على سفن الكتالونيين مما يدل على تردد السفن الكتالونين على بلاد شمال أفريقيا للتجارة فى ما ذكره .

ابن بطوطة ، رحلته ، بيروت ١٩٨١ ، ص٧٥٦ .

٢- Hillgarth : Los Reino , p. 108 .

٣- Martin : La Peninsula , p. 545 .

٤- كان عدم استواء أرض أسبانيا وجفاف هضبتها وما كان يحل بها من الدمار حينا بعد حين بسبب الحروب، كل هذا قد عطل الزراعة ، وجعل أسبانيا فى معظم أجزائها مراعى للماشية والضان وكانت قطعان الضأن الجميلة الصوف تغذى آلاف الأنوال فى البلدان ولقد حافظت أسبانيا على شهرتها العالمية القديمة بجمال أصوافها . ديورانت : قصة الحضارة، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٧ .

٥- Jackson , op. cit ., p. 122 .

٦- Ibid., p. 120 .

٧- Ibid ., p. 121 .

اهتمت أراجون بالمؤسسات التجارية وقامت بتنظيمها ، خاصة القناصل والجاليات الأراجونية فى البلدان الأخرى ، فالقنصل قد تنازل الملوك عن حق تعيينهم بشكل فعلى فيما عدا قناصل ما وراء البحار ، فقد احتفظ الملوك بها مع بعض التجاوزات[١] ، وكان يختار من بين كبار التجار ويقوم بالإشراف على كل ما يخص رعايا أراجون فى المنطقة الموجود بها ، وكان قد اكتسب وظيفتين هامتين الأولى : كهيئة تشريعية للتجارة والثانى أنه كان بمثابة المحكمة التى تفض النزاعات التى تنشأ بين التجار وربابنة السفن فى كل الشئون التجارية فى المدينة [٢].

كان قناصل ما وراء البحار لهم أهمية خاصة فقد تعددت اختصاصاتهم فى الجانب التجارى بل شملت أمور الحياة التشريعية ، فقفزت من الجانب التجارى لتصل إلى ما هو مدنى وجنائى، وانتفعوا بكل ضرائب المملكة ، ومنح حق الامتياز لتعيين هؤلاء القناصل إلى مدينة برشلونة والتى منحها خايم الأول فى عام ١٢٦٦م [٣].

وكان هذا القنصل بالنسبة للمسلمين هو ممثل الملك أو للجمهورية التابع لها ، وفى الحالات المتأزمة عندما لايسمح الوقت بإرسال سفارات رفيعة المستوى كان القناصل هم الذين يفاوضون وكان قناصل الدول الأخرى يؤخذون كشهود وضمان للوعود والالتزامات بهذه الأعمال [٤].

من المؤسسات الأراجونية التى على جانب كبير من الأهمية الفندق (الخانة) El Fondaco وكان هذا الفندق ضروريا للحياة التجارية فى المدينة، فهو عبارة عن استراحة للتجار وكذلك مخزن للبضائع ،و فى داخله توجد كنيسة ومقهى وفرن ومقبرة وحمامات ومحلات[٥] ، وكان كل فندق يدار بواسطة القنصل [٦].

١- Gimenez : El comercio Tierra de Infieles, p. 183-4 .

٢- Jackson : op. cit ., p. 122 .

٣- Gimenez : op. cit ., p. 181-182 .

٤- Ibid , p. 180 .

٥- Ibid , p. 171-172 .

٦- Jackson : op. cit ., p. 121 .

وكان التجار يدفعون نظير الانتفاع ببعض الحقوق للقنصل راتب له ، وكان هو السلطة الوحيدة والعليا فى هذه الحانة ، وكان مسئولا عن تطبيق القانون أو إلغائه بالنسبة للمخالفين الذين كانوا يرتكبون أخطاءهم داخل الفندق (الحانة) (١).

والحقيقة أن التجارة الأراجونية أخذت تزدهر إلى حد كبير فى القرن الثالث عشر الميلادى تمهيدا لسيطرتها على النصف الغربى من البحر المتوسط فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر خاصة وأن أراجون فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر كانت تمتلك أقوى أسطول فى البحر المتوسط .

العلاقات التجارية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك

أ- العلاقات التجارية بين أراجون والمماليك قبل معاهدة «أناجنى» سنة ١٢٩٥م

ترجع العلاقات التجارية بين مصر وأسبانيا إلى عهد الإمبراطورية الرومانية حيث كانتا ولايتان تابعتان لها ، وكانت مصر مخزن الغلال بالنسبة لأوربا ، وقمحها تعتمد عليه الإمبراطورية الرومانية ، فقد وصل وضع مصر الاقتصادى إلى أن الثروة الزراعية فيها ظلت مضرب الأمثال منذ القدم ، ويتضح أهميتها فى أن الحاكم الرومانى فى الأسكندرية كانت مهمته الأولى هى الإشراف على جمع الحبوب وتصديرها إلى الإمبراطورية الرومانية (٢).

وأصبحت لمصر تجارة واسعة فى البحر المتوسط واقلعت منها السفن محملة بالحبوب وفاخر الصناعات إلى إيطاليا لتبادل على ذلك بالخشب ، وتردد تجارها على أسبانيا وغيرها (٣).

ونشط الاتصال التجارى بين أسبانيا ومصر إلى عهد القوط الغربيين فقد نشطت موانى أسبانيا فى تجارتها فى أواخر عهدهم مع مصر(٤).

كانت الممالك الأسبانية التى نشأت فى شمال الأندلس ، بدأن بقوى بشرية واقتصادية ضعيفة جدا ، ثم أخذت تنمو ، ولم تظهر لها معالم واضحة إلا بعد سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس فى سنة ١٠٣١ م ، ومنذ القرن الحادى عشر بدأت حركة الاسترداد تأخذ أعنف صورها فى عهد ملوك الطوائف ، وهنا أصبحت هذه الممالك لها ثقلها السياسى والاقتصادى.

١- Gimenez : op. cit ., p. 172 .

٢- أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية ، ص١٣-١٤ .

٣- نفس المرجع ، ص٦٥-٦٦ .

٤- نفس المرجع ، ص١٣١ .

ففى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى بدأت الحروب الصليبية فى الشرق وصاحبها ازدياد النشاط التجارى بين الغرب والشرق مما أدى بدوره إلى انتعاش كثير من المدن الأوربية التى أسهمت فى ذلك النشاط ، وكان من بينها مدينة برشلونة [١]، المرتبطة سياسيا بجنوب فرنسا بادئ الأمر [٢].

فبرشلونة لم تتوان فى اتباع خطوات البندقية وبيزا، وجنوة ففى القرن الثانى عشر الميلادى، أبحر الكتيلان مع الإيطاليين والبرفنساليين إلى موانى مصر والشام [٣]، وكان هذا أول اتصال التجار الكتيلان مع الشرق للاتجار فى التوابل[٤] .

حقيقة أن أسبانيا كان لها دور بسيط فى تلك التجارة (بين الشرق والغرب) وجاليتها التجارية فى سوريا قد حصلت على امتيازات من حكام مملكة بيت المقدس من ضمن الجاليات الإيطالية والفرنسية [٥]، واشتركت هذه الجالية التجارية الأراجونية فى أحداث الشرق، فقد اشتركت فى الدفاع عن مدينة صور ضد صلاح الدين الأيوبى فى سنة ١١٨٧ م [٦]، حتى أصبح لها دور ملموس فيما بعد .

بدأت أراجون اتصالاتها التجارية مع مصر أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ويثبت ذلك تلك الإجراءات التى اتخذها خايم الأول ، لتساعده على تثبيت قدم أراجون فى تجارة الشرق ، ففى سنة ١٢٢٢ عقد اتفاقية مع التجار الأراجونيين لجلب ما تحتاجه أراجون من التوابل العامة من مصر وسوريا إلى جانب سلع أخرى كالمنسوجات والدواب والزيت والعسل والحديد والرصاص والورق والكبريت [٧]، وفى سنة ١٢٢٧م حظر خايم الأول شحن

١- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١٢١٢ .

٢- كاسترو : نفس المرجع ، ص٧٦ .

٣- Pirenne : op. cit ., p. 207-208 .

يوسف أشباخ : نفس المرجع ، ص١٣٨ .

٤- Hillgarth : Los Reinos , p. 289 .

٥- جوزيف نسيم : تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ص٢٦٩ .

٦- هايد : نفس المرجع ، ج١ ، ص٣٣٢ .

Hillgarth : The Spanish , V . I , p. 246 .

٧- Ibid .

السفن الأجنبية ببضائع إلى سوريا أو مصر (الأسكندرية) طالما وجدت فى الميناء سفن وطنية مستعدة للقيام بهذا العمل [١].

والواقع أن أهمية مصر التجارية ، نشأت بسبب موقعها فى نهاية إحدى الطرق البحرية التى تصل الشرق بالغرب، وهذا الطريق كان من أحسن الطرق المفضلة للتجار الأوربين فهو أقل تكلفة وأكثر اقتصادا من الطريق البرى[٢]، مما دفع بأراجون إلى العمل على إنشاء مركز أساسى لها فى الأسكندرية لتثبيت نفسها على طريق التوابل كوحدة أسياسية تستند عليها تجارة برشلونة الرئيسية[٣] وأصبح من المعتاد أن يشاهد فى شوارع الأسكندرية من بين الجاليات التجارية جالية كتالونيا [٤]، وتشير المراجع الحديثة[٥] إلى أنه عقدت معاهدة تجارية بين أراجون ومصر فى عام ١٢٥٠م .

وقد نالت مصر اهتماما خاصا من جانب خايم الأول ، فقد اهتم بالقناصل الذين يعينون فى مصر ، واهتم بتعيينهم بنفسه ، إلا أنه فى عام ١٢٦٦ م منح هذا الامتياز إلى بلدية برشلونة[٦]، وكان وجود القناصل الأراجونيين فى مصر وقبل هذا التاريخ بفترة على الرغم من أن انطونيون دى كامبانى قد أشار إلى ذلك «أنه من الموثوق فيه منذ سنة ١٢٧٢ م كان للكتالونيين قنصل خاص فى الأسكندرية »[٧].

١- هايد : نفس المرجع ، ج١ ، ص٣٣٢ .

Martin : La Peninsula , p. 439 .

٢- Masia : la corona de Aragon , p. 35 .

٣- Hillgarth : The Spanish , p. 269-270 .

٤- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٣٤٠ .

٥- Masia:La corona de Aragon , p. 82 .

٦- Gimenes : El comercio , p. 182 .

٧- Prieto : op. cit , p. 61 .

Hillgarth : The Sapnish , V . I , p. 273-274 .

وفى السنة نفسها (١٢٦٦) أعاد الاهتمام بتطبيق تنظيمات ريبيرا Ordenanzas de la Ribera التى صدرت فى سنة ١٢٥٨ والتركيز هذه المرة على تنظيم القناصل الكتالونيين فى سوريا ومصر ، وتحديد مسئولياتهم وامتدادها على كل الرعايا الذين يذهبون لهذه المناطق كذلك من يثبت فيها اقامته (١).

فالحركة بين ميناء برشلونة وسوريا ومصر قد نشطت وكان ميناء برشلونة يأوى على الدوام سفنا قادمة من سوريا ومصر، لكن الشئ الذى لم يشاهد حتى بداية القرن الثالث هو الحركة العكسية ، أى حركة انطلاق تجار برشلونة يجوبون العالم دون مساعدة أجنبية (٢).

أما عن السلع المتبادلة بين برشلونة وسلطنة المماليك ، فالبنسبة لبرشلونة كانت تستورد من مصر التوابل والعقاقير ، وكانت تجارة مصر الأولى مع أوربا عامة ، واعتمدت عليها برشلونة فى حركتها التجارية مع الشرق واعتمدت عليها سلطنة المماليك فى تنمية موارد الدولة (٤)، بالإضافة إلى أن برشلونة كانت تستورد من مصر مواد الدباغة والصناعة والسكر والدهون والصمغ والقطن والمنسوجات الكتانية والحرير والشب المصرى والنطرون والعطور والعقاقير ووصل التجار الأراجونيين إلى جنوب السودان لتحصل على الذهب(٦) ، والذى سك منه العملة الكتالونية(٧) .

١- Martin : La Peninsula , p. 440 .

٢- هايد : نفس المرجع ، ص٣٣٢ .

٣- Payne : op. cit ., p. 109 .

٤- عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية ، ص٥١٨ .

٥- نفس المرجع والصفحة .

٦- يذكر القزوينى عن بلاد السودان بأنها بلاد التبر «هذه البلاد حرها شديد جدا أهلها بالنهار يكونوا فى السراديب تحت الأرض ، والذهب ينبت فى رمل هذه البلاد كما ينبت الجزر فى أرضنا وأهلها يخرجون عند بزوغ الشمس ويقطفون الذهب »

القزوينى : آثار البلاد ، ص١٨ .

٧- المراكشى : المعجب ، ص٤٤٩ .

Jackson : op. cit ., p. 124 .

أما عن السلع التى تستوردها مصر فكانت الرقيق وخاصة الرقيق الأبيض[١]- لاعتماد سلطنة المماليك على هذه التجارة فى تنمية حكمها وسلطتها - حيث أن تجارة الرقيق اعتمدت عليها التجارة الأراجونية وأصبح لها فى برشلونة سوق رائج [٢]، والخشب والمنسوجات من الفرو والحديد والقصدير والزئبق والنحاس[٣] والزيت والصابون والقطران وجلود الحيوان والمرجان والشمع والزعفران[٤]، وقد ألقت الحفائر الحديثة الضوء على أن مصر قد استوردت كثيرا من الخزف الأسبانى فى العصور الوسطى [٥].

اهتمت سلطنة المماليك بالتجارة الخارجية وأصبحت الرسوم التى تجبى على هذه التجارة تمثل دخلا كبيرا للدولة [٦]، واهتم كل من بيبرس والمنصور قلاوون بعقد المعاهدات التجارية مع الدول الأوربية لضمان استيراد ما تحتاجه مصر من الرقيق والحديد والأسلحة والرصاص .. الخ[٧]، ونتيجة لأهمية هذه السلع لمصر فإنها فرقت بين الدين والتجارة وقدموا كافة التسهيلات للتجار الغربيين فى الوقت الذى كانوا يحاربون الصليبيين ومن خلفهم الغرب الأوربى [٨].

١- Martin : La Peninsula , p. 545 .

Hillgarth : LOs Reinos , p. 108 .

٢- Payne : op. cit . p. 102 .

٣- المراكشى : المعجب ، ص٤٤٨-٤٤٩ / القزوينى : آثار البلاد ، ص٥٠٢ / الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١ / الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس ، ص١٨٨ .

٤- «الزعفران ينبت فى أرض بلنسية » القزوينى : آثار البلاد ، ص٥٣ .

«وينبت أيضا فى جيان» أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص١٧٧ .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية ، ص٥١٧ .

Jackson : op. cit ., p. 123-124 .

٥- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٣١٤ .

٦- جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الأسكندرية ، ص١٠٥ .

٧- محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ، ص١٥١ .

٨- سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٢٨٨ .

أما عن التجارة الأراجونية فقد وصلت فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى إلى أن الأراجونيين أصبحوا الوسطاء الأوربيين الرئيسيين فى موانى الشمال الغربى لأفريقيا مع غرب أوربا ، أما فى الشرق فقد احتلوا المرتبة الثانية بعد البندقية [١].

أما عن المراسيم البابوية التى كانت تحرم التجارة مع المماليك وموقف أراجون من هذا التحريم ؟ فتحريم التعامل التجارى مع مصر كان فى الواقع يرجع إلى استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس سنة ١١٨٧م وفشل الحملة الصليبية الثالثة فى استعادتها ، مما وجه أنظار البابوية والممالك الأوربية إلى ضرورة الاستيلاء على مصر وهى القلعة الحصينة المدافعة عن الإسلام فى تلك المنطقة وأن وجود الصليبيين بالشام لن يتحقق إلا بذلك ، واتجهت الحملات بعد الحملة الصليبية الرابعة إلى مصر ، لذلك فإنه بعد ضياع بيت المقدس وبالتحديد بعد انتهاء الحملة الصليبية الثالثة بالفشل ، أعلن البابا كلستين الثالث فى سنة ١١٩٥م عقوبة الحرمان الكنسى لكل من يقوم بتموين أو إمداد المسلمين بالحديد أو الخشب والأسلحة ومواد بناء السفن» [٢].

وعلى الرغم من ذلك ضربت الجمهوريات الإيطالية والمدن التجارية عرض الحائط بذلك الأمر وأصبح هذا التحريم نظريا فقط واستمر ذلك حتى أصدر البابا جريجورى العاشر (١٢٧١-١٢٧٦م) لأهالى مونبيليه أمر بمنع التجارة مع المسلمين [٣]، وتعميم هذا التحريم على ملوك أوربا ، مما دفع خايم الأول إلى إرسال خطاب إلى قضاة برشلونة ومندوبيها للوصاية بتنفيذ توجيهات البابوية المتعلقة بمنع المتاجرة مع المسلمين [٤]، ويوضح فى مرسومه بأنه هذه تعليمات البابوية ، وكان هذا إرضاء للبابوية شكليا إذ أن خايم الأول الذى كان يسعى إلى نهضة تجارة أراجون والتوسع التجارى وإيجاد دور لها فى التجارة بين الشرق والغرب لايضحى بكل ذلك .

١- Payne : Op. cit ., V I , p. 109 .

٢- Masia : La Corona de Aragon , p. 37 .

٣- محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ، ص١٥٠ .

٤- Masia : doc I , p. 263 .

كان هذا التحريم جزئيا أى يمنع التجارة مع المماليك فى سلع معينة ذات أهمية استراتيجية، وقد أوضح فى مرسومه باختلاف البعض فى تحديد البضائع المحرمة ؟ فاستشار مع الفرنسيسكان والمبشرين والبطاركة واتفقوا على السلع المحرم الاتجار فيها مع المماليك وهى الحديد والمواد الخشبية والرصاص والخيوط أو أى شئ يصنع منه السلاح بجانب القمح والذرة وأى نوع من أنواع الدقيق[١]، وكان هذا التحريم على كل أملاك سلطنة المماليك .

كان هذا المرسوم واضحا ودقيقا حتى أنه سمح للتجار بأن يحملوا المواد الغذائية الضرورية للملاحين والتجار المسافرين على السفينة وأن ينفذوا ذلك بمعرفة شخصين يختارا لهذه المهمة وأيضا سمح لهم بحمل ما يلزم لسير العمل فى السفن من خشب وآلات وسلاح للدفاع الذاتى وأن أى شئ لابد من الحصول على تصريح خاص قبل الحصول عليه [٢].

لم يدخل هذا التحريم بالنسبة لأراجون مدخل التنفيذ بل على العكس استمرت التجارة وأيضا فى البضائع المحرمة الاتجار فيها ، فإن مصلحة أراجون مثل الجمهوريات الايطالية يتضائل أمام مصلحتها التجارية أى شئ آخر .

توفى خايم الأول (١٢٧٦م) وتولى عرش أراجون بدرو الثالث الذى سار على سياسة أبيه فى تشيجع التجارة الخارجية ، ورغم أنه أصدر سنة ١٢٨١م قرارا مشابها لمرسوم سنة ١٢٧٤ م فى إجابته على الالتماسات المقدمة من مجلس بلدية برشلونة والتى طلبوا فيها حرية التجارة مع مصر ونتج عن هذا القيام بأى نوع من التبادل التجارى فيما عدا تلك البضائع المحرمة (هى أكدها درو الثالث) التى لم يكن أمامها يملك أى سلطة تشريعية [٤].

ومن أهم أهداف بدرو الثالث فى مناداته بأحقيته فى عرش صقلية[٥] الهدف التجارى، حيث أن مشكلة صقلية كانت تعنى الصراع ضد فرنسا والبابوية ومظهرها الخارجى كان يقول

١- Masia : doc I, p. 263-264 .

٢- Martin : la Peninsula , p. 442 .

٣- Masia : doc I , p. 263-264 .

٤- Masia : La corona de Aragon , p. 82 .

٥- أنظر ازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط .

بإمكانية احتلال أراضى جديدة يمكن فيها الذهاب للشرق فى طلب التجارة ، ويذكر أنطونيو دى كامبانى Antonia de Capmany «بأن الكتالونيين بعد غزو صقلية فكروا فى أن يجعلوا هذه الجزيرة بسبب موقعها الممتاز وأرضها الخصبة كمركز هام للتجارة ودعم رحلاتهم البحرية للشرق» [١]، حيث أن ازدياد التجارة الخارجية لأراجون مرتبط بالتوسع السياسى[٢]، فإلى جانب صقلية كان شمال أفريقاي وجزر البليار ودوقيات أثينا ونيوباتريا[٣]، التى كانت نتيجة للحملة الكتالونية على الشرق البيزنطى وكان الهدف الدائم من التوسع السياسى هو التوسع الاقتصادى لأراجون .

كان التحالف الأراجونى المملوكى (الفونسو الثالث والمنصور قلاوون) فى سنة ١٢٨٩ من أجل هدف سياسى وهو إحداث نوع من توازن القوى فى البحر المتوسط ، فقد كان فى الجانب المضاد البابوية وفرنسا اللتان فرضتا العزلة الدبلوماسية على ألفونسو الثالث نتيجة لاستمراره فى السيطرة على جزيرة صقلية وعدم تركها للبابوية [٤]، حقيقة كان يغلب على هذه المعاهدة الصفة السياسية لكن من أجل الهدف التجارى فكان هذا العداء بسبب سيطرة أراجون على صقلية والتى كانت نتيجة لموقعها الممتاز كحلقة وصل فى الطريق التجارى للشرق .

وتضمنت المعاهدة الكثير من البنود والتى تنظم العلاقات الاقتصادية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك ومن أول هذه الشروط [٥]، الاهتمام بالسفن المملوكية وشمولها برعاية ملك أراجون وتأمين كل ما عليها من بضائع وتجار فى أراضيه أو أراضى معاهديه ، وبالمثل بالنسبة لسفن برشلونة فى أملاك السلطان [٦].

١- Prieto : op. cit., p. 43 .

٢- Martin : La Peninsula, p. 543 .

٣- Ibid .

٤- أنظر ازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط .

٥- تعرضنا لبنود المعاهدة بالتفصيل فى «تحالف ملكى أراجون وصقلية مع السلطان المنصور قلاوون «السياسية والاقتصادية ولكن هنا نتناول بعض من الشروط الخاصة بالبنود التجارية والتى بها إضافات جديدة أو توضيح أكثر .

٦- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١٦٠ .

ويشترط المنصور قلاوون حماية مملكة أراجون للسفن المملوكية من القرصنة البحرية ومعاقبة من يثبت عليه القرصنة ضد هذه السفن [١]، وهذا من مظاهر توطيد الصلات التجارية الطيبة بين الطرفين .

ومن نتيجة هذه الصلات الطيبة أن خطر القراصنة الذى كان يقوم به المسيحيون فى البحر المتوسط حرمه ملوك أراجون منذ بداية عام ١٢٥٠م على أتباعهم وحاولوا منعها عن المسلمين الذين كانت تحميهم معاهدات بين أراجون وحكوماتهم أو صكوك حماية فردية [٢].

نتيجة للمراسيم البابوية التى تحرم التجارة مع سلطنة المماليك وبعد نشر خايم الأول مرسومه فى سنة ١٢٧٤ بتحريم التجارة فى سلع معينة تهم سلطنة المماليك، فإن السلطان المنصور قلاوون يركز على عدم تنفيذ هذا المرسوم وإطلاق يد التجار الأراجونيين فى إحضار الحديد والبياض والخشب وغير ذلك [٣].

أما عن تركيز السلطان قلاوون على خضوع تجار أراجون إذا كان بينهم وبين التجار المسلمين تعامل إلى موجب الشرع الشريف، وكذلك البضائع والمتاجر الأراجونية تخضع لحكم الضرائب المستقرة فى الدواوين ونفس الشروط بالمثل لأراجون[٤].

فقد اعتمدت سلطنة المماليك على الرسوم الجمركية التى كانت تجبى من مرور السفن المحملة ببضائع الشرق والغرب بثغورها إلى جانب جباية الرسوم على السلع التجارية [٥]، التى كانت تفرض على التجارة الأجنبية ضريبة تقدر بخمس بضائعهم ويشرف على حمايتها ديوان الخمس [٦].

وباستعراض البنود التجارية فى هذه المعاهدة يتضح لنا أن التجارة بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك كانت تسير على قدم وساق حتى أنها شملت كل ما يكون فى صالح الطرفين

١- نفس المصدر ، ص١٦١ .

٢- Hillgarth : Los Reinos , p. 190 .

٣- ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، ص١٦١ .

٤- نفس المصدر ، ص١٦١-١٦٢ .

٥- سرور : دولة بنى قلاوون ، ص٣٤٦ .

٦- أنظر : تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بين مملكة اراجون وسلطنة المماليك ونتائجها .

وتعرضت للحلول لكل ما يعترض تجار المماليك وتجار أراجون من مشاكل بجانب توضيح الحقوق والواجبات لكل من تجار الطرفين فى كلا البلدين .

كان سقوط عكا فى عام ١٢٩١م على يد الأشرف خليل ، قد أثار أوربا وجعل البابوية تلتمس التقارير والمشاريع التى بها تستعيد مملكة بيت المقدس وتقضى على سلطنة المماليك، وكانت البابوية تدرك تماما أن سلطنة المماليك تعتمد فى دخلها الرئيسى على التجارة ، لذلك أصدرت مراسيم تحريم التجارة مع سلطنة المماليك، حقيقة أنها فكرة قديمة منذ نشأت الصراعات بين أوربا والشرق فى بدايات الحروب الصليبية وبعد سقوط عكا أصبحت ضرورة ملحة .

وبعد عقد معاهدة طرسكونة فى سنة ١٢٩١م بين الفونسو الثالث والبابوية وفرنسا توترت العلاقات السياسية والتجارية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك [١]، ولكن بوفاة الفونسو الثالث فى سنة ١٢٩١م وتولية خايم الثانى ، الذى رفض هذه الاتفاقية ، عاد من جديد العداء بينه وبين البابوية وفرنسا ، ولنفس الأغراض السياسية والتجارية السابقة فى معاهدة الفونسو الثالث والمنصور قلاوون سنة ١٢٨٩م، عقد معاهدة تحالف مع الأشرف خليل سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م وكان هذا التحالف ذا أهمية قصوى بالنسبة لسلطنة المماليك، فكانت تخشى محاولة الغرب الأوربى إرسال حملات صليبية بعد سقوط عكا وفى نفس الوقت محاربة التجارة الملوكية ، لذلك جاء طلب خايم الثانى بتجديد التحالف بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك متنفسا للماليك وارتياحا لها.

أرسل خايم الثانى خطابه الذى يحمل تاريخ العاشر من أغسطس سنة ١٢٩٢م مع سفرائه ويتضمن هذا الخطاب ست نقاط تتضمن الجانب السياسى فقط ولم يتعرض فى خطابه إلى السلطان للجوانب الاقتصادية [٢]، ويبدو أن الجوانب التجارية قد حملها السفراء شفويا فنص معاهدة التحالف يكاد يكون متطابقا مع معاهدة التحالف بين الفونسو الثالث والسلطان المنصور قلاوون فى بنودها ونفس البنود التجارية فى معاهد (ألفونسو الثالث قلاوون) هى نفس البنود فى هذه المعاهدة[٣].

١- أنظر تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك .

٢- Masia : doc . 2 . p. 264-266 .

Chpmany : op. cit . p. 26-31 .

٣- البنود التجارية متطابقة تماما حتى فى الألفاظ والكلمات .

ب- العلاقات التجارية بين أراجون والمماليك بعد معاهدة أناجنى سنة ١٢٩٥م

تعتبر معاهد أناجنى سنة ١٢٩٥م ، حدث هام فى تاريخ مملكة أراجون فبمقتضاها ، دخل خايم الثانى فى طاعة البابوية وأنهت مشكلة صقلية التى كانت أقلقت حوض البحر المتوسط فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى، وبمقتضى هذه الاتفاقية منح خايم الثانى ألقاب القائد العام للجيوش البابوية والأميرال والكابتن العام لكنيسة روما أي أنه أصبح تحت قيادة البابا ويدين له بالولاء والطاعة ، وتعهد بالذهاب إلى الشرق لاسترداد بيت المقدس [1].

ومعنى دخول خايم فى طاعة البابوية أنه سوف ينفذ كل القرارات البابوية الخاصة بالتحريم التجارى مع سلطنة المماليك ورغم أن مملكة أراجون قد نفذت هذه القرارات فى عهد خايم الأول الذى نشر مرسومه فى عام ١٢٧٤ن، بتحريم التجارة مع سلطنة المماليك فى سلع معينة ، لكنها كانت شكلية فقط ولم ينفذ هذا المرسوم بشكل جاد ، خاصة وأن خايم الأول فى تلك الفترة كان متظاهرا بطاعة البابوية ولم يكن العداء قد ظهر بعد .

وأيضا أصدر بدرو الثالث قرارا شبيها عندما رد فى سنة ١٢٨١م على الالتماسات المقدمة من مجلس بلدية برشلونة يطلبون فيها السماح له بحرية التجارة مع مصر [2]، ويرجع تمسك بدرو بتنفيذ قرارات البابوية فى تلك الفترة إلا أنه كان يهادنها حيث كان يستعد لغزو صقلية والاستيلاء عليها، وأرسل إلى البابا للتمويه ، يطلب مباركته وأنه سوف يشن حربا صليبية ضد المسلمين فى شمال أفريقيا ويطلب العشر المخصص للحرب الصليبية، ليخفى نواياه الحقيقية [3].

وتوالت الأحداث وغزا بدرو صقلية واستولى عليها ودخلت أراجون فى عداء شديد مع البابوية وفرنسا إلى أن عقدت معاهدة أناجنى فى عام ١٢٩٥م . وتتسم الفترة من بداية غزو صقلية سنة ١٢٨٢ إلى ١٢٩٥ بتقارب مملكة أراجون مع سلطنة المماليك وأصبحت العلاقات السياسية والاقتصادية بينهما وطيدة، بعقد معاهدة أناجنى سنة ١٢٩٥م اختلف الوضع

١- Heyed : Histoire du commerce Levant T , 11 , p. 31 .

٢- Masia: La Corona de Aragon , p. 82 .

٣- Cronica de la corona de Aragon , p. 103 .

وأصبحت مملكة أراجون ملزمة بتنفيذ هذه المراسيم ، وكان أمامها سياسة تهدف إلى تطوير تجارتها الخارجية وتعتمد عليها فى ازدياد قوتها ، فوجب عليها أن تسلك طريقا يحقق لها أغراضها هذه مع الاحتفاظ بعلاقاتها الطيبة مع البابوية، ومن المعروف أن الجمهوريات الايطالية والمدن التجارية كانت تضرب عرض الحائط بمراسيم البابوية من أجل مصلحتها لذلك كان على أراجون أن تسلك طريقا جديدا يحقق مصلحتها التجارية وهو تطبيق المراسيم البابوية بمنع التجارة مع سلطنة المماليك ظاهريا مع استمرار التجارة معها بطريق غير رسمية ولذلك اختلفت الطرق غير الرسمية من وقت لآخر .

أصبحت أراجون بمقتضى معاهدة أناجنى سنة ١٢٩٥م مسئولة من حماية المسيحيين فى الشرق، وبدأت تستعد لاسترجاع بيت المقدس بالتحالف مع المغول فى عام ١٣٠٠ م [١].

ولما هزم المغول فى موقعة مرج الصفر (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م) من سلطنة المماليك[٢] وتأكد لأراجون عدم جدوى الأعمال العسكرية لاسترجاع بيت المقدس لذلك اتخذت العلاقات السلمية الودية طريقها لتحقيق رغباتها وأرسلت أول سفارة لها فى عهد الناصر محمد فى عام ١٣٠٣م، وفى الفترة من سنة ١٢٩٥ حتى ١٣٠٣م كانت العلاقات التجارية الرسمية متوقفة تماما بينهما ، فإن سلطنة المماليك كانت لاتمنع التجارة مع الدول الأخرى لأنها تعتمد عليها اقتصاديا ، وتشجع التجار على القدوم ببضائعهم ، ولما قام بعض التجار الأراجونيين بصورة غير رسمية وفردية بالإبحار إلى مصر والتبادل التجارى معها رحبت مصر بهم. وكان هؤلاء التجار قد أجلوا مصالح الدين والوطن، فالحصار الذى حاول البابا فرضه على مصر فشل بل زاد من تجارة البضائع المحرمة التصدير إلى مصر، فبمجرد أن أعلن الحصار زادت الأسعار وزاد التجار جشعا وطمعا [٣]، مما دفع خايم الثانى إلى إرسال بيان إلى قاضى برشلونة فى عام ١٣٠٢م ، وفيه يحرم التجارة مع الأسكندرية وكل البلاد الإسلامية واحترام المراسيم البابوية ومعاقبة كل من يخالف هذا التحريم [٤].

١- أنظر تحالف ملك أراجون خايم الثانى مع غازان ملك المغول ضد المماليك .

٢- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٣٠-٩٣٦ .

ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج١ ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

٣- Gimenez : op. cit ., p. 193 .

٤- Masia : doc 4 , p. 270-271 ; Heyed : op. c ., T II , p. 331 .

وعلى الرغم من هذا التحريم الكامل أو الجزئى للنشاط التجارى بين ممالك أوربا والمماليك، فقد ظل متأرجحا تبعا للأحوال السياسية والعسكرية ويرجع هذا لضغوط من البلدان التجارية الأوربية التى كانت تتعامل مع مصر [١].

بدأت السفارات تتوالى فى عهد خايم الثانى والناصر محمد بن قلاوون وكانت ذات طابع تجارى ، فكان يقوم بها التجار الأغنياء من برشلونة [٢]، وكان ينفق التجار على هذه السفارات [٣]، فكانوا يتكفلون بمصروفات السفراء، وأحيانا بقية الهدايا التى كانت تهدى للسلطان ، وفى الوقت نفسه كانوا يدفعون قدرا من المال نظير الحصول على هذا الامتياز - بالإبحار إلى الشرق- للقيام بالرحلة [٤].

وأول السفارات قام بها السفير دوساى الأراجونى فى سنة ١٣٠٣م ، وفيها يطلب خايم الثانى من الناصر محمد بأن يرد اثنى عشر ألفا بيزتا أخذت من تجار أراجون فى جمرك الأسكندرية إلى هؤلاء التجار[٥]، وفى إجابة السلطان الناصر محمد على هذه السفارة لم يذكر شيئا يخص هذا الطلب وهل أعاد للتجار هذا المبلغ أم لا [٦].

كانت هذه السفارة محملة بالبضائع والتجار الذين رافقوا دوساى فى هذه الرحلة وعلى الرغم من تحريم البابوية للتجارة مع مصر إلا أن هذا التبادل التجارى فى هذه السفارة تم بموافقة خايم الثانى ، وإن كان قد اشترط بعدم حمل سلع ممنوعة إلى مصر إلا أن ذلك كان شكليا فقط ، وتحدثنا وثيقة عن رجوع هؤلاء التجار المرافقين لدوساى فى رحلته وأنهم كانوا فى حالة جيدة وكان خايم الثانى يستفيد من هذه التجارة حيث جمع منهم رسوما جمركية [٧].

١- Masia : La Corona de Aragon . p. 8 .

٢- Hillgarth : The Spanish , VI , p. 208 .

٣- Hillgarth : Los Reinos , V , I , p. 313 .

٤- Masia : La Corona de Aragon , p. 133 .

٥- Masia : doc 25 , p. 290 .
Atiya : Egypt and Aragon , p. 20 .

٦- Alarcon : doc 147 , p. 350-351 .

٧- Masia : doc . 27 , p. 291-292 .

وفى عام ١٣٠٥ م قامت السفارة الثانية. وقام بها نفس السفير السابق وهو من العائلات التجارية المشهورة (١)، ومراعاة للمراسيم البابوية لم يشر إلى النشاط التجارى أو ذكر ما يخص التبادل التجارى والمصلحة التجارية فى الخطابات ويبدو أن السفير يحمل شفويا ما يرغب فيه من مطالب تجارية والدليل على ذلك هو حدوث الأزمة بين فخر الدين ودوساى (٢)، وإن كانت على حجز الراهب روكابيرتى إلا أنه يبدو أيضا أنهما قد اختلفا أيضا على شئون تجارية خاصة وأن السفيرين كانا تاجرين استغلا هذه السفارات فى إقامة تبادل تجارى (٣).

وفى إجابة السلطان على هذه السفارة الثانية لم تشر إلى أى شروط أو مايخص التبادل التجارى بينهما (٤).

ونتيجة لحادثة دوساى وفخر الدين انقطعت العلاقات الرسمية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك منذ سنة ١٣٠٥ إلى ١٣١٤م ، وعلى الرغم من ذلك فالتجارة قد استمرت بينهما ويتضح ذلك من خلال العديد من الوثائق التى توضح محاكمة المخالفين الذين تاجروا فى سلع محرمة أو الذين قاموا بالسفر إلى الأسكندرية بدون الحصول على تصريح بذلك .

وفى الواقع كانت البابوية تحتفظ لنفسها بمنح الإذن من خلال شروط معينة بإرسال المنتجات وكان الدافع إلى ذلك العمل على فك أسر الأسرى أو الحصول على تسهيلات فى الأماكن المقدسة المسيحية أو لأجل السماح للحجاج المسيحيين بالوصول إليها لزيارتها (٥).

كانت العقوبات تطبق لسببين : القيام بالسفر دون إذن مسبق والآخر القيام بنقل منتجات محرم التجارة فيها (٦).

١- Ataiya : Egypt and Aragon , p. 27 .

٢- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٥٠-٩٥١ .

بيبرس الدوادار : زبدة الفكر ، ج٩ ، ص٤٨٠-٤٨١ .

٣- المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٥٠-٩٥١ .

٤- Alarcon : doc . 148 , p. 355 .

٥- Masia : La corona de Aragon , p. 83 .

٦- Ibid .

وتوجد وثائق عدة تمثل أوامر من البابوية إلى الأساقفة فى أراجون وإلى خايم الثانى والمراسلات منهم إلى البابوية لمعاقبة المخالفين لهذه الأوامر ، وتحصيل الغرامات منهم (١).

ويمثل تحصيل هذه الغرامات المفروضة ربع قيمة البضائع إذ كان المسافرون رجالا ، وثلث قيمة البضائع إذ كان المسافرون نساء، وكانت تسلم هذه المبالغ إلى البابوية التى ترسلها بدورها إلى خايم الثانى (٢). ويبدو أنها كانت توجه إلى النفقات العسكرية ، خاصة وأن خايم الثانى كان قائدا عاما للجيوش البابوية وقد بدأت تظهر فكرة مشروع حرب صليبية جديدة من سنة ١٣٠٨هـ إلى سنة ١٣١٢ لتستعيد بيت المقدس ، واشترك فى مفاوضات تكوين هذه الحرب بزعامة البابوية ، مملكة قبرص والأمير الأرمنى هيثوم كوريكوس وخايم الثانى والفرنسيون الذين اجتمعوا فى مجلس فينا (١٣١١-١٣١٢م) (٣)، لكنها فشلت هذه الفكرة أمام المصالح الخاصة لهؤلاء الملوك ، وسبق هذه المشاورات خطوة من البابوية اتخذتها من أجل ذلك بالتشديد فى معاقبة المخالفين للأوامر البابوية والذين قاموا بالمتاجرة مع سلطنة المماليك وهذا المرسوم بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٣٠٨ (٤).

وبعد مرور تسع سنوات على توتر العلاقات بين مملكة زراجون وسلطنة المماليك أرسل فى سنة ١٣١٤ إلى البابوية لطلب الأذن بإرسال سفينة لفدية الراهب روكابيرتى (٥)، وأرسل سفارة سنة ١٣١٤ إلى السلطان الناصر محمد(٦) فلم تتضمن أى أخبار عن العلاقات التجارية ، وفى رد السلطان عليها لايوجد ما يشير إلى نواح تخص الشئون التجارية (٧).

١- Masia : Los documentos, 5 , 6 , 7 , 10 , 11 , 12 , 13 , 14 .

٢- Masia : Lo corona de Aragon , p. 85 .

٣- المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٤٨ .

أنظر : رنسيمان ، نفس المرجع ، ج٣ ، ص٧٢٦-٧٢٧ .

Ferrando : op. cit , p. 204-205 .

٤- Masia : doc 8 , p. 275-276 .

٥- Masia : doc 36 . p. 303-304 .

٦- Masia : doc 37 , p. 304-307 .

٧- Alarcon : doc 149 , p. 360-362 .

وفى كل مرة كان سفراء ملك أراجون يسافرون إلى مصر وكان معظمهم من برشلونة أو كان سفراء السلطان يعودون إلى مصر ، وكان يلزم إعداد سفينة فى برشلونة لهذا الغرض ، ولرغبة الملك الذى كان يسعى إلى ازدهار تلك المدينة، صرح لبعض التجار ، مع دفعهم لرسوم عاليه ، أن يحملوا إلى مصر أو يأتوا منها ببضائع فيما عدا السلع الممنوعة ، وكانت البابوية لاتقوى على المعارضة خاصة وأن الملك كان فى كل مرة تقريبا ينال تصريحا بذلك من البابا (١).

وكانت أول إشارة لذلك فى سفارة سنة ١٣١٨ بعد موافقة البابا على قيام إحدى السفن لحمل هذه السفارة وحمل معهم التجار ورغم منعهم من حمل بضائع محرمة معهم(٢) ، فإن خايم الثانى قد أعلن لباستيدا(٣) بأنه سمح للتجار الذين يرغبون فى التبادل التجارى مع مصر لهم الإذن بذلك (٤)، وفى منشور أرسله خايم الثانى إلى قاضى برشلونة بأنه يسمح لتجار الأقاليم المختلفة من المسيحيين والمسلمين واليهود الذين يرغبون فى ركوب هذه السفينة مع باستيدا والموافقة على رجوعهم فى السفينة نفسها(٥)، وعلى الرغم من أن سفارة سنة ١٣١٨ م تغلب عليها الصفة التجارية لكن لم يذكر فى خطابه إلى السلطان الناصر محمد أى طلب يخص الشئون التجارية (٦).

وفى إجابة السلطان على هذه السفارة لم يشر إلى أى شئون تجارية ، لكنه يطلب من ملك أراجون طلبا خاصا ، هو تدخل خايم الثانى من أجل التشفع عند ملك صقلية لإرجاع أحد التجار الذى يدعى سيرا Serra والذى هرب من أراضى السلطان بكميات كبيرة من البضائع والتجأ إلى قبرص ، ويبدو أن هذا التاجر قد تهرب من رسوم جمركية أو أتى بأعمال مضرة

١- Heyd : op. cit ., T II , p. 332 .

٢- Masia : doc 38 , p. 307-309 .

٣- كان باستيدا ينتمى لأكبر العائلات التجارية فى كتالونيا وكان شخصية مقربة من الملك .

Masia : La Corona de Aragon , p. 115 .

٤- Masia : doc 39 , p. 309-310 .

٥- Masia : doc 40 , p. 310 .

٦- Masia : doc 41 , p. 311-313 .

٧- Masia : doc 42 , p . 314-315 .

بسلطنة المماليك ، والدليل على ذاك أهمية طلب السلطان الناصر محمد واهتمامه بهروب هذا التاجر وتتبع هروبه والتجائه إلى مملكة قبرص ، وكان طلب السلطان الناصر محمد من خايم الثانى بالتشفع لعلمه بصلة الارتباط بين خايم الثانى وملك قبرص ، حيث أن خايم كان متزوجا من ماريا أخت ملك قبرص من سنة ١٣١١ (١).

وقد أجاب خايم الثانى فى سفارته سنة ١٣٢٢م إلى السلطان الناصر محمد

«أما عن الموضوع الذى أخبرنا به السلطان نحن ملك أراجون عن التاجر المسيحى المدعى سيرا والذى طلب منا الاتصال بملك قبرص ، يجب اخباره بأن الخطاب الخاص بذلك قد تم تسليمه لملك قبرص ولكن دون رد حتى الآن ولكى نستفسر عما جرى فقد أرسلنا خطابا جديدا لملك قبرص عن طريق سفينة قامت من برشلونة إلى قبرص »(٢)

وهنا نرى مدى اهتمام خايم الثانى بهذا الطلب وأرسل مرة أخرى إلى ملك قبرص ليستفسر عن هذا الموضوع ، وقامت هذه السفارة بعد أن طلب خايم الثانى الإذن من البابا حنا الثانى والعشرين بإرسال إحدى السفن إلى مصر من أجل فدية الأسرى المسيحيين فى الوقت الذى يسمح فيه للتجار بالذهاب عليها ويحملون معهم البضائع اللازمة (٣).

أجاب البابا لطلب خايم الثانى واشترط بأن لاتحمل السفينة مع التجار البضائع المحرمة ، ومن ينقض هذه الشروط يتعرض لفرض العقوبات عليه (٤). وفق قرار البابا .

كان خايم الثانى يستفيد من الموافقة على حمل هؤلاء التجار على هذه السفينة ، فقد اشترط على السفير خيرالد أوليفر Geraldo Olivera بأنه على التجار تسديد الرسوم للهيئة القضائية الملكية لكل الحقوق المعتادة فى الحالات المشابهة (٥)، وفى الوقت نفسه أرسل إلى موظفى ملك فرنسا يخبرهم بحصوله على إذن من البابوية بإرسال سفينة إلى الأسكندرية

١- Ferrando : op. cit ., p. 203 .

٢- Masia : doc 51 , p. 224 .

٣- Masia : doc 44 , p. 316-317 .

٤- Masia : doc 46 , p. 317-318 .

٥- Masia : doc 49 , p. 321 .

تحمل السفراء والتجار والبضائع وأرسل هذه السفينة إلى فرنسا لحمل من يرغب من التجار فى الاشتراك فى هذه الرحلة [١].

وفى الخطاب الموجه مع هذه السفارة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يشير فيه إلى استعداداته لغزو جزيرتى سردينيا وكورسيكا وعن احتياجه إلى كل الأسرى الموجودين لدى السلطان [٢].

كانت جزيرتى سردينيا وكورسيكا قد منحهم البابا إلى خايم الثانى مقابل تنازله عن صقلية فى معاهدة أناجنى سنة ١٢٩٥[٣] ، ومنذ تلك الفترة لم يجد خايم الوقت مساعدا له على غزو هاتين الجزيرتين حتى أتاحت له الظروف ذلك وبدأ يستعد لغزوهما فى سنة ١٣٢٢[٤]، وكان هدف خايم من الاستيلاد على هاتين الجزيرتين هدفا تجاريا ، إذ بهما تتحكم أراجون فى منطقة غرب البحر المتوسط[٥] إلى جانب أن سردينيا تعتبر محطة فى الطريق إلى الشرق بالإضافة إلى أنها تؤمن تموين كتالونيا بالحبوب والفضة [٦].

أجاب السلطان على هذه السفارة لكنه لم يشر إلى الأوضاع التجارية [٧]. كان أهل جنوة قد قبضوا على رعايا ملك أراجون فى إحدى السفن الآتية من قبرص إلى برشلونة ولتفادى ذلك فإنه طلب من الأساقفة، أن ترافق السفينة التى تحمل السفراء سفينة أخرى محملة بالسلاح والقوات حتى تتمكن من الدفاع عنها فى الحالات الضرورية [٨]، والهدف الأساسى من طلب سفر سفينة أخرى كان فى الواقع حماية للسفينة المسافرة المحملة بالسفراء والتجار

١- Masia : doc 50 , p. 322 .

٢- Masia : doc 51 , p. 323-325 .

٣- Cronica de la corona de Aragon, p. 148 .

٤- أنظر خايم الثانى وسياسته الخارجية .

٥- Martin : Historia de Espana , T , III , p. 78 .

٦- Martin : La peninsula , p. 465 .

٧- Alarcon : doc 150 , p. 365-366 .

٨- Masia : doc 53 , p. 327-328 .

والبضائع، وفى الوقت نفسه زيادة التجار والبضائع المسافرة التى سوف تحملهم السفينة الثانية مما يعود بالربح الوفير على أراجون [١].

وفى يوم الثلاثين من شهر ديسمبر سنة ١٣٢٣ أرسل خايم الثانى طلبا إلى البابا يطلب فيه الإذن من أجل إرسال إحدى السفن إلى الأسكندرية ويرجوه أن تكون مصحوبة بسفينتين للحماية من أخطار القراصنة واللصوص الذين كانوا ينزلون التنكيل بأتباعه [٢]، وهذه المحاولة لم تتم لأننا لم نجد من بين الوثائق ما يدل على موافقة البابا على هذا الالتماس أو إرسال سفارة إلى مصر .

وفى سنة ١٣٢٧ أرسل خايم الثانى سفارة إلى السلطان الناصر محمد واشترك فيها سفير فرنسى وهو جالرمو دى بوتسيمانس Guillerom de Bonesmans الذى حمل بضائع من غير الممنوعة ، والذى عين بواسطة شارل الرابع ملك فرنسا (١٣٢٢-١٣٢٨) بعد استشارته للبابا حنا الثانى والعشرين (١٣١٦-١٣٣٤م) وهدف السفارة المشتركة بين أراجون وفرنسا للعمل على رعاية المسيحيين بالشرق وكان الهدف التجارى يعادل الهدف السياسى، وعلى الرغم من مشروعاتهما المختلفة [٣]. والسفيرين عقدا معاهدات تجارية والتى بمقتضاها طالبوا الانتفاع بالامتيازات التجارية ، لكن كانت اهتماماتهم بتثبيت مصالحهم الخاصة فقد جعلت السفيرين (الأراجون والفرنسى) يختلفان وحدث الخلاف بينهم فى عرض البحر بالقرب من ساحل الأسكندرية لأن سفير أراجون رفع راية أراجون فقط [٤].

وتجدد النزاع فى القاهرة عندما أكرم الملك الناصر سفير فرنسا وهنا تدخل السفير الأراجونى وأشاع بأن رفيقه الفرنسى يدبر مؤامرة وأن السفارة الفرنسية تدبر خطة عدوانية ضد مصر وتجهز أسطولا مكونا من ثلثمائة سفينة لمهاجمة سواحلها [٥].

١- Masia ; La Corona de Aragon , p. 122-7 .

٢- Masia : 55 , p. 330-331 .

٣- Atiya : Egypt and Aragon , p. 55 .

٤- Masia : La Corona de Aragon , p. 125 .

٥- Atiya : Egypt and Aragon , p. 55-56 .

أجاب الناصر محمد لسفارة سنج ١٣٢٧ برسالة موجزة وعبارات مجاملة ولم يشر إلى أى أوضاع تجارية [١].

كان اهتمام الناصر محمد بالتجارة قد وصل إلى حد كبير من الرعاية للتجار الأجانب والاهتمام بتوفير الأمن لهم . يدل على ذلك ما حدث فى سنة ٧٢٧هـ فى الأسكندرية ، وملخصه أن أحد التجار الأجانب قد اعتدى على صبى صغير فتجمع العامة وأرادوا قتله فثار الفرنج لصاحبهم وعظمت الفتنة واشتبك المسلمون والفرنج فى قتال عنيف وتعرضت الأسكندرية لحرب واشتباكات عدة ، وتدخل السلطان الناصر محمد وعاقب مشيرى الفتنة من المسلمين وأخذهم بالشدة [٢]، يدل هذا على أن الناصر كان لايتوانى عن التدخل لحماية التجار الأوربيين وإعطائهم حقوقهم .

وبعد وفاة خايم الثانى سنة ١٣٢٧ أرسل ألفونسو الرابع فى سنة ١٣٢٩ إلى البابوية فى طلب الإذن البابوى من أجل إرسال سفينة إلى أرض السلطان [٣]، ثم طلب مرة أخرى من البابا بأن يرافق هذه السفينة بعض السفن لحماية هذه السفينة فى سفرها إلى الأسكندرية [٤].

أرسل ألفونسو الرابع سفارته سنة ١٣٢٩ يطلب فيها تجديد العلاقات السابقة مع والده ولم يشر فيها إلى أى مطلب تجارى [٥]، على الرغم من أن شكل السفارة تسعى إلى زيادة التبادل التجارى بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك، يوضح ذلك اهتمام ألفونسو الرابع بتوثيق العلاقات وإجابة السلطان الناصر لرغبته فى السفارة السابقة من طلب سفينة محملة بالبضائع التجارية فى مقابل إرساله جثمان القديسة بربارة .

١- Alarcon : doc , 151 , p. 368-369 .

٢- ابن بطوطة : رحلته ، ج١ ، ص٤١ .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية ، ص٢٩٩-٣٠٠ .

جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الأكندرية ، ص، ص١٣٤-١٣٥ .

٣- Masia : doc. 60 , p. 335 .

٤- Masia : doc , 63 , p. 339-340 .

٥- Masia : doc . 61 , 65 , pp. 336--8 , 34 - 342 .

أجاب السلطان الناصر محمد على هذه السفارة أيضا برسالة موجزة وعبارات مجاملة فقط[١].

أما عن سفارة الأمير بدرو (١٣٣٠-١٣٣٣م) ، أخو الملك، طلب ألفونسو الرابع منه أن يستعد لبعثه إلى أراضى السلطان ومعه موافقة البابا على هذا السفر [٢]، وإرسال سفينة أخرى مسلحة لتحمى السفينة الأولى المحملة بالسفراء والتجار والبضائع من خطر القراصنة[٣]، والمقصود من السفينة الأخرى أن تحمل تجار وبضائع زيادة إلى جانب السفينة الأولى .

وفى سنة ١٣٣٢ وافق الفونسو الرابع على طلب ملك ميورقة بإرسال ثلاثة من السفن بعد موافقة البابا على ذهابها إلى الأسكندرية ، وهذا الإذن يشمل إحضار كل الذين يريدون العودة مع بضائعهم وذهابهم ببضائع من غير الممنوعة مع عدم حمل الجنويين [٤].

مما سبق يتضح أن العلاقات التجارية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك كانت مستمرة وبشكل مكثف على الرغم من تحذيرات البابوية ومراسيمها بمنع التجارة مع سلطنة المماليك فإن العلاقات السياسية ما هى إلا واجهة للعلاقات التجارية، حيث أن العلاقات التجارية بدأت قبل التمثيل والسفارات الدبلوماسية المتبادلة بين أراجون والمماليك .

أما بالنسبة لعقاب البابوية وأراجون للمخالفين ، الذين قاموا بالتجارة بدون إذن أو قاموا بالتجارة فى بضائع محرمة مع سلطنة المماليك فقد كان لأراجون والبابوية موقف واضح منهم ، فالبابوية كانت مختصة بعقاب من يتاجر فى البضائع المحرمة وملك أراجون يعاقب على من يتاجر فى السلع العادية [٥].

ومما شجع الملك على تشجيع التجار على الذهاب فى السفن الحاصلة على الأذون من البابوية من أجل السفر إلى الأسكندرية فإن التجار كانو يتكلفون بمصروفات السفراء وأحيانا كان يجمع منهم الرسوم التجارية والتى تمثل عائدا كبيرا للخزانة الأراجونية .

١- Alarcon : doc 152 , p. 370 .

٢- Masia : doc 69 , p. 343-344 .

٣- Masia : doc 70 , p. 344-346 .

٤- Masia : doc 73 , p. 349-352 .

٥- Masia : La corona de Aragon , p. 88 .

وبذلك نتجت عن هذه الرحلات ، مكاسب كبيرة للتجار ويثبت رغبة كل التجار فى أن يقيموا تجارة مع مصر واعتبروا التجارة مع سلطنة المماليك مسألة حياة أو موت نظرا لما اكتسبوه من أربح طائلة[١].

كان لكثرة الأرباح من هذه التجارة وصعوبة الحصول على الإذن التجارى والتصريحات إلى جانب أنها كانت تستغرق فترة طويلة ، فقد غامر التجار بالذهاب إلى الأسكندرية فى الخفاء ومن يضبط فإن أسوأ الحالات هى دفع غرامة على هذا [٢].

ونجد فى كتاب Masia الوثائق Los documentos أنه ، من رقم ٧٥ إلى رقم ١٠٩ كلها تخص الحصول على الغرامات من التجار الذين قاموا بتجارة بضائع محرمة أو من غير إذن من البابوية ، والعفو ومحاكمات وهى كثيرة جدا وتدل على مدى ما كان من أهمية هذه التجارة ومدى الربح الوفير العائد منها كما تدل على أن التجارة قد وصلت إلى حد كبير من التبادل بين الشرق والغرب فى أواخر عهد الملك خايم الثانى الذى كان رؤفا وحسن المعاملة مع المخالفين لدرجة كبيرة [٣].

والحقيقة أن هذه الوثائق توضح حقيقة هامة جدا وهى أن التبادل التجارى بين أراجون وسلطنة المماليك كانت أكثر وأكبر حجما من التجارة التى كانت مع أى دولة أوربية وبين سلطنة المماليك وإن دل ذلك فيدل على مدى اهتمام مملكة أراجون بالتجارة مع مصر ومدى حرص سلاطين المماليك على الاستجابة لحاجات أراجون من السلع المصرية والشرقية .

العلاقات التجارية بين قشتالة وسلطنة المماليك

الوضع التجارى لمملكة قشتالة :

كانت مملكة قشتالة أقل انتشارا ووجودا فى تجارة البحر المتوسط، من مملكة أراجون إلى حد كبير ، ويرجع تأخرها إلى عدة عوامل أهمها أن مملكة قشتالة كانت أكثر تداخلا فى أحداث

١- سعيد عاشور : قبرص ، ص٨٤ .

٢- Masia : La Corona de Aragon , p. 133 .

٣- Heyd : op. cit ., T II , p. 332 .

شبه الجزيرة الايبيرية ، وجعلها ذلك أكثر اتساعا من مملكة أراجون ولكن الأخيرة كانت أسعد حظا لتمتعها بموقع ممتاز مما أدى إلى احتكاكها بالعالم الخارجي فى وقت مبكر عن قشتالة[١].

وعلى الرغم من أن مملكة قشتالة كانت تضم مساحات زراعية كبيرة وموارد ضخمة إلا أن تجارتها حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى لم يكن لها وجود ملحوظ فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

اشتركت مملكة قشتالة مع مملكة أراجون فى نمو مدنها واقتصادها مع بداية القرن الحادى عشر الميلادى وارتبط ذلك بالتطور الاقتصادى فى أوربا [٢].

بدأت مملكة قشتالة فى عهد القديس فرديناند (١٢١٧-١٢٥٢) نشاطا تجاريا كبيرا ملحوظا ويرجع ذلك إلى التوسع السياسى الذى تم فى عهده حيث أن مملكة قشتالة قد اتحدت مع مملكة ليون سنة ١٢٣٠م [٣]، ثم استولى (فرديناند الثالث) على قرطبة عاصمة الخلافة الأموية سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م[٤] وفتح بذلك لمملكة قشتالة طريق البحرين (البحر المتوسط والمحيط الأطلنطى) واستولت على مساحات واسعة ممتدة من السواحل فقد أطلت بمنطقة مرسية (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) على البحر المتوسط [٥]، وهو السهل الخصيب للوادى الكبير[٦]، ومنطقة أشبيلية على المحيط الأطلنطى التى استولى عليها القديس فرديناند فى سنة ١٢٤٨ [٧]،

١- Pirenne : op. cit ., V 1 , p. 207 .

٢- Jackson : op . cit ., p. 117 .

٣- Masia : Introduccion , p. 171 .

Logde : The Close , 469 .

٤- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٥٨ .

Painter : op . cit ., p. 196 .

٥- محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص١٣ .

Masia : Intrduccion , p. 175.

٦- Montapez : Rel . Cast .. Mam p. 119 .

Masia : Introduccion , p. 174 .

٧- Loyasa : op. cit . p. 73 .

Pirenne : op. cit . p. 206-207 .

وبذلك أصبحت لها مساحات واسعة ممتدة من السواحل فازداد نفوذها البحرى وبدأت تجارتها تنتعش مع إيطاليا ومع أقصى بلاد الشرق [١].

كان عدم استقرار ونمو التجارة الداخلية فى مملكة قشتالة من أسباب تأخر توسعها فى تجارتها الخارجية فقد وقفت فى سبيلها عوائق النقل واختلاف الموازين والمقاييس والنقد[٢]، وعلى الرغم من أنها تشكل وحدة سياسية لكنها اقتصاديا تختلف فيها الأسعار من إقليم لآخر حسب مكان الإنتاج وتحكم وسائل النقل ومستوى المعيشة المختلف من بقعة إلى أخرى[٣]، مما أوجد نوعا من الأزمة الاقتصادية ورثها الفونسو العاشر عن أبيه القديس فرديناند وازدادت فى عهده .

أما بالنسبة لتجارتها مع سلطنة المماليك فإن ذلك كان يتوقف على ظروف قشتالة الداخلية فكلما استقرت نشطت تجارتها مع سلطنة المماليك، وإذا ما اضطربت توقفت التجارة معها ، وكانت ظروف قشتالة هى التى دفعت الفونسو العاشر إلى محاولة إيجاد دور لمملكة قشتالة فى تجارة الشرق للخروج من الأزمة الاقتصادية ، يدل على ذلك اهتماماته بالتجارة وسفاراته إلى سلطنة المماليك لهذا الغرض .

كان الاقتصاد القشتالى عند تولية الفونسو العاشر منهارا مما دفعه إلى محاولة تعديل السياسة الاقتصادية الداخلية وبدأ بمحاولة تثبيت الأسعار وتحديد المصروفات ووقف الاستيراد وتحريم تصدير الحيوانات والمنتجات الغذائية كما اتخذ العديد من الإجراءات الهادفة لتحسين أحوال الاقتصاد القشتالى [٤].

لم تجد إجراءاته هذه شيئا لعدم الجدية فى تنفيذها وزاد منها أن ألفونسو العاشر لجأ إلى الغش فى سك العملة مرتين بانقاص وزنها [٥]، مما دفع الكورتيس للاجتماع بالفونسو فى بلد

١- Pelayo : op . cit ., p. 33 .

٢- ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٧ .

٣- Martin : La Peninsula , p. 428 .

٤- Ibid , p. 423 .

٥- Cam : Med .. Hist , V . 7 , p. 569 .

الوليد سنة ١٢٥٨ لمحاولة إعادة تنظيم الاقتصاد القشتالي من خلال سلسلة من الإجراءات بجانب القوانين الخاصة بتحديد الأسعار وتخفيض الإنفاق الحكومي والإنفاق الخاص بالملك[١].

ورغم ذلك فالحالة الاقتصادية ما زالت سيئة واجتمع الكورتيس مرة أخرى في سنة ١٢٦٨ ومعهم الملك واتخذوا إجراءات أكثر حسما لتنظيم الاقتصاد القشتالي وأهمها ، التزم الملك فيها بعدم تغيير العملة ، وتوحيد الموازين والمقاييس ، وحرم تصدير الذهب والفضة ، وتحددت الموانى التي يجب أن يتم التصدير منها إلى جانب العديد من الإجراءات [٢]، ولأول مرة نجد أنفسنا أمام محاولة جادة لإعادة تنظيم الاقتصاد القشتالي، فمن جانب يبحث عن زيادة الإنتاج ومن جانب آخر لايصدر هذا الانتاج بل يكون لخدمة المملكة [٣]، ومما زاد هذه المشكلات الاقتصادية إسراف ألفونسو العاشر وتبذيره [٤]، وهي من أسباب تمرد النبلاء عليها فقد أدت إلى تدهور حال كل من اعتمد على دخول ثابتة فيما عدا التجار [٥]، ويمثل هذا تفسيرا للثورات المستمرة للنبلاء في قشتالة [٦].

كان تمرد النبلاء الدائم ثم الحروب الأهلية الوراثية تؤدى بالطبع إلى إنهاك قوى قشتالة الاقتصادية وخاصة نشاطها التجاري الداخلي والخارجي وانشغالها عن الاهتمام بالتجارة الخارجية بصفة خاصة، وكانت المملكة منقسمة بين المتنافسين على العرش، وليس معنى ذلك أن تجارة قشتالة الخارجية منعدمة بل على العكس من ذلك كان لها وجود وسط التجارة الخارجية من خلال القوى التجارية الأخرى مثل جنوة[٧] (بمساعدتها) وسطع ضوئها التجاري

١- Martin : Historia de Espana , T III , p. 46 .

٢- Martin : La Peninsula , p. 427-428 .

٣- Ibid .

٤- أنظر قشتالة في عهد ألفونسو العاشر .

٥- كان التجار هم المستفيدين من ارتفاع الأسعار وأصبحوا في مقدمة شرائح المجتمع ذات القوة الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية .

Martin : Historia de España , T III , p. 43 .

٦- Martin : La Peninsula , p. 23 .

٧- Montavez : Rela ... Cast ... Mam .. , p. 21 .

فى عهد ألفونسو العاشر والذى عمل على تحسين أحوال التجارة الخارجية ، وقد وجد أن قشتالة ليس لها أسطول بحرى ، خاصة بعد الاستيلاء على أشبيلية سنة ١٢٤٨ [١]، ففى سنة ١٢٥٣ أنشأ أسطولا مكونا من ثمانى عشرة سفينة اعتمد فى إدارته على الفرنسيين والكتالونين والايطاليين [٢]، وإن كان قد بدأ بهذا الأسطول المشروعات الحربية مثل الحملة الصليبية على شمال أفريقيا والتى عزا فيها سلا Sale فى سنة ١٢٦٠ [٣]، إلا أنه استغله فى النشاط التجارى الخارجى بعد انتهاء الأعمال الحربية .

وعلى الرغم من وجود ميناء أشبيلية كميناء هام [٤]، فإن قشتالة لم تستغل الإمكانيات الاستراتيجية لأشبيلية [٥].

انتعشت التجارة الخارجية فى عهد ألفونسو العاشر، وخاصة فى خليج الباسك فى الشمال مع فنلندا وكان هناك جالية كبيرة للتجار القشتاليين فى مدينة برخوس Brujos والتجارة مع المدن الألمانية[٦] ، وكان لتجار قشتالة فى عام ١٢٨٢ مركز فى بروج لايضارعه إلا مركز العصبة الهانسية [٧].

اعتمدت مملكة قشتالة فى تجارتها على تصدير الصوف ، فالمراعى والخرفان كانت منتشرة فيها، وبتجارتهم مع شمال أوراب بدأوا ينافسون الصوف الإنجليزى والتصدير للبلاد المنخفضة

١- Hillgarth : The Spanish , p. 291 .

٢- Hillgarth : Los Reinos , p. 342 .

٣- Martin : Historia de España , T III , p. 40 .

٤- ذكر ابن الشباط « أشبيلية من أعظم مدن الأندلس ولها كورة جليلة وهى مطلة على النهر الهابط اليها من قرطبة ، ويدخل إليه المد والجزر ، وهو واد عظيم تدخل فيه السفن الكبار ومن أشبيلية إلى الحلق ، حيث مصب الوادى فى البحر ستين ميلا فهى لذلك برية بحرية ، ولها النظر الواسع والفوائد الجمة، والغلات الكثيرة وغربيها الشرف ، أشرف بقعة وأكرم تربة وهو عظيم المساحة جليل فى كثرة فوائده .

ابن الشباط : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ص١٣٨-١٣٩ .

٥- Hillgarth : Los Reinos , p. 342 .

٦- Ibid .

٧- ديورانت : قصة الحضارة ، م٤ ، ج٤ ، ص٢٤٧ .

والتى كانت إلى حد بعيد غنية بذلك وأغنام الرعى بدأت تعطى لقشتالة واجهة جديدة [١]، وهناك الحديد وزيت الزيتون والبرتقال والرمان وكانت بورجوس Bruges سوقا متوسطة لهذه التجارة [٢].

التجارة القشتالية مع سلطنة المماليك :

كان أول اتجاه للتجارة الخارجية مع الشرق فى عهد القديس فرديناند [٣]، ويرجع ذلك إلى بروز أهمية التجارة فى القرن الثالث عشر الميلادى على أنقاض النظام الإقطاعى واتباعا لخط أراجون فى الاهتمام بتجارة الشرق [٤].

وتمت أول بداية للتجارة القشتالية مع الشرق بمساعدة القوى البحرية التجارية الأخرى ، وبخاصة جنوة [٥]، فقد كانت التجارة الشرقية تجتذب أنظار الممالك الأوربية الناشئة لتنمية اقتصادها وانتعاش تجارتها ، مما دفع ألفونسو العاشر إلى الاهتمام بتجارة الشرق خاصة وأنه يعانى أزمة اقتصادية طاحنة تقلقل حكمه .

وكان أول اتصال بين ألفونسو العاشر وبيبرس فى سنة ١٢٦٠ عندما ذكرت المصادر الغربية عن وصول سفارة لبيبرس أثناء احتفال ألفونسو باحياء ذكرى أبيه القديس فرديناند[٦] ، وكانت هذه السفارة نتيجة لسفارة أرسلها ألفونسو العاشر إلى بيبرس محملة بالهدايا .

وفى الواقع أن سفارات الفونسو العاشر يغلب عليها الصفة التجارية وإن كانت المصادر لاتوضح الغرض من هذه السفارات ، لكن من خلال استعراض الأوضاع فى مملكة قشتالة توضح لنا أن الغرض التجارى كان يغلب على هذه السفارات وخاصة أن مملكة قشتالة ليس لها مصلحة سياسية فى الشرق غير زيارة حجاجها لبيت المقدس .

١- Pirenne : op. cit ., p. 211 .

٢- Ibid .

٣- Pelayo : op . cit ., p. 33 .

٤- Montavez : Rel ... Alfonso - Baybres , p. 373 .

٥- Montavez : Rel ... Cost... Mam , p . 21 .

٦- Rosell : op. cit ., p. 8 .

كانت مملكة قشتالة تتطلع إلى الحصول على التوابل ومنتجات الشرق الأقصى من سلطنة المماليك - خاصة وأن سلطنة المماليك أصبحت هي الطريق الوحيد لهذه التجارة - أما بالنسبة لسلطنة المماليك فإنها تسعى للحصول على منتجات قشتالة الهامة بالنسبة لها .

فقد كانت البابوية تحرم تجارة الخشب في التبادل التجاري مع سلطنة المماليك، وكانت مملكة قشتالة لاسيما في مدينة طليطلة منتجة لأنواع كثيرة من الخشب فكان بجبالها خشب الصنوبر الذي لايوجد له نظير في طوله وعرضه ويتخذ منه الصواري[1]، وكانت تصنع منه السفن وتعتمد عليه سلطنة المماليك في استخدامها الحربية والبحرية ، أيضا الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص المتوفر في مملكة قشتالة [2].

ويذكر الحميري بأنه «بطليطلة قرية تسمى بمغام وجبالها وترابها الطين المأكول يتجهز به منها إلى مصر والشام والعراق وليس على قرار الأرض مثله في لذة أكله وتنظيف وغسل الشعر به » [3].

ولاشك أن زيت الزيتون ، الذي يزرع في أشبيلية [4]، ويقع في الوادي الكبير والمشهور بانتاجه الوفير من الزيت [5]، كان على رأس القائمة في السلع التي تستوردها سلطنة المماليك

١- «وهذا الخشب الصنوبر الذي بجبال هذه المدينة أحمر صافي البشرة رسم لايتغير سريعا ولايفعل فيه السوس ما يفعله في غيره وهو خشب معروف منسوب» .

الإدريس : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ص١٩٠ .

٢- الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٣ .

القزويني : آثار البلاد ، ص٥٠٢ .

الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ص١٨٨ .

٣- الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٣ .

٤- يذكر الحميري عن مدينة أشبيلية «وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وأسواقها عامر وخلقها كثير وأهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب برا وبحرا فيجتمع هذا الزيت من الشرق وهو مسافة أربعين ميلا كلها في ظل شجر الزيتون والتين أوله مدينة أشبيلية وآخره مدينة لبلة وسعته اثنا عشر ميلا » الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٩ .

أنظر أيضا القزويني : آثار البلاد ص٤٩٧ .

٥- Montavez : Rel ... Cost... Mam ... , p. 19 .

كما كان زيت الزيتون يمثل أول السلع المتوفرة لقشتالة ، تعتمد فيه على تجارتها ، وكانت مصر تحتاج إلى هذا الزيت لاعتمادها عليه كمحصول غذائى ، يؤيد ذلك ما كتبه بحار قبرصى فى أوائل القرن الخامس عشر والذى أكد «من أشبيلية كان يصدر الزيت بكميات كبيرة جدا تفوق فى الماضى ويصدر فى الوقت الحاضر ووسيلة النقل كانت السفن التى كانت تصل إلى الأسكندرية »[1].

ويذكر العينى أيضا رأيا مشابها «هذه المدينة (أشبيلية) تصدر الزيت من أسبانيا لكل ولايات البربر، وتشتريه تونس وكذلك الأسكندرية »[2].

يؤيد ذلك أيضا ابن بطوطة الذى زار مصر فى عهد الناصر محمد بن قلاوون «أصناف الأشياء التى يأكلها المصريون دائما بخبز لم يعرف حتى الآن فى المغرب ويتكون معظم طعامهم العدس والفاصوليا التى يقومون بطهيها فى أوانى كبيرة وكذا يستخدمون زيت السمسم والبسلاء ونوع من الحبوب التى يطهونها بزيت الزيتون» [3].

وعلى الرغم من أن البابوية حرمت التجارة مع سلطنة المماليك فإن مملكة قشتالة لم تظهر فى الصورة لأن تجارتها مع سلطنة المماليك كانت تدور من خلال جمهورية جنوة وعلى سفنها .

ولانجد من بين هذه السفارات التى لم يتضح منها الغرض إلا معاهدة تجارية ذكرتها المراجع الحديثة وهى عقد اتفاقية تجارية بين ألفونسو العاشر وبيبرس فى سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م ولم تذكر شيئا أكثر من ذلك [4].

١- Ibid .

٢- لم نجد فى عقد الجمان للعينى هذه المعلومة ويرجع ذلك إلى أن مونتابث قد رجع إلى نسخة أجنبية .

Montaves : Rel ... Cast ... Mam ... p. 20 .

٣- أما من ابن بطوطة فقد بحثنا فى رحلته المسماة «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ط بيروت سنة ١٩٨١م والتى يتكلم عن مصر فى الجزء الأول من ص٣٠-٧٠ ولم نجد تلك المعلومة ويبدو أن مونتابث قد رجع إلى نسخة أجنبية .

Montavez : Rel ... cast ... Mem , p. 20 ;

٤- Lone, Pool: op. cit ., p. 266 .

محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ، ص١١٩ .

كانت التجارة القشتالية المملوكية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر مجرد بداية بسيطة تعتمد على غيرها من القوى البحرية ، ويرجع ذلك إلى ما تعرضت له مملكة قشتالة فى عهد ألفونسو العاشر من اضطرابات وحروب أهلية بينه وبين ولده ، أما عن التجارة فى أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر فهى بالتأكيد كانت متوقفة إلا بصورة فردية لبعض التجار . فمن استعراض تاريخ مملكة قشتالة بعد عهد ألفونسو العاشر (١٢٨٤-١٣٢٤م) إلى أوائل القرن الرابع وأنهكت قوى المملكة ، هذه الأحداث لم تساعدها على زيادة نشاطها التجارى مع الخارج .



الخاتمة

وصلت مملكتى قشتالة وأراجون إلى مرحلة متقدمة من الاستقرار السياسى والاقتصادى فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى فمنذ نشأتهما حتى هذا التاريخ كانتا منغمستان فى أحداث شبه الجزيرة الايبيرية ، وحملتا على أكتافهما حركة الاسترداد ضد المسلمين فى الأندلس إلى أن وصلتا إلى درجة سمحت لها بالاتصال الدولى خارج شبه الجزيرة ، وتركتا حركة الاسترداد- إلى حد ما- مؤقتا ، نتيجة لظروف سياسية واقتصادية مؤثرة الاهتمام بالسياسة الدولية .

كان منتصف القرن الثالث عشر الميلادى نقطة تحول فى تاريخ مملكة أراجون ، فاتجهت بسياستها التوسعية إلى خارج شبه الجزيرة الأيبيرية بعد معاهدة الميشرا فى عام ١٢٤٤، فكان اتجاهها فى بادئ الأمر إلى جنوب فرنسا لحقوق وراثية لخايم الأول فيها وضمت إلى ذلك مملكة صقلية فى عهد بدرو الثالث نتيجة لثورة صقلية على الحكم الفرنسى ودعوتهم لبدرو الثالث والوريث الشرعى للملكة ، ونتيجة لسيطرتها على مملكة صقلية دفعها تأمينها بتوطيد نفوذها على ساحل تونس المقابل لها ، وأصبحت مسيطرة على الجزء الغربى من البحر المتوسط وساعدها على ذلك أن خايم الثانى يملك أقوى أسطول فى ذلك البحر ، وكان هذا التوسع وازدياد نفوذ أراجون فى حوض البحر المتوسط مقدمة لما سوف تصبح عليه هذه المملكة من اتساع وقوة وتبؤ مكانة كبرى وإمبراطورية عظيمة فيما بعد .

كانت مملكة قشتالة عندما تولى حكمها ألفونسو العاشر سنة ١٢٥٢م مملكة متسعة قوية وصلت إلى درجة عظيمة من التطور السياسى، لكن طموحاته كانت أكثر من إمكانيات مملكته مما عرضها لهزات سياسية واقتصادية أدت إلى كبوتها واضطراب سياستها الداخلية والخارجية.

يتميز عهد ألفونسو العاشر بطموحاته السياسية التى تتمثل فى سعيه للحصول على لقب إمبراطور للإمبراطورية الرومانية المقدسة لكن أكثر ما ميز قشتالة فى عهده ازدهار الثقافة والعلوم ووصلت إلى مكانة كبيرة فى التقدم العلمى .

بذلك فشلت مملكة قشتالة سياسيا واقتصاديا فشلا ذريعا بسبب سياسة ألفونسو العاشر ، وإن كانت شهرته فى تاريخ قشتالة ترجع إلى شخصيته العلمية ومن أهمية المؤلفات العلمية التى تركها فى مجالات العلوم المختلفة .

منذ أواخر عهد ألفونسو العاشر تعرضت مملكة قشتالة إلى اضطرابات داخلية ، فقد سيطرت عليها الحروب الأهلية بسبب التنازع على وراثة العرش والتى أنهكت قواها السياسية والاقتصادية .

ولما بدأت العلاقات السياسية بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك، كانت عدائية بسبب سياسة ممالك أوربا العدائية ضد سلطنة المماليك، وتمثل ذلك فى اشتراكها فى الحروب الصليبية على الشرق عندما اشتركت بحملتها على الشام (عام ١٢٦٩) تدعيما للبقايا الصليبية بدعوى من البابا كليمنت الرابع والتى كان من نتيجتها الفشل الذريع .

وباستيلاء مملكة أراجون على مملكة صقلية ، تغيرت الأحوال السياسية فى أوربا عندما تحالفت فرنسا والبابوية ضد أراجون ، دفع ذلك ألفونسو الثالث إلى تطوير علاقاته مع المماليك وتحالف مع السلطان المنصور قلاوون وشهدت العلاقات تطورا كبيرا بينهما .

كان من نتيجة ذلك التطور فى العلاقات بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك ووضح ذلك من خلال رواج النشاط التجارى بين المملكتين وترتب على هذه العلاقات تنمية العلاقات السياسية والنجاح العسكرى بالنسبة للمماليك ضد أعدائهم فى الشرق ، كما ساعد ذلك مملكة أراجون فى مواجهة فرنسا والبابوية لكسر العزلة السياسية التى فرضت عليها.

وترتب على عقد ألفونسو الثالث لاتفاقية طرسكونة سنة ١٢٩١م مع البابوية وفرنسا أن أصاب العلاقات بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك شيئا من الجمود والتوتر ، لإخلال أراجون بشرط التحالف مع سلطنة المماليك .

وبوفاة ألفونسو الثالث سنة ١٢٩١ وتولية خايم الثانى عادت العلاقات بين مملكة أراجون وسلطنة المماليك إلى شئ من العلاقات الطيبة، فقد رفض خايم الثانى هذه الاتفاقية وترتب عليها أن عاد التحالف الأراجوان المملوكى لسابق عهده ، وتطورت العلاقات السياسية والاقتصادية بينهما وأثمرت إلى عقد معاهدة سياسية تجارية بين خايم الثانى والأشرف خليل فى عام ١٢٩٣، وكان هذا التحالف نتيجة حتمية للعداء بينهما وبين البابوية وفرنسا .

نتيجة لمعاهدة أناجنى فى عام ١٢٩٥م أصبحت العلاقات مفتورة بين المملكتين ، فمبقتضى هذه المعاهدة أنهت مملكة أراجون النزاع مع البابوية وفرنسا ، ودخلت فى طاعة البابوية وأصبحت ملزمة بتنفيذ قرارات البابوية وحصول خايم الثانى على لقب الأميرال والقائد العام للجيوش الكنسية بذلك أصبح مسئولا عن حماية المسيحيين ورعاية شئونهم خاصة فى مصر والشام .

فوصلت العلاقات بين أراجون وسلطنة المماليك إلى عداء كبير ، لكن هذا العداء ، رغم ذلك لم يحقق أغراضه لاسترداد بيت المقدس وحماية المسيحيين بالتحالف مع المغول، فقد هزم المغول فى موقعة مرج الصفر (سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م) .

ولما كانت شئون المسيحيين فى الشرق هى الشغل الشاغل للبابوية وفرنسا وكانت هذه القضية هى المحرك للعلاقات بين أراجون وسلطنة المماليك فلهذا الغرض بدأت العلاقات الودية السلمية مع سلطنة المماليك وأسفرت عن هذه السفارات المتبادلة بين خايم الثانى والناصر محمد بن قلاوون التى تمثل قمة الدبلوماسية والعلاقات السياسية والاقتصادية بين المملكتين .

تحسنت العلاقات بين الدولتين إلى درجة كبيرة التى كان من نتيجتها موافقة الناصر محمد على طلبات ملك أراجون باطلاق سراح الأسرى المسيحيين .

ويستنتج من خلال اهتمام وطلبات ملك أراجون خايم الثانى المستمرة بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين ، وهذا العدد الكبير من الأسرى ، أن الحروب الصليبية ما زالت مستمرة بعد سقوط عكا (سنة ١٢٩١م) على سواحل مصر والشام .

غلب على العلاقات بين ألفونسو العاشر والسلطان بيبرس الصفة الدبلوماسية التجارية ، فلم تحمل السفارات القشتالية مطالب خاصة أو مطالب سياسية أو تجارية بل تضمنت عبارات وهدايا وصلات دبلوماسية دون توضيح لأغراضها .

أما العلاقات بين ألفونسو العاشر والمنصور قلاوون كانت استمرارا للعلاقات بينهما فى عهد السلطان الظاهر بيبرس وكانت سلطنة المماليك خلالها عليمة بكل أحداث مملكة قشتالة وتطورها فى أواخر عهد الفونسو العاشر والخاصة بالحرب الأهلية بين ألفونسو وولده سانشو من خلال سفارة مملوكية أقامت هناك مدة عامين ورجعت بعد تولى سانشو الرابع .

انعدمت العلاقات الرسمية بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك بعد عهد الفونسو العاشر نتيجة للأحداث والاضطرابات الداخلية التى كانت تمر بها مملكة قشتالة والتى تمثلت فى الحروب الأهلية والتنازع على وراثة العرش .

نتيجة لظروف الاقتصادية التى مرت بها مملكة قشتالة أصبحت العلاقات بين مملكة قشتالة وسلطنة المماليك علاقات أكثرها تجارية .

وصلت التجارة الأراجونية فى القرن الثالث عشر الميلادى إلى درجة كبيرة من النمو وبذلك سيطرت على النصف الغربى من البحر المتوسط فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى تجاريا وساعدها على ذلك أنها كانت تمتلك أقوى أسطول فى هذا البحر .

وفى سبيل اهتمامها بالتجارة الخارجية سعت إلى بسط نفوذها على ساحل شمال أفريقيا بجانب سيطرتها على مملكة صقلية وسردينيا وكورسيكا لأهمية موقع كل منهما تجاريا فكانت محطات للطريق التجارى إلى الشرق .

ونجحت فى ذلك وعقدت صلات تجارية مع سلطنة المماليك المسيطرة على طرق التجارة ومهدت لذلك بالعلاقات الودية والصلات العميقة بين الدولتين .

نلاحظ أن التبادل التجارى بين أراجون وسلطنة المماليك قد احتل مكانة كبيرة فى التبادل التجارى بين سلطنة المماليك والممالك الأوربية الأخرى وهذا دليل على مدى اهتمام مملكة أراجون بالتجارة مع مصر ومدى حرص سلطنة المماليك على الاستجابة لحاجات أراجون من السلع المصرية والشرقية .

الملحق الأول

JAIME I A LOS BAILES, VEGUERES, JUSTICIAS, ETC.

Les encarece hagan cumplir las disposiciones pontificias referentes al transporte a tierras de sarracenos de mercancías prohibidas. Define que puede ser considerado como vitualla después de consulta con los franciscanos y predicadores. Y especifica qué mercancías pueden llevarse a tierras de sarracenos aparte del Soldán.

Los navíos pueden llevar vituallas y géneros prohibidos en la medida que pueda considerarse necesaria para servicio propio, así como armas para su defensa.

Barcelona, 3 de agosto de 1274.

Super mittendibus mercibus in terris sarracenorum.

Jacobus Dei gratia rex Aragonum Maioricarum et Valencie comes Barchinone et Urgelli et dominus Montepesulani. Fidelibus suis baiulos vicariis curiis justiciis et universis aliis officialibus et subditis nostris presentibus et futuris ad quos presentes pervenerit; Salutem et gratiam; Cum vos ad mandatum Summo Pontificis imbuerimus ne aliquis de terra nostra sit ausus extrahere portandi ad aliqua loca sarracenorum ferrum, arma lignamina panem nec aliqua alia vectualia; et huiusmodi inhibicionem per vos teneri et observari mandaverimus firmiter ut in literis nostris quos super hoc vobis missimus plenius continebatur; Nunc autem significamus vobis quod nobis modo in Barchinona existentibus probihomines Barchinone comparuerunt coram nobis et rogaverunt nos ut deberemus eiusdem que sub nomine victualium intelligebamus; Nos auten habito consilio cum patribus perdicatoribus et minoribus super predictis ita duximus ordinandum quod nemo de terra nostra sit ausus ad aliqua loca terre vel iurisdiccionis Soldani Alexandrie aliquas merces nec aliquas res prohibitas dum portare nec ad aliqua alia loca sarracenorum deportare vel mittere ferrum arma lignamina plumbeum pegunta filum canali vel aliquod aliud de quam exarcia fieri possit; Nec navem lignum vel aliquod vexellum vendere sarracenis, nec deportare et vel mittere frumentum, ordeum milium, panicium adaçam fabas cicera, nec aliquam farinam ipsorum bladorum vel aliquam aliam farinam; Omnia vero alia possint ad terram Regis Tunicii et ad alia loca sarracenorum excepta terra et dominacioni dicti Soldani Alexandrie libere deportare; Mandantes vobis firmiter et distincte quatenus huiusmodi inibicionem nostram faciatis ad ominibus inviolabiliter observari ut superius continetur et non contraveniatis nec aliquem contravenire permittatis si de nostri confiditis gratia vel amore; Nos autem intelleximus per huiusmodi mandato nostro lignoium et aliorum vaxellorum possint in eorum navibus, lignis et aliis vaxellis portare victualia quacumque eis et marinariis necessaria; nec non et mercatoribus in eisdem euntibus... fuerint quod facere debuntur juxta cognicionem duorum probarum hominum ?? quos vos ad hoc legalis scilizet eligatis; nec quin possit etiam portare in eisdem navibus lignis et vaxellis aliis peguntam clavos ad opus eorum navum et lignum ac etiam aliquorum vaxellorum o arma ad ipsorum deffensionem iuxta similiter cognicionem ipsorum duorum proborum hominum quos vos ad hoc ut dictum esse eligetis; Datum Barchinone III nonas augusti anno Domini M° CCLXX quarto.

(A.C.A. Reg. 19, fol. 164/2; A.M.B. *Llibre Vert*, fol. 237, repite el doc., que es copiado por CAPMANY, *Memorias...*, t. II, pág. 36, doc. XVII.)

ترجمة الملحق رقم (١)
منشور تحريم التجارة مع سلطنة المماليك

من خايم الأول إلى القضاة ومندوبين العدالة [١]:

«الوصاية تنفيذ أوامر البابوية المتعلقة بمنع المتاجرة مع التجار المسلمين ، وحدد البضائع التى يستطيعون المتاجرة بها مثل الطعام بعد استشارة الفرنسيسكان والمبشرين وحدد للتجار ما يحملونه إلى الأقاليم الإسلامية وخاصة إلى بلاد السلطان والسفن تستطيع أن تحمل المؤنة ولكن توجد أصناف ممنوعة والتى تعتبر ضرورية للحرب وأيضا للتسليح من أجل دفاعهم .

برشلونة ٣ أغسطس سنة ١٢٧٤ م.

من خايم نعمة الله ملك أراجون ومايورقة وبلنسية وكونت برشلونة وأرخيل إلى قضاتنا ومندوبين العدالة وموظفينا وأتباعنا والخاضعين لملكنا ، التحية والتقدير .

حيث أننا أوصيناكم حسب تعليمات الحبر الأعظم ألا يجرؤ أحد على نقل بضائع من أراضينا إلى بلاد الشرقيين مثل الحديد والغلال والمواد الخشبية والخبز وأي مواد غذائية أخرى. وأننا قررنا برسائلنا السابقة ما عليكم باتباعه من تعليمات ومحرمات بهذا النصوص .

والآن فإننا بناء على مقابلة قوم من أتباعنا سألوا بالتحديد مذا نقصد بالمواد الغذائية فإننا بعد استشارة الفرنسيسكان والمبشرين والبطاركة قررنا ألا يجرأ أحد بأن ينقل إلى أى مكان تحت ولاء سلطان الأسكندرية أى سلع أو أى شئ ممنوع وألا يرسل إلى أرض المسلمين أو يحمل إليها الحديد، الغلال، المواد الخشبية والرصاص والخيوط أو أى شئ يصنع منه السلاح وألا يبتاع أى سفن خشبية أو أى شئ للمسلمين وألا يرسل إليهم القمح أو الذرة ولا أى نوع من أنواع الدقيق .

فيما عدا هذه الأصناف يمكن إرسال أى شئ آخر لأى أرض إسلامية فيما عدا الأراضى الواقعة تحت ولاية سلطان الأسكندرية .

١- Masia : doc , I , p. 263-264 .

وهذه الوثيقة باللغة اللاتينية القديمة .

وأننا أوضحنا إرادتنا بهذا المكتوب ونأمر بالالتزام بتعليماتنا وبعدم السماح لأى كان بمخالفة أوامرنا ولايتم أى شئ بتصريح خاص من محبتنا .

وإننا نقصد أيضا بهذا أن سفن التجار تستطيع أن تحمل المواد الغذائية الضرورية لبحارتهم وللتجار المسافرين معهم ولكن عليهم أن يفعلوا هذا بمعرفة رجلين صالحين يتم اختيارهما لهذه المهمة، ويجوز أيضا بمعرفة هذين الرجلين المنتخبين أن يصرح لهم نقل ما يلزم سير العمل فى السفن من خشب آلات أو سلاح للدفاع الذاتى .

صدرت فى ٣ أغسطس سنة ١٢٧٤ .

الملحق رقم (٢)

معاهدة تحالف وصداقة بين ألفونس الثالث والمنصور قلاوون

ذكر صلح الريدراكون البرشنونى وأخوه

صاحب صقلية مع مولانا السلطان

فى هذه السنة : وثلت رسل البرشنونى المسمى ذوفنش وهو الذى أخذ ملك الرى جار أخى الفرنسيس، وملك الأنبرور . وتضرعوا إلى رحمة مولانا السلطان فى الصلح على عادة الأنبرور مع الملك الكامل . وأحضر فى جملة هديته إلى الأبواب السلطانية سبعين نفرا من المسلمين الأسارى الذين كانوا فى بلادهم من أزمنة طويلة . وتقربوا من مراضى مولانا السلطان بكل ممكن وتكفلوا بأنهم يكونون أعداء أعداء مولانا السلطان وأصدقاء أصدقائه وأقاموا أياما حتى تحررت نسخة هدنة كتب رسله نسختها بأيديهم بالعربى والفرنجى استصحبوها معهم إلى مخدومهم وإلى أخيه صاحب صقلية ، ويعودون فيستصحبون رسل مولانا السلطان . وحلف مولانا السلطان على ما تقرر، وحلف مولانا السلطان الملك الأشرف .

ونسخة الهدنة

استقرت المودة والمصافاة والصادقة بين مولانا السلطان المنصور قلاوون السيد الأجل العالم العادل، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وحلب ، سلطان الملوك ، ملك الشرق بأسره ، سلطان النوبة - بلاد داود - سلطان البيت المقدس سلطان البيت العالى الشريف بمكة ، أعزها الله، سلطان اليمن والحجاز ، سلطان جميع العرب، سلطان الإسلام جميعهم ، سيد الملوك والسلاطين ، أبى الفتح قلاوون الصالحى وولده- ولى عهده المولى الملك الأشرف السيد الأجل ، العالم العادل ، صلاح الدنيا والدين خليل- والملوك أولاده ، وبين حضرة الملك الجليل، المكرم ، الخطير ، الباسل ، الضرغام ، المفخم ، المبجل ، دون ألفونش الريدراغون وأخيه الملك الجليل المكرم الخطير الأسد الضرغام، الرى دون جام صاحب صقلية وأخويهما دون فلدريك ودون بيدروا ، من تاريخ يوم الثلاثاء المبارك ، ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية-

---

ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص١٥٦-١٦٤ .

صلوات الله وسلامه وتحياته على صاحبها الموافق ذلك لسبع بقين من شهر ابريل سنة ألف ومائتين تسعة وثمانين لمولد السيد المسيح عيسى عليه السلام. وذلك بحضور رسل الملك الريدراغون ، وهم الزعيم الرسول ابن لنجير ستنفس ، وريمون الملمان قرارى برشنونة والحكيم داود ابن حسداى الإسرائيلى - وزير حضرة الملك الريدراغون - وكتابه بكتابه المختوم بختم الملك المذكور المقتضى معناه أن تصدقهم فى جميع ما يقولونه ويقررونه من قواعد الصلح والمودة والصداقة ، وما يتكلفونه من الشروط التى يشترطها مولانا السلطان الملك المنصور على الملك الريدراغون ، وأنه يلتزم بجميع هذه الشروط الآتى ذكرها ، ويحلف الملك المذكور عليها، هو وأخوته المذكورين ، ووضع الرسل المذكورين خطوطهم بجميع الفصول الآتى ذكرها ، بأمره ومرسومه ، وأن الملك الريدراغون وأخوته يلتزمون بها.

وهى : استقرار المودة والصداقة من التاريخ المقدم ذكره على ممر السنين والأعوام وتعاقب الليالى والأيام ، برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، قربا وبعدا ، على أن تكون بلاد مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الأشرف ، والملوك أولاده ، وقلاعهم وحصونهم وثغورهم وممالكهم وموانيهم بلادهم وسواحلها ، وبرورها وجميع أقاليمها ومدنها وكل ما هو داخل فى مملكتهم ومحسوب منها ومنسوب إليها من سائر الأقاليم الرومية ، والعراقية ، والمشرقية، والشامية ، والحلبية ، والفراتية ، واليمنية ، والحجازية ، والديار المصرية ، والغرب ، وحد هذه الأقاليم والبلاد وموانيها وسواحلها ، من البر الشرقى والشامى من القسطنطينية والبلاد الرومية ، والبلاد الساحلية ، واللاذقية ، وطرابلس الشام، وجميع الموانى والبرور إلى ثغر دمياط وبحيرة تنيس ، وحدها من الغربى من تونس وإقليم إفريقية وبلادها وموانيها ، وطرابلس الغرب وثغورها وبلادها وموانيها إلى ثغر الاسكندرية ورشيد ، وبحيرة بنى لبيس وسواحلها وبلادها وموانيها وما تحويه هذه البلاد المذكورة والممالك التى لم تذكر ، والمدائن والثغور ، والسواحل والموانئ ، والطرقات فى البر والبحر ، والصدور ، والورود ، والمقام والسفر من عساكر وجنود ، وتركمان وأكراد وعربان ، ورعايا ، وتجار ، وشوانى ، ومراكب ، وسفن ، وأموال وموانى على اختلاف الأديان ، والأنفار ، والأجناس ، وماتحويه الأيدى من الأصناف والأموال ، والأسلحة والعدد ، والأمتعة ، والبضائع ، والمتاجرة ، قليلا كان أو كثيرا ، قريبا كان أو بعيدا ، برا كان أو بحرا ، آمنة على النفوس والأرواح والأموال، والحريم والأولاد من الملك الريدراغون ومن أخوته المذكورين أعلاه ومن أولادهم وفرسانهم ، وخيالتهم ، ومعاهديهم ، وعمائرهم ورجالهم ، ومن كل من يتعلق بهم . وكذلك كل ما سفتحه الله على يد مولانا

السلطان الملك المنصور ، وعلى يد أولاده وعساكره وجيوشه من القلاع ، والحصون والبلاد والأقاليم ، وأنه يجرى عليه هذا الحكم وعلى أن تكون بلاد الملك الريدراغون وبلاد أخوته وأولاده وممالكه المذكورة وهى بلاد أرغن وثغورها وأعمالها ما يرقه وأعمالها وبلادها ، بلنسية وأعمالها وبلادها ، إقليم برشلونة وأعمالها وبلادها، صقلية وجزيرتها وبلادها وأعمالها، برنولية وأعمالها وبلادها ، جزيرة مالطة وقوصرة وبلادها وأعمالها ، ميرقة ومانسة وبلادها ، واربسويات وأعمالها ، وماسيفتحه الملك الريدراغون من بلاد أعدائه الفرنج المجاورين له بتلك الأقاليم ، آمنة من مولانا السلطان الملك المنصور وأولاده وعساكره وجنوده وشوانيه وعمائره . وهى ومن فيها من فرسان وخياله ورعايا وأهل بلاد آمنين مطمئنين على النفس والأموال والحريم والأولاد فى البر والبحر والصدور والورود ، وعلى أن الملك الريدراغون يكون هو وأخوته أصدقاء من يصادق مولانا السلطان الملك المنصور وأولاده، وأعداء من يعاديه من سائر الملوك الفرنجية وغير الملك الفرنجية .

وإن قصد الباب برومة ، أو ملك من ملوك الفرنج متوجا كان أو غير متوج كبيرا كان أو صغيرا، أو من الجنوية أو من البنادقة أو سائر الأجناس على اختلاف الفرنج والروم والبيوت الإخوة الديوية والاسبتارية ، وجميع أجناس النصارى مضرة مولانا السلطان بمحاربة أو أذية ، يمنعهم الملك الريدراغون ويردهم ويعمر شوانيه ومراكبه هو وإخوته ويقصدون بلادهم ويشغلونهم بنفوسهم عن قصد مضرة بلاد مولانا السلطان وموانيه وسواحله وثغوره المذكورة وغير المذكورة، يقاتلونهم فى البر والبحر بشوانيهم وعمائرهم وفرسانهم وخيالتهم ورجالهم وعلى أنه متى خرج أحد من معاهديهم على مولانا السلطان من الفرنج بعكا وصور وبلاد الساحل وغيرها عن شروط الهدنة المستقرة بينه وبينهم ووقع ما يوجب فسخ الهدنة لايعينهم الملك الريدراغون ولا إخوته ولا خيالته ولا فرسانه ولا أصل بلاده بخيل ولا خيالة ، ولاسلاح ولا مال ولانجدة ولاميرة ولا مراكب ولاشوانى ولاغير ذلك . وعلى أنه متى طلب البابا برومية ، وملوك الفرنج والروم والتتار وغيرهم من الملك اليدراغون أو من إخوته أو من بلاده إنجادا ، أو معاونة ، أو خيالة أو رجاله ، أو مال ، أو مراكب ، أو شوانى ، أو سلاح ، لايوافقهم على شئ من ذلك ، لا فى سر ولا فى جهر ولايعين أحدا منهم ولايوافقه على ذلك، ومتى اطلع على أن أحدا منهم يقصد بلاد مولانا السلطان بمحاربة أو بمضرة يسير يعرف مولانا السلطان بخبرهم وبالجهة التى اتفقوا على قصدها فى أقرب وقت قبل حركتهم من بلادهم، ولايخفيه شيئا من ذلك ، وعلى أنه متى انكسر مركب من المراكب الإسلامية فى بلاد الملك الريدراغون وبلاد إخوته ومعاهديه

يكون كل من فيها من التجار والبحارة ، والمال والمماليك والجوار آمنين على الأنفس والأموال والبضائع ويلتزم الملك الريدراغون أن يحفظهم ويحفظ مراكبهم وأموالهم ، ويساعدهم على عمارة مركبهم ، ويجهزهم وأموالهم وبضايعهم إلى بلاد مولانا السلطان. وكذلك إذا انكسرت مركب من بلاد الريدراغون وبلاد إخوته فى بلاد مولانا السلطان يكون لهم هذا الحكم المذكور أعلاه وعلى أنه متى مات أحد من تجار المسلمين ومن نصارى بلاد مولانا السلطان أو ذمة أهل بلاده فى بلاد الريدراغون وبلاد إخوته وأولاده ومعاهديه لايعارضوهم فى أموالهم ، ولافى بضائعهم ، ويحمل مالهم وموجودهم إلى بلاد مولانا السلطان ليفعل فيه ما يختار . كذلك من يموت فى بلاد مولانا السلطان من أهل مملكة الريدراغون وبلاد إخوته ومعاهديه فلهم هذا الحكم المذكور أعلاه ، وعلى أنه متى عبر على بلاد الملك الريدراغون رسل من بلا مولانا السلطان قاصدين جهة من الجهات البعيدة أو القريبة صادرين أو واردين أو رماهم الريح فى بلاده يكون الرسل وغلمانهم وأتباعهم ومن فضل معهم من رسل الملوك وغيرهم آمنين محفوظين فى الأنفس والأموال ويجهزهم إلى بلاد مولانا السلطان . وعلى أن الملك الريدراغون لايمكن الحرامية ولا الكرسالية من التزود من بلاده ولا من حمل ماء ، ومن ظفر به من الحرامية يمسكه ويفعل فيه الواجب، ويسير ما يجده معهم من الأسرى المسلمين فى البضائع والحريم والأولاد إلى بلاد مولانا السلطان . كذلك أن حضر أحد من الحرامية إلى بلاد مولانا السلطان يجرى الحكم فيه لبلاد الريدراغون متى جرى من واحد من بلاده قضية توجب فسخ هذه المهادنة، كان على الملك الريدراغون طلب من فعل ذلك وفعل الواجب فيه. وعلى أن الملك الريدراغون يفسح لأهل بلاده ، وغيرهم من الفرنج فى أنهم يجلبون إلى الثغور الإسلامية الحديد والبياض والخشب وغير ذلك وعلى أنه متى أسر أحد من المسلمين ومن البر أو البحر من مبدأ تاريخ هذه المهادنة من سائر البلاد شرقها وغربها أقصاها وأدناها ووصلوا به إلى بلاد الملك الريدراغون . وبلاد إخوته ومعاهديه ، ليبيعوه فيلزم الملك الريدراغون فك أسرهم وحملهم إلى بلاد مولانا السلطان . وعلى أنه متى كانت بين تجار المسلمين وتجار بلاد الريدراغون معاملة فى بضائعهم وهم فى بلاد مولانا السلطان كان أمرهم محمولا على موجب الشرع الشريف .

وعلى أنه متى ركب أحد من المسلمين فى مراكب الملك الريدراغون ، وحمل بضاعته معهم وعدمت البضاعة ، كان على الملك الريدراغون ردها إن كانت موجودة أو قيمتها إن كانت مفقودة . وعلى أنه متى هرب أحد من بلاد مولانا السلطان الداخلة فى هذه المهادنة إلى بلاد

الملك الريدراغون وبلاد أخوته، أو توجه ببضاعة لغيرة وأقاملتلك البلاد كان الريدراغون رد الهارب والمال معه إلى بلاد مولانا السلطان ما دام المذكور مسلما ، وإن تنصر فيرد المال الذى معه خاصة. ولمملكة الريدراغون ولمملكة أخيه فيمن هرب من بلادهم إلى بلاد مولانا السلطان ، هذا الحكم المذكور أعلاه ، وعلى أنه إذا وصل من بلاد الملك الريدراغون وبلاد أخوتهم ومعاهديهم من الفرنج ، من يقصد زيارة القدس الشريف، وعلى يده كتاب الملك الريدراغون وختمه إلى نائب مولانا السلطان بالقدس ، يفسح له فى الزيارة مسموحا بالحق ليقضى زيارته ، ويعود إلى بلاده آمنا مطمئنا فى نفسه وماله ، رجلا كان أو امرأة ، بحيث أن الملك الريدراغون ، لايكتب لأحد من أعدائه ، ولا من أعداء مولانا السلطان فى أمر الزيارة بشئ . وأن الملك الريدراغون يحرس جميع بلاد مولانا السلطان من كل مضرة ، ويجتهد فى أن أحدا من أعداء مولانا السلطان لايصل إلى بلاد مولانا السلطان ، ولاينجدهم على مضرة بلاد مولانا السلطان الملك المنصور، ولابلاد ولده السلطان الملك الأشرف ، ولا رعاياهم وأنه يساعد مولانا السلطان وولده الملك الأشرف فى البر والبحر بكل ما يشتهونه ويختارونه وعلى أن الحقوق الواجبة على من يصدر ويرد ويتردد من بلاد الملك الريدراغون إلى ثغرى الأسكندرية ودمياط وإلى الثغور الإسلامية ، والممالك السلطانية ، وسائر أصناف البضائع والمتاجر على اختلافها تستمر على حكم الضرائب المستقرة فى الدواوين المعمورة إلى آخر وقت ، ولايحدث عليهم فيها حادث ، وكذلك يجرى الحكم على من يتردد من البلاد السلطانية إلى بلاد الريدراغون .

تستمر هذه العودة والمصادقة على حكم هذه الشروط المشروحة أعلاه بين الجهتين على الدوام والاستمرار ، وتجرى أحكامها وقواعدها على أجمل الاستقرار فإن المملكتين بها قد صارتا شيئا واحدا ومملكة واحدة ، لاتنتقض بموت أحد من الجانبين ولا بعزل وال وتولية غيره ، بل تؤيد أحكامها وتدوم أيامها وشهورها وأعوامها. وعلى ذلك انتظمت واستقرت فى التاريخ المذكور أعلاه ، وهو يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وستمائة للهجرة المحمدية صلوات الله وسلامه على صاحبها ، الموافق لسبع بقين من شهر ابريل سنة ألف ومائتين تسعة وثمانين لمولد السيد المسيح عليه السلام

حررت فى التاريخ المذكور

نسخة اليمين التى حلف مولانا السلطان
عليها للملك الريدراغون ولأخوته

أقول- وأنا قلاوون بن عبد الله الصالحى : والله ، ولله ، وحق دين الإسلام ، وحق القرآن العظيم ، الذى يعتقده المسلمون أن هذا الصلح والصداقة الذى تقرر بينى وبين الملك الريدراغون لا أغيره ، ولا أخرج عنه ما دام الملك الريدراغون وافيا باليمين يحلفه رسلى بها هو وإخوته عن نفسى وعن أولادى وعن أهل بلادى جميعهم . والله على ما أقول وكيل .

ونسخة اليمين التى حلف بها مولانا السلطان
الملك الأشرف بحضور والده- نصرهما الله-

أقـول - وأنا خليل بن قـلاوون : والله ، والله ، والله وحق دين الإسـلام ، وحق القـرآن العظيم الذى يعتقده المسلمون أن هذا الصلح والصداقة الذى تقرر بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين، ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سلطان الشرق والغرب، سيد الملوك والسلاطين والذى- نصره الله- وبينى وبين الملك الريدراغون لا أغيره ولا أخرج عنه ولا أخلى أحدا يغيره ما دام الملك الريدراغون وافيا باليمين التى يحلفه رسل مولانا السلطان - نصره الله- هو وأخوته ، عن نفسه وأخوته .

نسخة اليمين التى يحلف عليها الملك الريدراغون

أقول - أنا ذوفنش : والله - والله ، والله وحق المسيح وحق الصليب وحق الست مارية - أم النور- وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى ومرقص ولوقا ويوحنا- ، وحق الصوت الذى نزل على نهر الأردن فزجره، وحق دينى ومعبودى واعتقادى أننى من وقتى هذا ، وساعتى هذه ، وما مد الله فى عمرى قد أخلصت نيتى ولافيت سريرتى وساويت بين ظاهرى وباطنى فى مصادقة مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين سلطان الديار المصرية والشام وحلب والروم والعراق والشرق والغرب، سلطان الإسلام جميعهم ، سيد الملوك والسلاطين ، أبى الفتح قلاوون الصالحى، ومصادقة ولده- ولى عهده المولى السلطان الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل، والملوك أولاده ، ومودتهم والاستمرار على محبتهم ، وأن مملكتى ومملكتهم تكون شيئا واحدا فى الحفظ والصداقة والمودة ملكا واحدا ، وأننى وحق المسيح الطيب ، وحق الإنجيل ، صديق أصدقاء مولانا السلطان الملك المنصور ، وأصدقاء

أولاده ، ومعادى معاديهم ومحارب من يقصد بلادهم من سائر الفرنجية وأجناس النصارى كائنا من كان وأقاتلهم وأشغالهم بنفوسهم عن قصد بلاد مولانا السلطان الملك المنصور بحرب أو مضرة ، وأعتمد فى ذلك كله مقتضى شروط المهادنة والصداقة المؤرخة بيوم الثلاثاء ، ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسعة وثمانين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية ، الموافق لسبع بقين من شهر ابريل ، والتى انتظمت بين مولانا السلطان الملك المنصور ، وولده الملك الأشرف والملوك أولاده ، وبينى وبين إخوتى الثلاثة وهم الرى حاكم صقلية ، وفلدريك ، ودون بيدروا بحضور رسلى المذكورة أسماؤهم فى المهادنة المذكورة وأمرى لرسلى بأن يلتزموا عنى وعن إخوتى ، بجميع ما فيها من الأحكام والشروط ما دامت اليالى والأيام والشهور والأعوام بمقتضى كتابى إلى مولانا السلطان المنصور وختمى عليه بذلك ، ولا أنقض شيئا من شروطها ، وأستمر بها أنا وأخوتى وأولادى ومملكتى، ما دامت الأيام والليالى لمملكة مولانا السلطان الملك النصور ، ومملكة ولده السلطان الأشرف وأولاده فى غير تغيير ولاتبديل وأننى والله العظيم ، أحفظ رعية بلاد المسلمين كلهم فى بلادى، وأتوصى بهم وأفعل معهم بشروط المهادنة المذكورة ، ومتى خالفت شروطا منها ، فأكون محروما من دينى، مخالفا لاعتقادى واعتقاد أهل ملتى واليمين يمينى أنا والنية فيها نية مولانا السلطان الملك المنصور ، ونية ولده الملك الأشرف ، ونية أولاده الملوك ونية مستحلفى لهم بها ، والإله على ما أقول وكيل .

الملحق رقم (٣)

JAIME II A MALEK AL-ASCHRAF DE EGIPTO

Notifica el viaje de sus embajadores Romeu de Marimón y Ramón Alcmany, que van a proponer amistad y alianza. Jaime cuenta el estado de sus relaciones con Castilla y Portugal, pide una alianza militar con Egipto y la libertad de los cautivos súbditos aragoneses.

Barcelona, 10 de agosto de 1292.

Magnifici principi Melich Alexaraf Regi Alexandrie dominumque Babilonie et ipsarum partium, Jacobus Dei gratia rex Aragonum, Sicilie, Maioricarum et Valencie ac comes Barchinone salutem et gratiam. Cum nos mittamus ad vos causa legationis dilectum consiliarium familiarem et fidelem nostrum Romeu de Marimundo, Civitatis Barchinone nostre vicarium ac Vallensis cui associavimus fidelem nostrum Raimundum Alamanni civem Barchinone et comiserimus eisdem legatis nostris quedam vobis ex parte nostra oretenus referenda Magnificenciam vestram attente rogamus quatenus predictis legatis nostris credatis de omnibus iis que ex parte nostra vobis oretenus duxerint referenda. Datum Barchinone quarto idus augusti anno Domini Millessimo CCCX° secundo.

Hec sunt capitula legationis predicte.

La primera raho es la salutacio de part del senyor rey al Solda e donarli les letres de creença.

I. — Lo primer capitol de la messatgeria es que com sia certa cosa quel senyor rey n Anfos de bona memoria trameses sos missatges al dit Solda e a son fill qui ara es Solda e fos ordonada pau e amor e concordia e bona voluntat entre los nobles Solda e son fill e los missatges del molt alt senyor rey n Amfos e don Frederich, don Pedro, sos frares los damunt dits nobles Solda e son fill qui vuy es Solda requeriren quel molt alt e molt poderos senyor en Jacme rey qui vuy es d Arago e de Sicilia fos ab ells en la dita pau e amor e concordia e bona voluntat, axi com lo molt alt senyor rey n Anfos de bona memoria perço car tots temps la casa de Babilonia e dell Imperi la qual casa del Imperi lo dit senyor rey en Jacme tenia e te son estades en una amor, una voluntat e una concordia.

II. — Lo segon capitol es que com lo molt alt senyor rey n Anfos que per voluntat de Deu sia pasat desta vida e lo damunt dit senyor rey en Jacme sia ara rey d Arago e de Sicilia e de Maylorches e de Valencia e comte de Barchelona e aia entesa e sabuda la dita missatgeria jatsia que no pogues entesa la missatgeria damunt dita o no fos estada feta, volent esser ab lo Solda axi com los seus antecessors han estats ab los seus vol e li plau que amor pau e concordia e bona volentat sia entre els e ferma e durable daxi en mils com antigament ha estat entre la casa del Imperi, la qual lo dit senyor rey en Jacme te, e la casa de Babilonia qui tos temps ha estada una amor una concordia una voluntat e per aquesta raho tramet sos missatges al Solda, perço que la dita pau amor e concordia tracten entrel noble Solda e lo dit senyor rey en Jacme.

III. — Lo ters capitol es : quel molt alt senyor rey en Jacme fa a saber al noble Solda, axi com a honrat e a especial amic e benevolent seu, sa amor, son honrament, sos afers, ses guerres les quals lonchs de temps ha audes ab sos enemichs, ço es a saber e ab lo rey de França e ab lo Princep, e ab molts d altres grans e poderosos e dels quals nostre Senyor Deu tot poderos per la sua santa misericordia ha dat honradament e victoria en les dites guerres al dit senyor rey en Jacme contra tots sos enemichs en axi quels ha tolts regnes, terres e moltes victorias que ha ahudes de les batalles per mar e per terra les quals totes coses fa saber lo dit senyor rey al honrat Solda, perço car es cert que de tot honrament qu el aia es alegre e goyos axi com el seria del seu.

IV. — Lo quart capitol es : Con lo senyor rey en Jacme fa a saber al dit Solda que el ses mesclat per matrimoni ab lo poderos e honrat rey de Castella en axi que ha presa sa filla per muller e es ab ela una casa e una volentat en axi que no ha diferencia alcuna entre els ; ans los regnes del un e de laltre son tots una cosa e una voluntat e una concordia, e en axi que la una ha valer e l altre contra totes persones, ab cors e ab avers, e ab gens e ab terres, e ab tot lur poder, e han d esser amics del amics e enemics dels enemics e aquesta amistat e fraternitat e unitat es tan fort fermada que per nenguna manera soure ne desfermar nos pot. Encara li fa a saber la amor e la concordia e la bona voluntat que es entre ell e l onrat e poderos rey de Portogal cunyat seu, car ha sa sor per muler, perque li fa a saber que axi per si com per los dits honrats reys de Castella e de Portogal, li promet que la amor e la amistat quel dit senyor rey aura ab ell, auran els ab ell aytambre.

V. — Lo quint capitol es : que com lo dit molt alt senyor rey en Jacme per si e per sos amics, sia amic del dit noble Solda, e de la sua terra, e de les sues gens, e lo dit senyor rey contena e guerreig ab molts grans e poderosos enemichs seus ço es a saber el rey de França e el Princep e ab altres perque li cove a fer molts grans messions, quel prega axi com a honrat amic special e benevolent seu que perço que mils pusca e pus longament menar les guerres que ha ab los dits enemichs axi per mar com per terra, e per molts e diverses de cavalers e de galees e d omens de peu quel dit Solda assa aiuda en prest o en altra manera al dit senyor rey, perço que les dites guerres pusca mils e pus esforcidament e pus longament menar e tenir ; perço que com lo senyor rey sera pus sobrer e pus poderos a sos enemichs damunt dits, maior honrament sera del dit Solda, e maior profit ne vendra a la sua terra axi com debe d un amic debe a honrament a l altre amic. Com el senyor rey ha de tantes galees e tants de cavalers e homens de peu, tan ardits e tan bons darmes, segons que el dit Solda por conexar e entendre per los grans fets e per les grans victories qu el rey ha audes de sos enemics per bonam e per ardiment de ses gens ab la aiuda de Deu, en sol que aia bastament de monedas, ell dara tant a fer a sos enemichs damunt dits, que tots temps los sera sobre els tendra ahonçats de tal manera que sera prou e honrament del dit senyor rey d Arago e de tots aquells qui seran amics e gran minve dels enemics.

VI. — Encara prega lo senyor rey lo dit Solda que per amor dell e en

ترجمة الملحق رقم (٣)

رسالة خايم الثانى إلى الملك الأشرف خليل[١]

«الازلان بقيام رحلة سفراء» وهما رميو دى مايمون Romeu de Marimon ورامون المانى Ramon Alemany ليقدموا اقتراحات بمعاهدة صداقة وتحالف فخايم أدخل كل من مملكتى قشتالة والبرتغال فى التحالف وقد عقد تحالف عسكرى مع مصر وتحرير الأسرى الأرغونيين .

برشلونة ١٠ أغسطس ١٢٩٢

خطاب التصديق

الأمير الفخم المبجل الملك الأشرف ملك الأسكندرية وحصن بابليون وأطرافها من خايم نعمة الله ملك أراجون وصقلية وميورقة وبلنسية وكونت برشلونة دامت عليه نعمة الله .

نرسل لكم بالسفارة والتى يقوم بها المستشار المخلص رميو دى ماريمون Romeu de Marimundo قاضى مدينة برشلونة والوديان ، والذى يصحبه صديق مخلص هو Raimundum Alamanoni مواطن من برشلونة وقد أمرناهم بتقرير قواعد الصلح والوعد بتنفيذ شروط الصلح واحترامها وأن تشقوا فى كل ما يعرضه سفراؤنا السابق ذكرهم من جانبنا والتى يعرضونها عليكم .

صدر فى برشلونة يوم ١٧ أغسطس ١٢٩٢ .

نص الخطاب

أولا : التحية والسلام للسلطان من الملك . تسلميه خطاب التصديق .

الفصل الأول :

بما أن الملك ألفونس الثالث ملك أراجون الطيب الذكر والذى كان قد أرسل رسله إلى ذلك السلطان وإلى ابنه والذى أصبح اليوم هو السلطان وكان قد أرسى قواعد الحبّ والود والسلام

١- الوثيقة باللغة الكتالونية القديمة . Masia : Doc . 2 , p. 264-266

الوثيقة باللغة الأسبانية الحديثة . Chpmany : Op. Cit ., p. 26-39

بين السلطان وابنه وبين رسل الملك ألفونسو وأخيه دون فردريك ودون بدرو أخويه والسلطان وابنه والذى يكون السلطان اليوم وأن يدخل معهم فى السلام والحب والود والرغبة الطيبة. كذلك الملك ألفونسو الطيب ، وذلك فإن لأوقات طويلة (قبل ذلك) فإن حصن بابليون والإمبراطورية ، تلك الإمبراطورية التى دانت ولاتزال تدين للملك جيمس ظلتا فى وئام وحب ووفاق .

الفصل الثانى :

وبما أن الملك بإرادة الله قد ترك هذه الحياة وأن الملك الحالى خايم ملك أراجون وصقلية ميورثة وبلنسية وكونتية برشلونة وأنه قد وضحت الرسالة المذكورة ، فإننى أرجو أن يكون لنا وللسلطان نفس الحظ الذى سار فيه أسلافنا معا ونحن نرغب منكم أن يكون بيننا الحب والسلام والوفاق والإرادة الطيبة الدائمة والقوية بل أحسن من ذلك كما كان قديما بين دار الإمبراطورية التى يملكها خايم وبين حصن بابليون ، دائما كان بيننا الحب والوفاق والرغبة الطيبة ولهذا السبب نرسل سفرا منا للسلطان كى نقيم ذلك السلام والحب والوفاق بين السلطان النبيل والملك المذكور دون خايم .

الفصل الثالث :

ويفيد الملك خايم السلطان النبيل علما بصفته صديقه العزيز والخاص والمختص بحبه وهداياه وتجارته وأن حروبه التى دامت طويلا مع أعدائه كانت للعلم مع ملك فرنسا ومع الأمير ومع كثيرية آخرين ، أقوياء وكبار ولأن ربنا السيد الأقوى من الجميع ، فإنه برحمته المقدسة قد منح الشرف والنصر فى كل تلك الحروب إلى الملك والسيد دون خايم على كل أعدائه لدرجة أنه قد جردهم من ممالك وأراضى ومنحه هو الانتصارات الكثيرة فى كل المعارك فى البحر وفى البر وأن كل هذه الأشياء التى يشترك فيها الملك خايم والسلطان الشريف فإنه على يقين من أنه سيسعد وسيفرح بها كما لو كان هو الذى قام بها .

الفصل الرابع :

أن الملك دون خايم ، يعلم السلطان ، فإنه بسبب المصاهرة معْ الملك الشريف والقدير ملك قشتالة حيث أن الملك خايم قد تزوج من ابنته وأنه بنفس الرغبة وبنفس الشئ فإنه لاتوجد أى خلافات بينهما وهكذا فإن ممالك هذا وممالك ذاك شئ واحد وإرادة واحدة ووفاق واحد بالطريقة التى يجب أن يقدر الواحد للآخر بأى شئ بالأشخاص بالأموال بالرجال بالأراضى وبكل قدرته

ويجب أن يكون أصدقاء الأصدقاء وأعداء الأعداء وهذه الصداقة والأخوة والوحدة تكون أقوى وأكثر صلابة من أن يزيلها ويفككها أى شئ كذلك أيضا يشاركه فى الحب والوفاق والرغبة الطيبة التى توجد بينه وبين ملك البرتغال القوى الشريف صهره حيث أن هذا تزوج من أخته ولهذا فإنه يفيده علما أنه لذلك فملكى البرتغال وقشتالة يشاركانه نفس الحب والصداقة وما سيكون بينه وبين الملك المذكور ، سيكون بينه وبينهم .

الفصل الخامس :

وكما أن الملك السيد السامى دون خايم يأمن جانبه وجانب أصدقائه يكون صديقا للسلطان النبيل المذكور لأراضيه ولشعوبه ، وأنه يصارع ويحارب أعداء أقوياء كبار كما هو معروف، إنهم يكونوا ملك فرنسا والإمير وآخرين، وإنه ينبغى عليه أن ينفق مصاريف كثيرة جدا فأنه يرجو من حضرتك وبصفتكم صديقه الشريف والخاص والمحبوب وذلك حتى يتحمل فى قوة ولوقت طويل الحروب التى يديرها ضد أولئك الأعداء سواء فى البحر أو فى البر وفى مواضع كثيرة ومتعددة بحيث يجب عليه أن يقيم حدودا من الفرسان ، والأمراء والعرباء يرجوه أن يمده السلطان المذكور ببعض العون ، على سبيل الاقتراض أو على شكل آخر وذلك حتى يستطيع أن يواصل ويستمر فى حروبه فى قوة، ولأن الملك له الميزة والمقدرة الكبرى على أعدائه المذكورين أعلاه فإن شرفا كبيرا سيكون من السلطان المذكور ونفعا عظيما سيعود على أرضه أى أنه من خير الصديق يأتى الخير والشرف للصديق الآخر. وبما أن الملك له من المركبات (الحربية) والفرسان والأمراء الشجعان والأقوياء فى القتال الكثير والكثير على أعدائه بفضل شجاعته وتقدير شعوبه مع مساعده الرب والذى فقط بأموال كافية سينتصر على أعدائه المذكورين أعلاه ، والذى سيكون له التفوق عليهم إلى الأبد وسيجعلهم طوعا له بالشكل الذى يكون مشرفا ونفعا لملك أراجون المذكور ، ولكل الذين يكونوا أصدقاء له وعارا على أعدائه .

الفصل السادس :

أيضا يرجو الملك من السلطان المذكور ، حبا منه ، ودليلا على الصداقة الخاصة التى تكون بينهما وحتى يعرفا ويدركا عاجلا هذا الحب ولكى ينال رضى الأصدقاء وسخط وغيظ الأعداء فإن الملك يرجو أن يطلق سراح الأسرى التابعين لأراضى ملك أراجون النبيل وأراضى ملكى قشتالة والبرتغال والذين سيكونون أصدقاء وأحباء للسلطان وأن يتم إرسالهم إلى ملك أراجون المذكور .

الملحق رقم (٤)

JAIME II A MUHAMMAD IBN QALAWN DE EGIPTO

Eymerico Dusay es portador del mensaje siguiente: Quejas por el cierre de las iglesias de El Cairo y Babilonia. Reclamación de cuatro frailes cautivos y de doce mil besantes de plata que la aduana de Alejandría confiscó a mercaderes de Barcelona.

Villafranca del Panadés, 1 de junio de 1303.

Al molt alt e molt noble e molt poderos e nomenat savi e discret Melich Annacer Soldan de Babilonia e de tota la terra de Levant fil ça enrera del molt alt e molt noble e molt poderos Melich Amansor Soldan de Babilonia e de tot Levant; En Jacme per la gracia de Deu Rey d Arago, de Valencia, de Murcia e de Barcelona e de Serdenya e de Corsega e de la Sancta Esgleya de Roma ganfononer almiral e capita general; Salut moltes e amor; Con nos aiam entes que vos aiats ordonat que totes les esgleyes del xcripstians qui son en Elcayre e en Babilonia sien tancades; E nos franchament e sens nul embarch als sarreyns qui son en tots los nostres Regnes e terres lexem entrar en lurs mesquites e fer fur offici axi com si eren en lur terra; pregam vos que vos les dites esgleyes fassats obrir e en aqueles lexets als dits xripstians fer e cantar l offici de Deu; Aiam entes encara que missatges d Acre qui anaren al Solda qui lavors era entrels quals son frare Lop de Linares e l altre frare G. de Vilalba e frare Berthomeu de Vilafrancha e frare G. d Ostalrich qui foren preses en Triple son en vostra preso; per queus pregam carament que vos los dits preses nos deiats donar e otorgar e trametre per ço com son naturals nostres; Sia encare mostrat a nos per mercaders de nostra terra que XII mill besans foren preses a mercaders de la ciutat de Barchelona per la aduana d Alexandria; per queus pregam que vos los dits XII mill besants ordonets e manets restituir a els o a lur procurador; E com nos pensam la gran amor e amistat qui estada es entre la casa de Babilonia e la casa nostra d Arago, E per ço de preseus aiam provehit e ordonat de trametre a la vostra presencia lo feel e familiar nostre n Eymerich Dusay pregan vos que vos al dit Eymerich deiats creure de ço que sobre les dites coses vos dira de nostra part;

Datum en Villafrancha de Penedes lo primer dia del mes de juny, En lany de MCCCIII.

Petrus de Lerona notarius regii.

Semblant carta de la damunt dita fo feta levant lo nom de Solda tan solament e de son pare e fo liurada al dit n Eymerich Dusay; Datum ut supra.

(A.C.A. Reg. 334, fel, 107, GOLUBOVICH, t III, pág 75.)

ترجمة الملحق رقم (٤)

«من خايم الثانى إلى محمد بن قلاوون ملك مصر[١]

السفير ايمريك حامل الرسالة التالية والتى تتضمن الشكوى من إغلاق الكنائس فى القاهرة وبابليون والمطالبة بأربعة رهبان أسرى و١٢ ألف بيزتا من الفضة قد صودرت فى جمرك الأسكندرية من تجار برشلونة .

موقعة فى Villafranca del panades ١ يونيو سنة ١٣٠٣ .

نص الخطاب

إلى الأمير المبجل المفخم الملك الناصر سلطان بابليون وكل أراضى الشرق ابن الأمير المبجل الملك المنصور سلطان بابليون وكل أراضى الشرق.

من خايم نعمة الله ملك أراجون وبلنسية وميورثة وبرشلونة وسردينيا وكورسيكا وحامى كنيسة روما والأميرال والكابتن العام بكل الصداقة والحب فنحن نرجو منكم أن تأمروا بفتح كل الكنائس والتى قد أغلقت فى القاهرة بابليون مع منحهم حرية العبادة فى كنائسهم وحرية المرور كما نحن نعطى للمسلمين تحت حكمنا حرية العبادة فى مساجدهم وقد جاء لكم سفراء من عكا إلى السلطان ويطلبون إطلاق سراح أربعة رهبان ونحن نؤيد هذا الطلب بإطلاق سراحهم وهم G. de Vialba . lop de Linares

Berthomu de Villafrancha . G . de ostalrich

وهم قد أسروا فى طرابلس ، ويوجد لدينا رجاء آخر فإنه فى جمرك الأسكندرية قد أخذت من تجار من مدينة برشلونة ١٢ ألف بيزتا قد حجزت منهم ظلما والرجاء الأمر برد الـ ١٢ ألف بيزتا إلى هؤلاء التجار. وبكل الحب والصداقة بين حصن بابليون ومملكتنا نحن ملك أراجون نقدم التوصية والاهتمام بفخامة سفيرنا ايمريل دوساى والذى نحن نثق فيه. نخوله حق المفاوضات .

صدر فى ١ يونيو سنة ١٣٠٣

١- Masia : Doc . 25 , p. 260 .

الملحق رقم (٥)

JAIME II A MUHAMMAD IBN QALAWN DE EGIPTO

Le envía de nuevo a Eimerico. Dusay. Ha recibido a su enviado Farj el-Din, quien vino para cerciorarse de la legitimidad de la embajada anterior. Pide cautivos, protección para los cristianos residentes en Egipto y exención de impuestos a favor de quienes visiten el Santo Sepulcro. Cediendo a súplicas de Fernando IV de Castilla pide sean libertados unos súbditos de éste cautivos en Egipto.

Barcelona, 1 de septiembre de 1305.

Al molt alt e molt noble e molt poderos e nomenat savi discret Melich Annaçer Solda de Babilonia e de tota la terra de Lavant En Jacme etc. Saluts moltes e amor; ben creem que remembra a la vostra noblea e savier en qual manera nos confians de la vostra amor e moguts de pietat vos trametem nostre misatge lo fael e familiar nostre n Eymerich Dusay ab carta nostra en queus pregavem que les esglesies dels xripstiams que son El Cayre e en Babilonia e en alguns altres locs sots la vostra proteccio e senyoria les quals aviets manades tancar als dits crestians per amor de nos feessers manasets obrir e en aqueles lexassets fer e cantar als dits xripstians l ofici de Deu, per ço cor nos en nostres Regnes e terres a tots los sarrahins qui aqui son ne estan franchament e sens null embarch jaquim entrar en lurs mesquites e fer tot lur offici axi con si eren en la lur terra; pregam encara la vostra noblea que deges a nos dar e otorgar alguns catius qui son en poder vostre la vostra noblea segons que a nos ha estat proposat per lo dit Eymerich missatge nostre e encara per l onrat missatge vostre per vos a nos trames per nom Mir Facardi repos molt francament e liberal de totes les dites coses mas per ço cor la casa de Babilonia era estada escarnida per alguns falsaris missatges ordona la vostra noblea de trametre a nos lo dit missatge per tal que ho sabes de nos; E ja sia ço que a nos plac molt e nostre cor e aguem gran plaer del dit missatge; Empero no deu duptar ne aver sospita la vostra noblea que de neguna letra ne carta en que la nostra maiestat sia ne de missatge nostre puga esser trobada sino veritat. On encara pregam la vostra noblea que vos per gracia e per amor nostra dejats a nos otorgar les dites coses, plassia encara a la vostra noblea de dar e de otorgar a nos tots los cautius qui en poder vostre son que de la terra nostra sien; Estper com nos confiam molt de la vostra amor volem pregar e pregam carament la vostra noblea que plassia a vos datorgar e de fer gracia a nos que per honra nostra tot xripstia qui vaia o entena d an- al Sepulcre portant nostra carta ab nostra bulla pusca anar, estar e to..ar salv e segur per tota nostra terra e senyoria no pagan ne donan negun d et ni tribut; E com a tot bon princep pertanga de mantenir tots aquels qui en sa terra e proteccio son e estan sien e estien en vostra proteccio e guarda e comanda axi que els pusquen conexer quey fassa la vostra noblea per l amistat vostra e

nostra; E encara que usen e pusquen usar aqui axi con feyen el temps del molt noble e honrat para vostre; E sobre totes aquestes coses avem proveyt e ordonat de trametre encara a vos lo dit Eymerich Duzay ab lo dit missatge vostre, al qual Eymerich pregam la vostra noblea que deiats creure d aço que sobre les dites coses vos dira de part nostra; E com nos siam estats pregats pel noble e car nabot nostre don Ferrando Rey de Castiela que deiam la vostra noblea pregar per Johan Pereç Calvete e Vascho Periç Fajardo e Alfonso Periç qui son en vostre poder los quals son de ça terra; E encara per alguns siam estat pregats per Bertran de la Popia de Caersi, qui es e comarca ab la nostra terra e els quals tenim axi com a nostres, pregam la dita vostra noblea que placia a vos los dits catius dar e otorgar a nos e trametre ensemps ab los altres de queus pregam per lo dit missatge nostre.

Feta en la ciutat nostra de Barchinona lo primer dia de setembre; En el any de Nostre Senyor MCCCV.

P. de Lerona notarius regii.

(A.C.A. Reg. 334, fol. 107r; GOLUBOVICH, t. III, pág. 77.)

ترجمة الملحق رقم (٥)

«من خايم الثانى إلى الناصر محمد بن قلاوون[١]

يرسل السفير اميريل دوساى فى سفارة جديدة ، وكان قد تلقى سفارة فخر الدين والتى حضرت للتأكد من السفارة السابقة، وهذه السفارة تتضمن مطالب إطلاق سراح الأسرى وحماية المسيحيين الموجودين بمصر وإعفاء المسيحيين زوار القبر المقدس من الجزية وتقديم التماس الملك فرديناند الرابع ملك قشتالة من أجل تحرير بعض الأسرى من رعاياه فى مصر .

برشلونة ١ سبتمبر سنة ١٣٠٥

نص الخطاب

إلى الأمير المفخم المبجل الملك الناصر سلطان بابليون وكل أراضى الشرق من خايم الثانى بكل الصداقة والحب فنحن نشكركم على ما قمتم به من تنفيذ ما طلبناه فى الخطاب السالف مع سفيرنا المفخم اميريل دوساى والذى أمرتم بفتح الكنائس المغلقة فى القاهرة وبابليون والتكفل بحرية عبادة المسيحيين فإن كل المسلمين الموجودين تحت حكمنا فهم يمارسون عبادتهم فى مساجدهم بكل حرية .

نرسل لكم هذه المرة بخطاب مع سفيرنا اميريل والذى اصطحب معه الأمير فخر الدين والذى قد جاء من حصن بابليون للتأكد من السفارة والذى أنزلناه منزلة حسنة وأجبنا رغباته ونعلمكم بأن السفير الذى لايكون معه تصديق منا فإنه ليس من طرفنا .

وكل الحب والصداقة فنحن نطلب منكم إطلاق بعض الأسرى والذين من أراضينا وأن الحجاج الذين يحملون خطاب مختوم (ممنوح) مما يسمح لهم بحق الدخول إلى القبر المقدس وأن يمنح رعايانا جوازا يبيح لهم حرية المرور فى أراضيكم دون أن يدفعوا رسوما لذلك وحماية كل الذين فى أرضكم وهذا ناتج من منطلق الصداقة العميقة بيننا وبينكم .

وكل ما يذكره السفير دوساى سفيرنا فهو يتكلم نيابة عنا وتفويض فى كل ما يقوله .

١- Masia doc . 28 , p. 292-293 .

ونتيجة لتوسلات الملك فرديناند ملك قشتالة لنا بطلب حرية سجناء لديكم وهم جون بيرير كالفت وفاسكوبيريز فاخردوا وألفونسو بيريث والذين سجنوا لديكم بالإضافة إلى بعض الشخصيات الأخرى والتى تشفعت من أجل برتران دى لابوبيا من إقليم مجاور لأراضينا والذين يهموننا أيضا والرجاء أن ترسلوهم مع الأسرى الأراجونيين عن طريق سفيرنا عند رجوعه.

صدر من برشلونة ١ سبتمبر سنة ١٣٠٥

الملحق رقم (٦)

Varios caballeros templarios solicitan de Jaime II se interese por su rescate. Envían la carta por medio de Mateo Zacaria, enviado del Soldán, que fué compañero suyo en el cautiverio.

[*El Cairo, 20 de septiembre de 1306.*]

Al molt noble e honrat rey en Jacme per la gracie de Deu rey d Arago, de Valencia e de Zardenya, almirall e vicari general e ganfaroner de la sancta eglesia de Roma de part vostres humils e naturals homes ço es a saber los frares del temple qui son en la preso del solda primerament frare Dalmau de Roquabert e frare G. dOstalric e frare Bertomeu de Vilafranqua e frare A. de Belvis e frare Bertrau de Bergua e frare G. de Quastelbisbal e frare G. Dezbac

e frare Remiro Perez de Luque e de part de todess les autres frares e seglars qui son de vostre regne se quomanden en vostra gracia e fem saber senyor a la vostra honrada presona, quel solda manda a la vostra senoria ses letres per Mateu Zaguaria ciutada de Genova lo qual ha este en la damunt dita preso gran temps en nostra quompanya del qual nos tots qui ens tenim per vostres homes nos podem loar hi especialment senyor de ço que tot jorn ses mostrat molt amic de la vostra senyoria e per ço senyor honrat avem nos gran bosn *(sic)* saber de ço que a el la estada quomesa aquesta misageria que avem sperança hen Deu hi en la vostra honrada presona que les quoses que han estadas malfaites serian hendreçades hen tal manera que sia honor e profit del vostre regne e havem sperança hen Deu e en la vostra senyoria que por vos haviem nostra beneurança quar vos senyor podets saber que nostra esperança no es mas que en Deu i en vos e si algunes quoses an alonguat a quamplir nostre plaser avem esperança en Der que tot tornara hen be hi a nos senyor no a fer que les quoses que han es des malfeites deiem guordar ni devisar quin a aut lo tort, mas de pregar a eu que us meta en quor de quomplir lo vostre hon presposament que vos e etz del nostre feyt e que a vos senyor placia dentendre lo demunt dit Mat u Zaguaria per ço quar [confi]em que el vos dira leyalment e amiabla hi e bona fe el vos dira todes asemble e qua per si plega a Deu que us don bona vida e longa. Faytes lo dimarts vigilia de sent Mateu.

(A.C.A. C.R.D. *Jaime II.* Caja 89, núm. 183; citado por FINKE, II, pág. 745, en nota, y por GOLUBOVICH, t. III, pág. 85.)

ترجمة الملحق رقم (٦)

من أعضاء فرسان الداويه التمسوا من خايم الثانى إنقاذهم (فديتهم) فأرسل الخطاب عن طريق Mateo Zacario الذى رافق الأسرى المحررين[١].

القاهرة ٢٠ سبتمبر سنة ١٣٠٦

نص الخطاب

إلى النبيل المفخم الملك خايم نعمة الله ملك أراجون وبلنسية وسردينية والأميرال والكابتن العام لكنيسة روما المقدسة منّا نحن أعضاء رهبان الداوية المحتجزين مع الراهب دالميا رد كابيرنى Dalmau

الراهب	G. de ostalric
الراهب	Bertomeu de vilafrangua
الراهب	A. de Belvis
الراهب	Bertran de Berqua
الراهب	G. de quastelfislbal
الراهب	G. deslisx
الراهب	Remiro le luque

وكلنا نحن الرهبان السابقين محتجزين فى سجون لدى السلطان ونحن نرسل لكم خطابنا مع Mateu Zaguaria المواطن من جنوة ونلتمس منكم أن تفتدينا حيث أننا أعضاء فى رهبانية الداويه العسكرية ورعايا تاج أراجون فكلنا نأمل فى تنفيذ ذلك ونكون ضمن المفرج عنهم، نحن سوف نكون أتباع أوفيا لكم وتحت خدمتكم .

ولكما منا الحب والشكرو الذى أكدناه لرسولنا لكم

بهذا الحب والشكر

القاهرة ٢٠ سبتمبر سنة ١٣٠٦

١- Masia : doc , p. 299-300 .

الملحق رقم (٧)

JAIME II A MUHAMMAD IBN QALAWN DE EGIPTO

Ha recibido a su enviado Mateo Zacarías y carta en la cual le cuenta cómo recibió a Dusay, con quien envió a Farj-al-Din, quien por desavenencias con Dusay fué desembarcado y robado. Será indemnizado de este robo embargando los bienes de Dusay y éste castigado si se logra detenerle. Éste le envió con un mensajero los regalos que el Soldán remitía y por medio de éste justificó su conducta en la detención de Fray Rocaberti después de haber sido libertado.

Teruel, 18 de noviembre de 1307.

Al molt alt e molt noble e molt poderos e nomenat savi e discret Abdulhac Mahomat Solda de Babilonia e de tot Levant; En Jacme per la gracia de Deu Rey d Arago de Valencia e de Cerdenya e de Corsega. Conte de Barcelona e de la Santa Eglesia de Roma senyaler almirayl e capita general; Saluts moltes e amor; A la vostra noblea fem saber per aquesta carta nostra que avem reebuda ab pagament e ab alegria la carta vostra quens avets tramesa novelament per ma del honrat Matheu Zacaria; en la qual nos fees saber en qual manera com Eymerich Dusay misatge nostre vench davant vos trova ab vos honor e plaer e benifet e bon aculiment; E com trametiets a la nostra presencia ab lo dit Eymerich l onrat el Alamir Fracraldin Ozmen vostre feel e de vostra casa ab reposta dels fets de la messatgeria; e en qual manera lo dit Eymerich se capdela mal del dit Alamir Fracaldin; axi quel gita de la nau ell e tots cels qui ab ell eren de mala manera e que li tolch tot quant avia ab si; E axi les dites coses com les altres totes qui eren contengudes en la dita carta vostra entesem complidament; A les quals coses responem a la vostra noblea que nos certs som que vos vos al dit Eymerich e a tots los altres missatges nostres qui venen a la vostra presencia fets honor e plaer e gracia e benifet e quels aculits honradament per esguart nostre e aço avem nos provat e sabut ab veritat d aquels que son tornats; E nos aytambe els altres Reys de qui nos venim avem fet aço matex del vostres missatges e d aquels de qui vos venits com son estats trameses a nos deça e som aparelats de fer d aqui avant; E com sabem lo mal capteniment quel avan dit Eymerich fo segons que vos nos avets fet saber al dit Alamir Fracaldin fem ne fort despagats e moguts contra ell; E sil pogessen aver ahut nos vos nagrem donada vengança el agren castigat de manera que fora tots temps exemple als altres mas ell depuys no es tornat en nostra senyoria ne sabem on es e tenim nos que aço que feu Eymerich mes o feu en desplaer e menys preu nostre qui l aviem trames que no de vos; e si ve en nostre nos li o darem a conexer; E per [ço] ja avem manat enantar contra los seus bens si alcuns na en nostra terra; Jassia que aiam entes que noy aia res que ço que avia seu porta ab si; E si alguns bens seus seran trobats en nostra senyoria manarem quen sia feta esmena e restitucio complidament al damunt dit Alamir Facraldin de tot ço que li leva e li pres Eymerich mentre pusca hom trobar dels seus bens en manera que nos hi complirem be nostre deute; Quant empero a les joyes que vos nos trametiets per lo dit Eymerich vos fem saber quen avem dites e comanades algunes paraules al dit Matheu

que les vos diga de nostra part e quant en eles podets creure al dit Matheu de tot ço queus en dira; Encara us fem saber quel dit Eymerich com nos trames les joyes per son missatge segons que dit es, trames escusar molt a nos d aço que fet avia e entre les altres rahons trames nos a dir que vos per honor e per precs nostres li aviets fet liurar frare Dalmau de Rochaberti deliurat ja de la preso e vengut en Alexandria ab lo dit Eymerich per entrar en la nau e puys que vos manas que fos tornat en la preso; e per aquesta raho e per altres mogut feu ço que feu; jassia que nos nol ne tenim per escusat que ans conexem be que fo molt mal ço que feu; Mas aitambe sembla a nos que fo cosa fort estranya; que ço que vos aviets atorgat del dit frare Dalmau per honor nostra puys fos revocat; que ço que un Rey fa per altre Rey acabadament se deu tenir e guardar; Es cers com dit avem nostre enteniment es de enantar contra lo dit Eymerich per aço en guisa que sia pena a ell de ço que ha fet e exemple als altres;

Datum en Terol XVIII dies anats del mes de noembre en lany de MCCC e set.

(A.C.A. Rg. 335, fol. 325.)

ترجمة الملحق رقم (٧)

«من خايم الثانى إلى الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر (١)

تسلمه خطاب المبعوث Mateo Zacarias والخطاب الذى أرسله مع دوساى ومع السفير فخر الدين والذى اختلف مع دوساى وأنزله من السفينة وسلب مامعه (أنزل فخر الدين) وتعويض الهدايا المرسلة مع الرسول إلى السلطان من أجل السماح ومن أجل التوسط فى عدالته لوقف اعتقال الأخ الراهب روكابيرتى ثم طلب إطلاق سراحه .

Teruel ١٨ نوفمبر سنة ١٣٠٧

نص الخطاب

إلى الأمير المفخم الأجل الأكثر سمو ونبلا أبو الفتح محمد سلطان بابليون وكل الأراضى الشرقية .

من خايم نعمة الله ملك أراجون وبلنسية وسردينيا وكورسيكا وكونت برشلونة والأميرال والكابتن العام لكنيسة روما المقدسة التحية وبكل السلام والحب لقد وصلنا الخطاب والذى كان يحمله ماتيوسا كريز والذى به مطالب بإطلاق سراح بعض الرهبان ولقد وصل مع خطابكم والذى كان مع السفير الأمير فخر الدين والذى اختلف معه سفيرنا وأنزله من السفينة ورسالتكم قد وصلت إلينا عن طريق رسوله أرسله لنا دوساى ، وقد أنزلنا العقاب بدوساى وقمنا بالحجز على كل أملاكه وأوقافه وذلك لتعويض فخر الدين ما سرق منه وأننا سوف نعاقبه بنفس الشكل وهو أن يسجن المذنب .

والجواهر التى أرسلها لنا السلطان قد وصلت عن طريق دوساى والتى أرسلها مع رسول إلينا والذى اعتذر عن سلوكه مع الأمير فخر الدين وذكر بأن سبب تصرفه هو نكوث فخر الدين للعهد عند اعتقال القس «المايادى روكابيتى بعد أن كان قد أطلق سراحه ومطالبته بأموال كثيرة وزيادة عن الحد وتغاضى الأمير فخر الدين عما استلمه من دوساى من أموال مما جعل دوساى ينزله من السفينة فى الأسكندرية .

ونحن نقدم لكم اعتذارنا عما بدر من سفيرنا دوساى ونطلب إطلاق سراح الراهب روكابيرتى

ولقد أرسلنا لكم هدايا فى مقابل هذا

صدر فى Teral ١٨ نوفمبر ١٣٠٧

١- Masia : doc . 33 , pp. 300-301 .

الملحق رقم (٨)

JAIME II A MUHAMMAD IBN QALAWN DE EGIPTO

Para proseguir las negociaciones referentes al rescate de cautivos interrumpidas a causa del incidente entre Facardí y Dusay envía a Ramón Desplá y Bernardo ça Rovira. Está dispuesto a servirle y le ofrece cuanto de sus reinos pueda apetecerle. *Barcelona, 10 de junio de 1309.*

Al molt alt e molt noble e molt poderos nomenat savi e discret Melic Abnacer Solda de Babilonia e de tota la terra de Levant; En Jacme per la gracia de Deu Rey d Arago etc; Moltes saluts e amor; Bens pensam que remembra a la vostra noblea e saviea en qual manera nos confians de la vostra amor; e moguts per pietat vos tramesem a pregar per nostres cartes e per nostre misatge n Eymerich Dusay que nos per auxir nostre entre les altres coses de queus pregam nos degueseu dar e otorgar tots los catius qui en vostre poder son qui fossen de la nostra terra; Encara alcuns altres qui ereu pregats; E ja sia ço que cada vegada sabessem nos que vos ferets bon repost als nostres prechs e encara nos tramesse vostre misatge sobre aquestes fets en Facardi; Empero per aqueles coses qui avengren entrel dit vostre misatge e n Eymerich nostre misatge, neguna res no nes venguda encare a compliment; enpero nos moguts per les dites rahons ço es de la confiança de la vostra amor e encara per pietat e a soplicacio dels amichs dels catius trametam a la vostra noblea per aquest fet los feels nostres en R. Despla e en Bernat Ça Rovira, ciutadans de Barchelona portadors d esta letra, pregam la vostra amistat e la vostra altea queus placia datorgar e de trametre a nos per los dits misatges o per la I dels los catius qui son en vostra preso de la nostra terra als quals nostres misatges o a la I del queus pregam que creegats de ço queus diran sobre aquest fet e quels liurets los dits catius; E aço sera cosa que nos molt grayrem; E son apparellats en semblant cas e en mayor obeyr vostres prechs e de fer per vos semblants coses e molt maiors; E si alcunes coses vos plaen de nostres regnes e de nostres terres fets nos o saber; Dada en Barchinone X dies anats del mes de juny; E lany de Nostre Senyor MCCC y nou.

Petro Lupeti mandato regis facto per Petrus Marti.

(A.C.A. Rg. 238, fol. 115.)

ترجمة الملحق رقم (٨)

«من خايم الثانى إلى محمد بن قلاوون ملك مصر[١]

وذلك لاستمرار المفاوضات المتعلقة بفدية الأسرى المحتجزين بسبب الحادثة بين فخر الدين ودوساى أرسل السفراء رامون دسبلو وبرناردساروفيرا لتقديم الوفاق والصلح بين الملكين .

برشلونة ١٠ يونيو سنة ١٣٠٩

نص الخطاب

إلى الملك المفخم الملك الناصر سلطان بابليون وكل أراضى الشرق من خايم نعمة الله ملك أراجون ... الخ

نقدم لكم التحية والحب ونؤكد لكم بأننا مازلنا على هذا الحب مرسل لكم هذا الخطاب وذلك ليعيد ما انقطع بيننا من الود وذلك بسبب ما حدث من سفيرنا دوساى والتى بسببها لم يطلق سراح الأسرى والذين كان يجب الإفراج عنهم ونذكركم بأننا قمنا بالواجب مع السفير لما قام به مع الأمير فخر الدين وقد حاسبناه حسابا شديدا وقد قمنا بالتحرى والاهتمام بهذا الأمر ولذلك فنحن نرغب فى اعادة المفاوضات من أجل إطلاق سراح الذين قد احتجزوا بسبب هذا الحادث وقد أرسلنا لكم ليواصلوا ذلك سفرائنا Bernat Ca Roviro , R. Depla مواطنان من برشلونة حاملان لهذا الخطاب لغرض صداقتنا ولتجديد الود بيننا وما سوف تطلبونه من ثمن أو أشياء من مملكتنا أبلغه إلى سفرائنا .

صدر فى برشلونة ١٠ يونيو سنة ١٣٠٩

١- Masia : doc . 35 , p. 302 .

الملحق رقم (٩)

Embajada al soldán de Egipto Muhammad ibn Qalawn por mediación de Gerardo de Casanadal y Arnaldo de Bastida, portadores de regalos.

Deben repetir las demandas hechas por Dusay; seguridad para los peregrinos, libertad de culto para los cristianos y redención de cautivos. Agradece los que le fueron enviados, pero reclama a Fray Dalmacio de Rocaberti y la libertad de todos los súbditos aragoneses.

Si no es posible obtener la libertad de todos los cautivos, los embajadores deben elegir los que crean más convenientes.

Lérida, 8 de septiembre de 1314.

Legacio comissa per dominum Regem Geraldo de Casanadal militi et Arnaldo de Bastida civi Barchinona ad Soldanum Babilonie.

Littera credencia et fuit forma hec.

Al molt alt e molt noble e molt honrat e nomenat el savi e molt dreturer en son Regne princep dels sarrayns Abilfac Mahomet fill del molt alt Rey Almançor Solda de Babilonia e senyor de les parts de Levant; En Jacme per la gracia de Deu Rey d Arago, de Valencia de Cerdenya, de Corçega, Comte de Barchinona e de la Santa Esgleya de Roma senyaler, almirayl e capitan general; Saluts axi com a Rey alt e honrat que nos molt amam e per qui desigam honor e creximent de be e a la honor e al plaer del qual nos som aparellats e volenterosos axi com a amic que molt amam e de qui molt fiam; Rey per ço car conexem que es cosa rahonabla e deguda que la amor e la amistat que entrel Reys e els senyor jassia que la un sia luny del altre se deu regonexer e remembrar e refrescar per tal que per oblit nos pogues minvar, per aquesta raho havem tengut per be e acordat d enviar a la vostra reyal presencia nostres missatges honrats e leyals familiars e de companya e de casa nostra e dels quals nos fiam ço es asaber en G. de Casanadal cavaller e n Arnau Çabastida qui ab aquesta carta nostra vendran davant la vostra presencia honrada; E oltra aixo nos havem los dites e comanades peraules e enformats ells cumplidament d altres coses de queus devem parlar, demanar e pregar de part nostra; On Rey la amor e la bona volentat del qual tro açi coneguda e provada manifestament pregam de cor affectuosament la vostra altea e noblea queus placia per honor de nos reebre benignament los dits missatges nostres e escoltar aquelles coses queus diran eus demanaran eus pregaran de nostra part; E sera cosa que nos reebrem en gran honor e en gran plaer de vos; E Rey si en nostre Regnes ne en nostres terres son coses algunes que venguen de grat a la vostra altea françosament les requerits e les demanats cor nos havem gran volentat e harem gran plaer de cumplir vostra volentat; E serts per ço cor nos havem pensat que seran plasetns e agradoses davant la vostra presencia honrada, trametem vos en senyal damor e damistat per los dits missatges nostres alcunes joyes de nostra terra axi com son nomenades en la cedula la qual es plegada dins aquesta letra nostra;

Dada en la ciutat de Leyda XIII dies anats del mes de setembre en l any de Nostre Senyor de Mil CCC XIIII. Bernardo de Aversone mandato Regis et fuit ei lecta.

Aquestes coses davyal escrites son preses de la casa e del rebost del Rey d Arago; **E son trameses** al molt alt e molt noble el Solda de Babilonia ab **los honrats missatges** del dit Rey d Arago en G. de Casanadal en n Arnau **Çabastida;**

Primerament falchons griffalts blanchs;	III
Item peçes de presset vermeyl;	II
Item peçes de draps verts det Xalo;	II
Item peçes de draps blaus det Xalo;...	II
Item penes vayres;	XII
Item peçes de teles de Rems;	XII

Informatio tradita dictis nunciis hec est.

Aquesta es la informacio donada per lo Rey d Arago an Guillen de Casa-**nadal e an** Arnau Çabastida, missatges al Solda de Babilonia. Primerament **presentada al** Solda la letra de la creença del Rey d Arago saluden lo molt de **part del Rey** d Arago demanant li de sa salut e de son estament e dient a ell **del bon estament** del Rey d Arago e de sos enfants e de sos Regnes. En apres **diguen** li com lo Rey d Arago nos oblidant; ans remembrant cumplidament **de la amistat** e de la amor, la qual no ara novellament; mas molt antigament **es estada e es** entre les cases de caseu; e aquelles de qui ells venen e especial-**ment entre ells** amdos; la qual hi es ey sera daqui a avant Deu volent; tench **per be lo dit Rey** d Arago, de trametre lo sos missatges per remembrarli de la **dita amor** e amistat; E encara dalcunes coses que foren entre ells; no ha **molt de temps**; com lo dit Rey d Arago lo trames lo malvat n Eymerich Dusay **e el** Solda li trames lo savi Facraldin Neçir; E remembre lo Rey d Arago al **Solda** molt honrat; que ell lo trames a pregar per lo dit Eymerich Dusay de **les coses** desus contengudes; ço e sa saber que per honor dell donas licencia **als** crestians qui son en ses terres e en sos Regnes que poguessen fer lurs ora-cions en lurs esgleyes e que tot dampnatge fos cessat dells; E encara que aquells dels Regnes e de les terres del dit Rey d Arago; qui anassen a visitar la Sancta Casa de Jherusalem que fossen salvus e segurs en lurs cors e en lurs avers; Encara que per honor del dit Rey d Arago que manas absoure los catius de la terra sua; los quals nomenaria lo dit n Eymerich Dusay missatge del dit Rey d Arago; A les quals demandes lo Solda li respos per ses cartes que trames al dit Rey d Arago; declarant li la amor e la amistat antiga e la benevolença que es entre ells; E primerament que fos cert e sabut al Rey d Arago que tots los crestians en les terres o Regnes del Solda estan cumpli-dament guardats e amats; e que tot dampnatge es cessat daquells; E que estan en les Esgleyes que han e en lurs oracions; axi com han acostumat

e nols contrasta; E que son e estan en sa fe; quis te per tengut de guardar ells e haver pietat dells; E prega al dit Rey d Arago que fees manament en ses terres per los sarrayns axi com ell havia fet per los crestians; Aytambe respos lo Solda en les sues cartes damunt dites al Rey d Arago; que havia manat per tots çells qui vendran de les terres del rey d Arago e de les gents de son Regne qui iran a visitar la Casa Sancta; Quels sia donada licencia de visitar e que sien guardats de la ora que entraran en les terres del Solda en tro al exir d aquells; E que sien guardats en cors e en aver; Quant al fet del catius li respos en les cartes sues damunt dites molt cortesament; ço es quel gran del dit d Arago es gran molt alt a ell; e son loc en sos pensaments es loc el qual ab ell no s acompanya altre en ells ;e no diria de no a les de-mandes del Rey d Arago ne passaria les seus precs; E que ja trames lavors

aquells qui eren avinent d absoldre dels catius; e eren XII persones; ço es Frare Lop e Frare G. de Vilalba; e Frare Dalmau e a IX persones altres dels altres catius; E el remanent de eells qui eren demanats per lo dit missatge del Rey d Arago com sen tornava del Rey d Arago lo dit missatge Facraldin; la ora lo Solda cumpliria lenteniment en absoldre çells qui romases e aturats eren; a honor de les demandes del Rey d Arago e de sa amor e de sa amistat e de sa paria; A les quals resposts fetes per lo Solda; lo Rey d Arago li respon ara que les hac e les ha molt agradoses e molt plasents; e aytals les esperava ell del Solda; E la amor e la amistat que es entre ells mostrava e donava a sentir al Rey d Arago que aytals serien; E graeix les li molt e lin fa moltes gracies; ço es asaber del bon capteniment que per honor del Rey d Arago feu e fa enves los crestians dels Regnes e de les terres del Rey d Arago qui son e venen e estan en los Regnes e en les terres del Solda; E encara d aquells qui volran anar a visitar la Casa Sancta portants letres del Rey d Arago; E el dit Rey d Arago aytambe per honor e per esguart del Solda ha fet semblant cosa dels sarrayns qui viuen en sos Regnes e en sa terra que fan e poden fer lurs oracions en lurs mesquites axi com han acustumat e nols ho contrasta nuyl hom; E estan en fe del Rey d Arago quis te per tengut de guardar ells e de haver pietat d ells; E es desat tot dampnatge d aquells; E si negu los fahia mal; lo Rey d Arago len puniria fortment; E encara ara prega lo Rey d Arago al Solda que axi com be ho a respost al Rey d Arago e axi com les respostes dien se capdella lo Solda dels crestians; axi li placia de fer d aqui a avant e de mellorar hi tota hora per amor e per esguart del Rey d Arago; que atretal fara lo Rey d Arago per honor del Solda enves los sarrayns qui estan en sos Regnes e en ses terres; E senyaladament plac al Rey d Arago e hac molt per reebuda e per plasent la resposta quel Solda li feu en lo fet dels catius; com li plach per honor dell dec absoure e de manar trametre al Rey d Arago XII catius; los quals foren amenats a ell; E graeix lin molt e aytant com pot; E especialment quel romanent d aquells catius qui eren estats demanats per part del Rey d Arago; cumpliria lenteniment del Rey d Arago; en absoure aquells qui romases e aturats eren a honor de les demandes del Rey d Arago; axi com be en les sues respostes es contengut; Mas fa asaber al Solda lo Rey d Arago; quel dit Frare Dalmau; lo qual lo Solda li feu saber en les dites sues cartes que era entrels damunt dits XII catius e quel havia fet absoure e quel trametia al Rey d Arago per sa honor e per sos precs; que no vench ne fo absolt; ja sia que be sabe lo Rey d Arago quel Solda a precs seus e per honor dell lo mana absoure lavors; el feu venir en Alexandria que sen vengues ab los altres; Mas puys fo aturat e tornat a Al Cayre; E creu lo Rey d Arago que nos feu ab volentat del Solda quel havia ja mant absoure e trametre al Rey d Arago; e axi liu havia fet saber per ses cartes damunt dites; On lo Rey d Arago; sabent la bona volentat e la bona affeccio quel Solda ha al Rey d Arago e a obehir e a cumplir sos precs; lo prega; tan carament com hom pot pregar son bon amic; que per honor dell e per gracia sua vulla absoure e trametre al Rey d Arago lo dit frare Dalmau; lo qual ja li havia atorgat e manat absoure segons que ja es dit; E encara tots los altres catius qui de les terres e Regnes del Rey d Arago son en son poder segons que per los dits missatges del Rey d Arago li seran nomenats e demanats; E axi com ja lo Solda lin ha atorgat per ses cartes; E fara lin gran plaer e gran honor que de res maior no poria quant a ara; E sia cert lo Solda que si ell aemprava lo Rey d Arago de semblants coses o de maiors quals se volgues en sos Regnes e en ses terres que ell cumpliria sa volentat

e sos precs moit volenterosament; E no vulla dexar d obehir los precs del Rey d Arago per ço que sesdevench del seu missatge Facraldin; lo qual n Eymerich Dusay damunt dit malvat missatge del Rey d Arago lexa della en la terra; segons que sap lo Solda; Cor d aço lo Rey d Arago no nach colpa neguna; ans li pesa molt e nach gran grenge segons que feu saber el Solda per ses letres; E no es cosa rahonabla ne deguda ne deu coer en cor de tan savi Rey com es lo Solda; que per la errada del dit n Eymerich Dusay o daltre qual se vol se fos; la bona amistat e la bona amor qui es entrel Solda e el Rey d Arago se dega en res mudar ne minvar en neguna manera; aus deveu estar en lur fermetat be e cumplidament axi con dabans; e axi estan en lo Rey d Arago e enten e cuyda esser cert que aço meteix es en lo Solda; On lo prega altra vegada que li placia d obehir sos precs damunt dits.

Bernardo de Aversone mandato regis et fuit ei lectum.

Alia informatio tradita nunciis supradictis.

Aquesta informacio es liurada per lo Rey d Arago e comanada als seus missatges que tramet al Solda de Babilonia; oltra la altra maior informacio quels ha donada.

Si per aventura lo Solda responia per alcunes rahons que digues; que ell tots los catius no poria absoure; mas que sil Rey d Arago lin hagues demanats alcuns o certa partida; que ell per honor d ell los hagra absolts els li tramesera; en aquest cas los missatges demanen ne partida e nomenen aquels quels sia viares.

Idem ut supra (Bernardo de Aversone mandato regis et fuit ei lectum).

(A.C.A. Rg. 337, fol. 231; citado por FINKE, *Acta*, II, doc. 467, pág. 751, y por GOLUBOVICH, t. III, pág. 185.)

ترجمة الملحق رقم(٩)

سفارة إلى سلطان مصر محمد بن قلاوون[١]

من أجل تشفع خير اردى كاسندال وارنالد دى باستيدا وإعادة الكرة فى طلب نسيان حادثة دوساى وتأمين الحجاج وحرية عبادة المسيحيين وفداء الأسرى والشكر على امتيازات السفراء (أى تكريمهم) والتركيز على إطلاق سراح الراهب روكابيرتى وأيضا إطلاق سراح رعايا ملك أراجون فإن لم يستطيعوا الحصول على حرية كل الأسرى فعلى السفراء أن ينتقوا منهم الأكثر أهمية .

ليريدا ٨ سبتمبر سنة ١٣١٤

خطاب التصديق

إلى الحكيم ، المنصف فى مملكته الأكثر سموا الأكثر نبلا والأكثر شرفا وصيتا أمير الشرقين أبى الفتح (الناصر) محمد ابن الملك المنصور سلطان بابليون سيد بلاد الشرق ، من خايم نعمة الله وملك أراجون . بلنسية وسردينيا وكوريسكا وكونت برشلونة وحامى كنيسة روما المقدسة والأميرال والقائد العام.

التحية إلى الملك السامى الأشرف الذى نكن له حبا كثيرا ونتمنى له المجد وزيادة الخير والذى نعترف له بالفضل والنعمة وزيادة الخير إلى الصديق الذى نحبه ونثق فيه كثيرا .

سيدى الملك :

نعرف تماما أن شيئا واجبا ومعقولا وجود الحب والصداقة بين الملوك والأسياد وبسبب البعد بين الواحد والآخر فإنه يجب تجديد هذا الحب والصداقة والتذكير بهما وإنعاشهما حتى لاتأخذهما طى النسيان وبالتالى فإننا أرسلنا إلى حضرتكم الملكية رسلنا الشرفاء والمخلصين الأوفياء من بين خدم بيتنا اللذين نثق بهما كل الثقة وهما للعلم خير اردى كاسندال وارنالد وباستيدا اللذان سيصلان إلى حضرتكم الشريفة ومعهما رسالتنا بالإضافة إلى أننا أخبرناهما وكلفناهما بتعليمات وأشياء نطلبها منكم ونقترحها عليكم، إلى ملك نعرف عنه حتى الآن حبه

Masia : doc , 37 , p. 304 .

Chpmany: op . cit ., p. 32-35 .

ورغبته الطيبة عن تجربة واضحة، نرجو من القلب من سموكم ونبلكم ، أن تتفضلوا تشريفا لنا، بأن تستقبلوا رسلنا المذكورين وأن تستمعوا إلى أحدهما أو كلاهما وأن تثقا فى كل الأشياء التى سيذكرانها ويطلبانها توسلا من جانبنا مما سوف يكون شيئا نتقبله منكم بشرف وسعادة ، أما سموكم فإن فى مملكتنا. أراضينا بعض الأشياء التى سيكون لسموكم رغبة منها فتطلبوها بكل ثقة لأن رغبتكم كبيرة فى ذلك عندنا وسنسعد كثيرا عندما نحقق رغبتكم ولهذا فإننا نعتقد بأنه سوف ينال إعجابكم واستحسان حضرتكم الشريفة ما سوف نرسله إليكم دليلا على الحب والصداقة عن طريق رسلنا .

بعض الهدايا من أرضنا ، حسب ما هو وارد فى القائمة الملحقة لهذه الرسالة :

صدرت فى مدينة ليريدا فى يوم ٨ سبتمبر سنة ١٣١٤ وهذه الأشياء المكتوبة أسفل أخذت من بيت وصوان ملك أراجون وأرسلت إلى سلطان بابليون النبيل السامى مع رسل ملك أراجون الأشراف كاسندال وباستيدا :

١- ثلاثة صقور .

٢- قطعتان من الحرير الأحمر .

٣- قطعتان من قماش أزرق ثمين .

٤- قطعتان من قماش أخضر ثمين .

٥- ١٢ قطعة من الزمرد .

٦- ١٢ قطعة من كتان رهيمس .

التعليمات التى يحملها السفيران ويذكرانها
لسلطان مصر

أولها تحية خالصة من ملك أراجون من رعاياه إلى السلطان ونرسل لكم هؤلاء السفراء ليعيد تجديد هذا الحب والصداقة بين البلاطين والتى توترت بسبب حادثة دوساى والأمير فخر الدين، وقد قمنا بالتحرى وأوقعنا العقوبة المناسبة لسفيرنا دوساى الذى كان قد طلب عدة طلبات منها حرية العقيدة المسيحية للمقيمين فى الأراضى المصرية وإلغاء المضايقات التى تثقل كاهلهم والحماية لكل الحجاج الذين يرحلون إلى الأراضى المقدسة ويحملون إذن مرور من

خايم الثانى وتحرير الأسرى المسيحيين الذين يتبعون لأراضينا وكل هذه كانت الطلبات فى سفارة دوساى ، وقد أجاب السلطان على كل هذه الطلبات فى خطاباته إلى ملك أراجون وأعلن أنه الحب والصداقة قوية بيننا وأن كل المسيحيين فى أراضى السلطان قد منحوا حرية العبادة والكنائس قد فتحت .

يجب إخبار السلطان بوضع المسلمين الخاضعين لحكم ملك أراجون والذين يستطيعون التعبد بحرية فى مساجدهم دون أى ضغط من أى نوع وأنهم يتمتعون بالحماية فى كل شئ حتى أن الملك يدافع عنهم إذا ما تعرض أحدهم لأى عمل عدوانى وذلك فى مقابل أن يتم معاملة المسيحيين المقيمين فى أراضى مصر بالمثل .

ونقدم الشكر على إجابة السلطان لطلبات تحرير الأسرى حيث أطلق سراح ١٢ أسيرا ولكن الأسرى خ دى بيلويا ولوب ودالميا و ٩ أسرى آخرين لم يطلق سراحهم حسب ما طلبه سفراء ملك أراجون والذين صحبوا الأمير فخر الدين وكما أجاب السلطان لمطالب ملك أراجون فإن ملك أراجون قد أجاب السلطان لما طلبه .

ولكن الإثنى عشر أسيرا لم يكن بينهم الراهب دالميا الذى أتى اسمه فى خطاب الملك للسلطان لا هو أفرج عنه ولا أخرج من أراضى السلطان على الرغم من أننا قد علمنا بأنه اقتيد للأسكندرية مع الباقيين ولكن اعتقل من جديد وأعيد للقاهرة ، ونحن نعلم بأن ذلك قد فعل بعيدا عن علم السلطان ولذلك فنحن نرجوه من قلبنا كما نرجو صديقا عزيزا علينا أن يحاول إطلاق سراح القس دالميا ونطلب أيضا إطلاق سراح كل الأسرى التابعين لملك أراجون والذين نطلبهم بالاسم ، ولايشكل عقبة فى مواصلة العلاقات ذلك الفعل العنيف الذى قام به السفير الأراجونى فى حق السفير فخر الدين وذلك أننا نحن ملك أراجون لم يكن لنا يد فى هذا العمل وقد قمنا بالواجب فى سفيرنا ، وأنه سيكون من العبث أن يتعكر صفو العلاقات بيننا بسبب فعل قام به السفير .

تعليمات خاصة للسفراء

تعليمات ملك أراجون لسفرائه إلى السلطان بابليون وهى إذا لم يجب السلطان لطلبات تحرير كل الأسرى فإن لدى السفراء التفويض باختيار البعض منهم والذين لهم أهمية خاصة .

الملحق رقم (١٠)

Embajada al Soldán Muhammad ibn-Qalawn por mediación de Ferrer de Villafranca y Arnaldo de Bastida, portadores de regalos. Los motivos de ésta son los mismos que los de 1314, o sea, la redención de cautivos. Si no se obtiene la libertad de todos ellos debe procurarse la de los aragoneses, más la de cuatro por quienes tiene el rey especial interés aunque no sean súbditos suyos.

Barcelona, 27 de agosto de 1318.

Legacio comisse per dominum regem nostrum Ferrario de Villafranca militi et alguazirio eundem domini Regis et Arnaldo de Bastida civi Barchinone ad Soldanum Babilonie.

Sequitur tenor littere credencie.

Al molt alt e molt noble e molt honrat e nomenat el savi e el dreturer en son regne princep dels sarrayns Abilfat Machomet fiyl del molt alt rey Almançor Solda de Babilonie e de les parts de Levant; En Jacme per la gracie de Deu Rey d Arago, de Valencie, de Cerdenya, de Corcega e comte de Barcelona e de la Santa Eglesia de Roma senyaler almirayl e capitan general; Salut axi com e Rey alt e honrat que nos molt amam e per qui desigam honor e creximent de be e a la honor e del plaer del qual nos som apparellats e volenterosos axi com a amic que molt amam e de qui molt fiam; Rey molt se cove specialment a Reys e a grans persones qui an bona amor e amistat entre si que si be son luny per longuea de terres que vullen saber ensemps del bon estament de la I de l altre; Per tal que sabent aço ajem plaer e pagament e encara que la amor e la amistat se regoneix es referma; Per que Rey nos volents seguir aquesta bona manera enviam a la vostra Reyal presencia nostres honrats missatges leyals e de casa nostra e en qui nos molt fiam ço es assaber en Ferrer de Villafrancha caveller alguatzir nostre e A. Çabastida ciutada de Barcelona qui vendran devant la vostra honrada presencia eus presentaran aquesta carta nostra; Los quals nos havem informats cumplidament e comenades paraules a ells queus dejen dir de nostra part e pregar e demanar com amich; On Rey pregam de cor molt curosament la vostra altea e noblea que per la bona amor e la bona volentat vostra que havem clarament coneguda tro aci, vos placia per nostra honor benignament reebre los dits missatges nostres e hoyr aquells e ells creure o a la I dells complidament e ferma de totes aquelles coses que de nostra part vos diran e us demanaran eus pregaran; E aço reebrem nos en gran plaer e en gran honor; E si alcunes coses son en nostres regnes e en nostres terres que venguen de plaer a la vostra altea demanats les e requerits les francosament a nos, cor de complir vostra volentat nos navem gran cor e gran volentat en complirem molt agradablement; E en senyal de bona amor e de bona amistat pensans queus sera plasent e agrados, trametem a vos per los dits missatges nostres alcunes coses e joyes de nostra terra nomenades e scrites en I scrit que es enclos dins aquesta carta.

Data en la ciutat de Barchinona XXVII dies anats del mes d agost del any MCCCXVIII.

Bernardo de Aversone mandato regis audita per eum.

Aquestes coses d avall scrites son preses de la casa e del rebost del senyor Rey d Arago; E son trameses al molt alt e molt noble al Solda de Babilonia ab les honrats missatges del Rey d Arago en F. de Vilafrancha e n Arnau Çabastida :

Primerament	I Gerifalt blanch e II grises
Item	II pressets vermeylls
Item	II draps de Xalon
Item	VI peçes de teles de Rems
Item	VIII penes vayres.

Aquesta es la informacio donada per lo senyor Rey d Arago an F. de Vilafrancha, cavaller e an Arnau Çabastida; familiars e de casa sua e sos missatges al Solda de Babilonia.

Primerament presentada al Solda la letra de la creensa del Rey d Arago; saluden lo molt de part del Rey d Arago demanant li de ça salut e de son estament e diguen li del bon estament del Rey d Arago e de sa casa e de ses Regnes; En apres li diguen com lo Rey d Arago reebe per mans d en G. de Casanadal e del dit Arnau ça Bastida en lur tornada que feeren a ell de la missatgeria en quel trames al dit Solda, les honrades letres les quals lo dit Solda li trames per les quas entre mol clarament e complida de la bona amor e de la bona amistat quel Solda ha al Rey d Arago e a la sua casa; Ja sia que ja debans ho sabia en era cert lo Rey d Arago; E el Solda pot esser be cert e segur de la bona amor e de la bona amistat quel Rey d Arago li ha; E no es cosa novella ans es antiga en ells e en lurs cases e sera d aqui avant Deu volent; Encara reebe lo dit Rey d Arago per mans d aquells meteys missatges seus los catius crestians qui eren VI los quals lo Solda per precs e per gracia del Rey d Arago absolve de la preso e li trames; E encara les joyes que li trames per ells meteys segons que eren contengudes e scrites en una cedula de paper de les quals coss lo Rey d Arago fo molt pagat e les reebe ab gran plaer; maiorment sabent la bona volentat e agradose de tan honrat amich seu com lo Solda es que les li trametia; E ja fos ço quels dits catius e joyes fossen honrat present ampero encara les reebe per molt maior lo Rey d Arago per esguart e per honor del Solda qui les li trames; E faliu moltes gracies e oferse al Solda de fer per ell axi com per honrat e bon amich tot ço que li plagues que en ell no trobaria fadiga; Encara apres d aço no ha molt temps vengren a la presencia del dit Rey d Arago III crestians los quals ab reverencia li dixeren e li comptaren com els creu en la preso del dit Solda e que ell seus encara que non hac precs del Rey d Arago; mas solament per honor e per amor del dit Rey d Arago per son propri moviment deliura de la preso los dits catius los quals feeren d aço gran loor del Solda al dit Rey d Arago de quel Rey d Arago hac gran plaer; en fa moltes gracies al Solda; maiorment com per son moviment e per sa bonea haia feta aquesta gracia per honor del Rey d Arago; Item li digueren com lo Solda entre les altres bones paraules e amoroses que li envia a dir en les dites letres sues si li trames a dir quel Rey d Arago seguis e volgues continuar ço que li avia fet saber de ça bona volentat; e que li trameses ses letres e li fees saber de sos ardits e ço que aques ops dell; Per ço lo senyor Rey d Arago, volent refrescar e continuar aquesta amor e ben volença entra amdos; tramet li los dits en F. de Vilafrancha cavaller e Arnau ça Bastida per saber de son bon estament e per dir li del seu; encara per pregarli axi com amich special per los catius crestians qui son en son poder quel vulla daliurar e absobre; On los dits misatgers diran al Solda ab aquelles covinents e bones paraules que mils poran siguen aquesta materia que ja sia quel Solda per precs del dit Rey d Arago aia absolts e trameses a ell alcunes vegades dels catius crestians qui eren en son poder; no empero tots, axi com lo Rey d Arago len pregava; cor dix lo Solda specialment als dits an G. de Casanadal e an Arnau Çabastida en 1 altra misatgeria com els de part del dit Rey d Arago li demanassen tots los catius

que si el lavors los li envias tots quel Rey d Arago no auria raho depuys de pregar lo d aytal raho ne de trametre li sos misatges ; E que per aquesta raho sen retench dels catius ; per ço quen pogues fer plaer al Rey d Arago com len pregas quel Rey d Arago lo prega per la bona volentat e per la bona amor que es entre amdosos e tan carament com hom pot pregar son bon amich que per honor dell e per gracia sua vulla absolre e deluirar e trametre al dit Rey d Arago tots los catius crestians qui son en son poder ; axi del Regnes e terra del Rey d Arago com altres don que sien ; E daço li fara tan gran honor e tan gran plaer que no poria maior quant a ara daltres coses ; Cor lo Rey d Arago sil Solda li demanava semblants coses ho majors qual fossen en los Regnes e en les teres del dit Rey d Arago ; ell molt volenterosament e sens alcuna fadiga cumplira sa volentat e sos prechs ; E nos leix lo Solda de cumplir e de satisfer a la volentat e als precs del Rey d Arago per la raho damunt dita per la qual ne retench l altre vegada dels catius ; per ço cor entre bons amics axi com sin lo Solda e ell Rey d Arago nuyl temps no fayt raho que la I al altre no puscha e no deja trametra sos misatges e continuar la amor e la amistat lur ; E axiu enten a fer lo dit Rey d Arago ; E se fermament que aquesta volentat metexa es del Solda ;

Aquesta informacio es liurada per lo senyor Rey d Arago e comanada an F. de Vilafrancha, cavaller e an Arnau Çabastida, familiars e de casa sua que tramet al Solda de Babilonia ; oltra la oltra maior informacio quels ha donada.

Si per aventura lo Solda responia que el tots los catius crestians que te axi dels Regnes e de les terres del Rey d Arago com daltres parts no alsolria ; mas que per honor del Rey d Arago absolra e li trametra tots aquels de sos Regnes e de ses terres qui son en sa preso o certa partida ; En aquest cas los misatges demanen que almenys lo Solda vulla absolre e deliurar tots aquels qui son en son poder dels Regnes e de les terres del Rey d Arago ; E encara a menys III qui no son de la sua terra ; ço es assaber Bertran de la Popia e Felip de Menalef de Xipre e Vasco Fagardo d Ortiguera qui fo templer e Gozart de la Perosa qui fo templer ; per los quals alcuns amics lurs qui an servit al Rey d Arago lil ah suplicat quen degues pregar lo Solda.

(A.C.A. Rg. 337, fol. 233 ; FINKE, *Acta*, II, pág. 752, da el resumen, recogido por GOLUBOVICH, t. III, pág. 187 ; MIRET Y SANS, *Sempre han tingut bec les oques*, II, pág. 25, nota 1, lo menciona.)

ترجمة الملحق رقم (١٠)

سفارة إلى السلطان محمد بن قلاوون[١]

من أجل وساطة أرنولد دى ناستيدا وفيلافرنكا الحاملين للهدايا وهدف هذه السفارة فداء الأسرى والحصول على حريتهم وعلى السفراء الأراجونيين الاهتمام بتحرير أربعة والذين لهم أهمية عند الملك .

خطاب التصديق

إلى الأمير المبجل والمفخم والأكثر سموا الأكثر شرفا أمير كل الشرقيين الناصر محمد ابن الملك الأعظم المنصور سلطان بابليون وكل بلاد الشرق، من خايم نعمة الله ملك أراجون وبلنسية وسردينيا وكورسيكا وكونت برشلونة وكنيسة روما المقدسة والأميرال والكابتن العام .

تحية منا إلى الملك العظيم المبجل والذى نحن نصر على استمرار الصداقة بيننا وبينكم وبكل الحب والصداقة فنحن نسألكم بعض الطلبات وهى من حضرتنا الملكية مع سفرائنا النبلاء وهم فيلافرنكا ، وباستيدا ، اللذين من برشلونة ونحن نثق فيهما وهما يحملان خطابنا إليكم وكل ما يسألانه ويطلبانه فهما يتكلمان نيابة عنا ويحملان لكم أطيب الحب وأطيب الود وكل الأشياء والتى يطلبونها فهى منا ونتمنى منكم تحقيقها وهذا مما يؤدى إلى زيادة الود والرغبة فى الصداقة الوطيدة وكل ما سوف تسألونهما وتطلبونه من طلبات أو أى شئ ترغبون فيه موجود بأرضنا فنرجو إبلاغها إلى سفرائنا ونحن بكل الحب والود سوف نحقق هذه الطلبات .

صدرت من برشلونة ٢٧ أغسطس سنة ١٣١٨

ونقدم لكم بعض الهدايا وهى من بيت وصوان ملك أراجون إلى الملك المفخم الجليل سلطان بابليون ويحملها سفراء ملك أراجون .

قائمة الهدايا :

١- طائر شاهين واحد أبيض و٣ رمادى .

٢- ٢ من أكبر تيش أحمر .

٣- ٦ قطع من نسيج الكتان .

٤- قطعتان من الشالونى .

٥- ٨ جلود من سنور البر .

١- Masia , doc , 41 , p. 311-313 .

الخطاب إلى السلطان الناصر محمد

أولا نقدم نحن ملك أراجون التحية إلى السلطان ونعلمكم بأننا قد تسلمنا رسالتكم السابقة من سفرائنا السابقين وهما كاسندال وباستيدا وعلمنا منهما مقدار حضرتنا عندكم ورغبتكم فى استمرار وبقاء الصداقة والود بيننا وقد وصلنا ستة من الأسرى المسيحيين وهؤلاء قد حضروا إلى حضرتنا وأشاروا بالمعاملة الكريمة منكم .

وهداياكم التى بعثتموها فنحن نشكركم عليها كثيرا فهى لها قيمة كبيرة عندنا بجانب معناها النبيل .

وقد وصل إلى حضرتنا بعد ذلك بقليل ثلاثة مسيحيين أسرى الذين ذكروا لنا بأنهم أطلق سراحهم دون أى رجاء أو طلب مسبق منا وتفسير هذا بأنه يوضح مدى تقدير السلطان لنا ولذلك فنحن نشكركم جدا على ذلك ونحن نرسل هذه السفارة بفضل الرغبة المعلنة للسلطان فى الرسائل السابقة بأن تقام علاقات طيبة وصداقة مع ملك أراجون وأنه على سفرائنا فيلافرنكا وباستيدا يوضحا لكم رغبتنا فى إطلاق سراح بعض الأسرى المسيحيين والذين يهمنا أمرهم وقد علمنا من سفرائنا السابقين وهما كاسندال وباستيدا بأن سبب رفض السلطان بأن يطلق سراح كل المسيحيين يرجع إلى رغبتكم فى ألا تنقطع العلاقات معنا عندما لايوجد شئ نطلبه نحن من السلطان ولكن لاتوجد هناك مناسبة لتقطع العلاقات بين البلدين التى كانت دائما ودية جدا وقد أبلغنا سفرا ءنا بأنهم يجب أن يوضحوا لكم بأنه بأسرى أو بدون أسرى فإن علاقات الصداقة بين بلدينا والسفارات لاتنقطع أبدا بيننا .

وهنا تعليمات خاصة للسفراء الأراجونيين إلى سلطان بابليون

رجاء السلطان بإطلاق سراح كل الأسرى إن لم يستجب على أساس أنه ليس كل هؤلاء الأسرى تابعين لأراضى ملك أراجون فعليهم محاولة إطلاق سراح أربعة من رعايا ملك أراجون لأنهم خدموا الملك خايم بإخلاص وهم :

١- برتران دى لابوبيا .

٢- فيليب دى ميناليف دى شيبر

٣- فاسكو فا خردوادى أورتيجرا

٤- خيراردو دى لابيروسيا

وهم أعضاء رهبانية الداوية العسكرية

الملحق رقم (١١)

JAIME II A MUHAMMAD IBN QALAWN DE EGIPTO

Anuncia el viaje del monje Pedro Fernandes de Ixar a Tierra Santa. Pide que le sean concedidas las casas que fueron del Patriarca de Jerusalén.

Zaragoza, 23 de diciembre de 1320.

Al molt alt e molt noble e molt alt e nomenat el savi e el dreturer en son regne princep dels sarrahins Abilfat Mahomat fill del molt alt rey Almançor solda de Babilonia e senyor de les parts de levant; En Jaeme per la gracia de Deu rey d Arago, de Valencia; de Cerdenya; de Corcega e compte de Barchinona; E de la santa Esgleya de Roma senyaler e almirayl e capitan general; Salut axi com a rey alt e honrat que nos molt amam e per que degam honor e creximent de be e a la honor e del plaer del qual nos som aparellats a volenterosas i axi com a amic que molt amam e de qui molt fiam; fem vos saber que nos per la gran devocio que haven el sant sepulcre de Jherusalem; axi com a Catholich crestia desigam molt quel servey de Deu hi s cresent e continuat en aquell; E com l onrat e religios frare Pero Fernandez de Ixar del orde dels frares predicadors; que es hom honest e de bona conversasio; e encara es ab nos en deute de parentesch; vaya personalment a aquexes partides; Pregam vos cursosament que vos vullats donar e asignar les cases de Jherusalem que foren del patriarcha; en que lo dit frare Pere e los altres frares del dit orde dels preycadors que seran aqui puscan estar e tenir convent a honor e a servey de Deu e del Sant Sepulcre damunt dit; E en aço mostrerets a nos e farets ho nos en gran amor; E us ho grahirem molt; E sobre les coses demunt dites vos pregam que cregats a tot ço quel dit frare Pere vos dira de paraula de part nostra; Encara us pregam quel damunt dit frare Pere ajats e tingats recomanat per honor e amor de nos; E fer nos nets gran plaer; Dada en la ciutat de Saragossa a XXIII dies anats del mes de vaytubre en l any de nostre senyor de MCCCXX.

Giraldi Augeti mandato regis et fuit hostensa domino Archiepiscopo Toletano in ipsius.

Predicta littera fuit duplicata set in ipsa ultima non fuit facte mencio que predicto frater Petrus sit de parentela domini regis. Data ut supra. Idem ut supra.

(A.C.A. Rg. 246, fol. 123.)

ترجمة الملحق رقم (١١)

«من خايم الثانى إلى الناصر محمد بن قلاوون[1]»

إعلان عن سفر الراهب بدرو فرديناند دى أكسر إلى الأراضى المقدسة ومنحة البيت المخصص لبطريرك بيت المقدس.

سرقسة ٢٣ ديسمبر سنة ١٣٢٠

نص الخطاب

إلى الأمير المبجل المفخم الأكثر نبلا والأكثر شرفا أمير كل الشرقيين الناصر محمد ابن الملك المنصور سلطان بابليون وسيد كل بلاد الشرق، من خايم نعمة الله ملك أراجون وبلنسية وسردينيا وكورسيكا وكونت برشلونة حامى كنيسة روما المقدسة والأميرال والكابتن العام.

التحية والسلام إلى الملك بكل الحب والوئام فإننا من أجل خلاص العبادة ونقاوتها فى القبر المقدس فى بيت المقدس من الكاثوليك فإننا نرسل لكم رجل الدين بدروفرديناند دى اكسر Pero Fernandez de Axar من أجل مساعدتكم له والأمر له بأن يتم تسليم هذا الرجل البيوت التابعة لبطريركية بيت المقدس وذلك حتى يستطيع الإقامة فيها ويؤسس ديرا للرهبان وهذا الطلب يعتبر طلبا خاصا منا ونرسل معه ذلك الخطاب حتى يتسنى لكم التأكد من أن هذا المطلب نؤيده فيه ويمثل رغبتنا ونتمنى تنفيذ هذا المطلب من منطلق الود والحب الذى بيننا .

صدر فى سرقسة ٢٣ ديسمبر سنة ١٣٢٠

١- Masia : doc 51 , p. 323-325 .

الملحق رقم (١٢)

Embajada al soldán de Egipto Muhammad ibn Qalawn por mediación de Berenguer de Castellbisbal y Geraldo Olivera. Deben agradecer el envío de catorce cautivos en virtud de la embajada de 1318; participar los preparativos para conquistar Cerdeña; pedir nuevos cautivos, especialmente los súbditos aragoneses; la administración del Santo Sepulcro para los franciscanos; entrega de la Vera Cruz y el cáliz de la Cena; que busquen la piedra llamada betzaar.

Barcelona, 11 de septiembre de 1322.

Legacio comissa per dominum nostrum Regem ad Soldanum Babilonie Berengario de Castro Episcopali, militi, et Geraldo de Olivaria, civi Barchinone, de domo domini Regis.

Littera credencie tenor sequitur.

Al molt alt e molt noble e molt honrat e nomenat el savi e el dreturer en son Regne princep el pus alt Rey dels sarrahins Abilfac Mahomet fill del molt alt Rey Almançor Soldan de Babilonia; En Jacme per la gracia de Deu Rey d Arago etc.; Salut axi com a Rey alt e honrat que nos molt amam e per qui desigam honor e creximent de be e a la honor e al plaer del qual con a amic que molt amam e de qui molt fiam; Rey fem saber a la vostra altea que remembrants nos molt be e tenents en nostre cor la bona amor e la bona volentat e amistat qui es estada e es entre vos e nos e no pas novellament ans antigament e de lonch temps, la qual bona amor e bona volentat e amistat molt cumplidament en moltes maneres havem coneguda vos haver envers nos e nos certanament la havem envers vos e ne lunyea de terra ne de temps no tollen ne embarguen a nos d aquestes coses vers vos; E som certs que semblantment es de vos a nos; Per aquestes rahons volents haver plaer que puscham saber clarament de vostra salut e de vostre bon estament e que vos atressi pugats saber del nostre de que sabem queus alegrarets; E aytambe per que entre vos e nos se deja refrescar, continuar e refermar aquesta bona amor e amistat e bona volentat; E encara confiants de la vostra cumplida amor per a emprar e per pregar vos d alcuns fets en los quals no entenem trobar fadiga com tots temps haiam provada e coneguda la vostra bona voelntat a cumplir e exohir nostres precs, per ço havem tengut per be de trametre a la vostra alta presencia missatges nostres es a saber en Berenguer des Castellbisbal, cavaller e en Guerau Ça Olivera, ciutada de Barchinona; homens honrats e leyals e de companya e de casa nostra de qui nos molt fiam quius presentaran aquesta carta nostra; als quals nos havem comanada nostra missatgeria d aquelles coses de queus degen parlar de part nostra e demanar e pregar axi com a vertader amic; Per que Rey molt alt carament pregam la vostra altea que per esguart de la nostra amor e de la nostra honor vullats reebre benignament los dits nostres missatges e aquells ohir a creure a ells o a la I d aquells pleneramment e sens dubte alcun de totes aquelles coses que a la vostra altea diran, pregaran e demanaran per part nostra; E que en aquelles coses conegam la vostra bona volentat aparellada e favorabla als nostres precs axi com tro aci la havem cumplidament coneguda; E aço haurem e reebrem en gran honor e en gran plaer; E si a vos Rey plaen de nostres Regnes e de nostres terres coses alcunes molt vos pregam que les demanets cor nos molt agradosament e pagada cumplirem ço que a vos placia; E jassia que les coses nos sien d aquella valor ne en aquella quantitat ques covendria a la vostra altea e a nos; Empero per alcun regoneximent de amistat e en senyal de bona amor e pensants nos queus seran plasents trametus vos per los dits nostres missatges alcunes joyes de nostra terra qui son escrites en I escrit qui dins aquesta letra es enclos;

Dada en la ciutat de Barchinona XI dies anats del mes de setembre en l any de Nostre Senyor de MCCCXXII.

Bernardo de Aversone mandato regis et fecit ei litera.

Aquestes coses davayl escrites son preses de la casa e del rebost del senyor Rey d Arago; E son trameses al molt alt e molt noble al Soldan de Babilonia per los honrats missatges del dit senyor Rey d Arago en Berenguer des Castellbisbal e en Guerau Ça Olivera;

Primerament falchons gerifalts prims	V
Item peçes de presset vermeyl ço es de Duay	I
Item de Ipre peça	I
Item peçes de drap de Xalo, ço es de festrequi	I
Item de blau clar peça	I
Item penes vayres	VIII
Item peçes de teles de Rems	VI

Sequitur informacio tradita nunciis supradictis.

Informacio donada an Berenguer des Castellbisbal e an Guerau Ça Olivera per lo senyor Rey d Arago en la missatgeria en quels tramet al molt alt Solda de Babilonia;

Primeramente los missatges saluden molt lo Solda de part del dit senyor Rey d Arago; ab bones e agradoses paraules com mils pusquen; E demanenli ab diligencia de sa salut e de son bon estament; E diguen li del bon estament del Rey d Arago e de sa casa e de sos Regnes; E apres presentenli la letra de la creença que porten;

En apres li diguen com lo Rey d Arago reebe, per mans den Ferran de Vilafrancha e d en Arnau Ça Bastida con tornaren a ell de la missatgeria en quels trames al Solda; letres honrades del Solda, que ell li trames per ells; E que jassia que d abans ho sabia pero entre per aquelles fort cumplidamente e clara; de la amor e de la amistat ferma e bona quel Solda ha al Rey d Arago e a la sua casa; E aytambe lo Solda sia cert e segur de la bona amor e de la bona amistat quel Rey d Arago li ha; e no novellament mas antiga es aço entre ells e en lurs cases; e sera Deu volent daqui avant; Encara reebe per mans dels dits missatges los catius crestians que eren XIIII; los quals per gracia del Rey d Arago absolve de la preso e li trames; Encara reebe les joyes quel Solda li trames per aquells missatges meteys; axi com eren escrites en I cedula de paper; E los dits catius e les joyes reebe lo Rey d Arago molt pagadament com lo Solda tan honrat amic seu los li enviava ab bona e agradosa volentat; E aquest present has fos honrat e bo; encara pero lo hac per mellor lo Rey d Arago per esguart del Solda quil li trames e de la bona volentat que li mostra; e ret liu moltes gracies; E offer se a ell a tot son plaer que no trobaria en ell fadiga; axi com tan honrat e tan bon amic;

Encara li diguen quel Solda prega lo senyor Rey d Arago d un mercader crestia per nom Serra; lo qual fugi della e portasen ab si quantitat d aver; e ana sen a Xipre; que ell fees ab lo Rey de Xipre son cunyat quel trameses al Solda; E el dit Rey d Arago trames len pregar e consellar; E el dit cunyat seu; axi com aquell qui es de se maneres e de sa volentat; no lin ha respost ne sap lo Rey d Arago que sen es fet; E encara ara per I nau de Barchinona que va a Xipre, len tramet pregar e consellar segons quel Solda ho demana;

Item li diguen que entre les altres bones paraules quel Solda trames a dir al Rey d Arago en les sues letres damunt dites; si li trames a dir que soven li trameses ses letres e certificament de sos affers; E per aquesta raho lo Rey d Arago; volent continuar e refrescar aquesta bona amor e benevolença; tramet li los dits missatges seus per saber de son bon estament e per dir li del seu; E per ço com es raho que ell, axi com a amic seu, sapia de sos grans affers; fali saber lo Rey d Arago que ell fa gran armada e gran estol; ab lo qual tramet lo molt car e amat fill seu maior l infant n Anfos; ab gran cavalleria e ab moltes gents de peu per conquerre lo Regne seu de Cerdenya e de Corcega; a honor e a creximent de sa corona e de son Regne; E es cert lo Rey d Arago que aço plaura molt al Solda; per la honor e per lo creximent del Rey d Arago e de la casa sua;

Item los missatges ab aquelles mellors paraules e rahons que poran diguen al Solda de part del Rey d Arago que no li es oblidat, ans li membra molt be; del plaer e de la honor quel Solda li ha fetes en trametreli alcunes vegades dels catius crestians qui cren en son poder; axi com ja damunt de partida es contengut; E ara encara confiant molt de la sua bonea e de la sua amistat prega lo tan carament com son bon amic port hom pregar que per sa bonea e per gracia e per honor del dit Rey d Arago; vulla absoure e deliurar e trametre li tots los crestians catius qui son en son poder, axi dels Regnes e de les terres del Rey d Arago com altres don que sien; E aquesta cosa sera molt a gran plaer del Rey d Arago; e so tendra a gran honor; quels mesquins de crestians catius; senten per lo Rey d Arago deliurament e gracia; E el Solda fara en aço sa honor e mostrara sa gran noblea e liberalitat; E no vulla dubtar de fer aquesta gracia e aquesta honor al Rey d Arago; cuydant per aventura que depuys nol visitas per sos missatges ne hagues raho de aemprarlo; Cor sia cert ell que tran prea lo Rey d Arago sa amor e sa amistat que, son enteniment es que tots temps que ahina o avinentea ne haia lo visitara per sos missatges e per ses cartes e de fer li saber son estament e sos fets; e li plaura molt quel Solda faça atretal a ell; E per aquesta raho maiormente so tendra lo Rey d Arago a gran honor e a gran plaer ;sil Solda li tramet tots los dits catius; cor los Reys e els grans senyor del mon veuran e conexeran de la gran amistat e ben volença que es entre ells;

Si per aventura lo Solda responia que ell tots los catius no retia; mas que retria aquelles qui hi sien de la terra del Rey d Arago e alcuns altres; Encara los missatges si sesforçen tant com puguen en la demanda de tots; E a la perfi si als no podien fer ahuda certificacio d aquells qui hi sien de la terra del Rey d Arago; demanen aquells tots; e encara daltres dels mellors qui hi sien, aci de cavallers com daltres de qualsque Regnes sien; en aquella maior quantitat que arribar puguen;

Item preguen lo Solda de part del Rey d Arago que per fer li senyalada honor e per mostrar li special amor li placia otorgar e ordonar la guarda e la aministracio del Sant Sepulcre per tots temps a la Orde sel Frares preycadors qui es fort aprovada orde en la Crestiandad; Axi empero quels dits frares qui en lo dit servey seran deputats ;sien tota hora naturals dels Regnes e de les terres del dit Rey d Arago; E deu mes plaer al Solda que la dita aministracio sia comanada per ell a religiosos latius que a grechs ne daltres nacions; E que als dits frares vulla otorgar per lur habitacio les cases que foren del patriarcha; per ço com son contigues al loc del Sant Sepulcre.

Item li diguen el preguen tant com pusguen que com lo Rey d Arago; axi com a ell e als altres Reys e princeps e altres crestians del mon se cove haia gran devocio en la Vera Creu; E haia antes quel Solda ne ha en son tresor en gran quantitat e haia entes encara que ell ha lo Calze en que Jeshu Xrist consegra lo dia de la Cena que li ho vulla trametre per los dits missatges; E haura li mostrada molt senyalada amor; E encara lo cors de Santa Barbara, lo qual es en son poder;

Item sien informats los misatges de procurar e de haver ab tota diligencia del Solda sin ha en son poder, hon pora trobar e haver com mils puxen de una manera de pedres qui en lenguatge de persia es apellada betzaar qui es pedra de mena; E fas en les parts de India; E segons que metges dien val contra tot veni; E han de moltes colors entre les quals dien los savis que val mes la groga; e puys la vert; e puys la foscha.

(A.C.A. Rg. 338, fol. 138; citado por FINKE, *Acta.* II, doc. 470, pág. 756; GOLUBOVICH, t. III, pág. 233.)

ترجمة الملحق رقم (١٢)

سفارة إلى السلطان محمد بن قلاوون[1]

من أجل توسط برنجير دى كاستيبسيال وخيرار دى أوليفيرا والشكر على إرسال ١٤ من الأسرى بمقتضى سفارة سنة ١٣١٨ وإبلاغه الاستعداد من أجل غزو سردينيا وطلب أسرى جدد وتخصيص الرعايا الأرغونيين لإدارة القبر المقدس بدلا من الفرنسيسكان وتسليم أجزاء الصليب وكأس القربان وطلب حجر يدعى بيتزار .

برشلونة ١١ سبتمبر سنة ١٣٢٢

خطاب التصديق

مع سفراء مملكتنا إلى سلطان بابليون وهما برنجير دى كاستيبسيال وخير ارد دى أوليفيرا مواطنين من برشلونة .

إلى الأمير المفخم المبجل الأكبر سموا الأكثر شرفا أمير كل البلاد الشرقية أبى الفتح محمد ابن الملك المنصور سلطان بابليون من خايم نعمة الله ملك أراجون ... الخ

التحية والسلام من ملك أراجون إليكم ولنعيد استمرار الصداقة والود والمحبة والوئام وهى مستمرة من سنوات سابقة نقدم لكم سفراءنا كاستيبسيال وأوليفيرا المواطنين من برشلونة واللذين نحن نثق فيهما ونحملهما خطابنا وهما سفيرينا ليعرضا صداقتنا وكل الأشياء والتى نحن نذكرها لهما ليطلبوها منكم وكل الأشياء التى سوف يذكرونها لكم فهى على لساننا .

صدر فى ١١ سبتمبر سنة ١٣٢٢

وهذه بعض الهدايا من بيت وصوان ملك أراجون والتى يحملها السفراد إلى سلطان بابليون:

١- خمسة من طيور الشاهين .

٢- قطعة من قماش ربريست أحمر .

٣- وآخرى من ديواى Duay

١- Masia : doc 51 , p. 323-325 .

٤- قطعة من قماش شالونى واحدة لون أخضر فاتح .

٥- وقطعة أخرى من قماش شالونى أخضر فستقى .

٦- ثمانية جلود من سنور البر .

٧- ستة قطع قماش ريمس Reims الناعم .

التعليمات التى يحملها السفراء

والتى سوف يذكرونها لسلطان بابليون

فى مقدمة التعليمات التحية للسلطان من ملك أراجون ولقد علم الملك من السفراء السابقين فيلافرنكا وباستيدا مقدار مكانته عند السلطان ومقدار ما يحمله له من الحب والصداقة وتقديم الشكر والامتنان بسبب إرسال ١٤ أسيرا أطلق سراحهم السلطان والذين قد وصولوا إلى حضرتنا وذكر مقدار ما يكنه لنا السلطان من الحب والود وأيضا ما أرسله من الهدايا القيمة وكل ذلك يدل على الحب والنوايا الطيبة من السلطان .

أما عن الموضوع الذى أخبرنا به السلطان نحن ملك أراجون عن التاجر المسيحى المدعو سيرا والذى طلب منا الاتصال بملك قبرص فيجب إخباره بأن الخطاب الخاص فقد تم تسليمه لملك قبرص ولكن دون رد حتى الآن ولكى نستفسر عما جرى فقد أرسلنا خطابا جديدا لملك قبرص عن طريق سفينة قامت من برشلونة إلى قبرص .

ونتيجة لذلك الحب والصداقة التى بين السلطان وبيننا نحن ملك أراجون فنخبرك بشئوننا وأحداثنا وأننا فى هذا الوقت نقوم بالاستعداد والتجهيزات الضخمة بالعدد والعتاد وتسليح جيش قوى وذلك بقيادة ابننا الأكبر الأمير ألفونسو من أجل غزو جزيرتى سردينيا وكورسيكا بهذا العمل لايشك ملك أراجون فى أنه سوف ينال إعجاب السلطان .

وأيضا فعلى السفراء الذين سيقابلون السلطان من طرفنا نحن ملك أراجون أن يعرضوا عليه المطالبة بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين كل من هم فى السجن سواء كانوا من أراضينا أو من أراضى غيرنا ، وإذا ما أعلن عن رفضه لإطلاق سراح كل الأسرى حتى لاتتوقف سفارات ملك أراجون فإنه يجب التأكد على أن ذلك لن يحدث فإن إطلاق سراح الأسرى دائما يكون عنوان الصداقة والمحبة الكاملة ولن نتوقف على أن نخبره بتقديرنا والتعبير عن ذلك وإخباركم بأحوالنا .

وإذا لم يطلق سراح كل الأسرى فليحاولوا تحرير رعايا ملك أراجون ، وفى حالة ما إذا كان عسيرا تحقيق ذلك، فليحاولوا إطلاق سراح من هم أعلى منزلة منهم .

أيضا يوجد موضوع خاص ومهم وهو من منطلق الود والحب بين السلطان وبيننا ملك أراجون وهذا الموضوع يخص مسألة القبر المقدس فنحن نرجوه بأن يمنح الحماية للقساوسة ، مؤكدين له أن الرهبان الدومينيكان إنما هم رعايا من أراجون ونحن نوضح للسلطان بأنه من المناسب جدا أن يسند حماية القبر المقدس إلى رجال الدين اللاتين أكثر من أن تسند إلى يونانيين أو من بلاد أخرى .

وفى حالة الموافقة على هذا الطلب نرجوه بأن ينقل ملكية البيوت التى كانت للبطريركية إلى رجال الدين وذلك لتصبح كمكان لحماية القبر المقدس .

بالإضافة إلى ذلك فإن الملك يعلم بأن السلطان يحتفظ بين كنوزه بالصليب الحقيقى وكأس العشاء الأخير فهو بكل الحب والصداقة والود يرجوه بأن يسلم هذه الأشياء المقدسة إلى هؤلاء السفراء وإلى جانب ذلك جسد القديسة بربارة .

وأيضا فإنه على السفراء أن يحاولوا الحصول على الحجر الذى يسمى فى آسيا بيتزار Betxaar وهو الحجر الذى يأتى من أراضى الهند وحسب رأى الأطباء فهو ذو مقدرة على إبطال مفعول السموم ويظهر فى ألوان متعددة لكن هو اعتقاد يقول بالترتيب أولا اللون الأصفر وبعد ذلك الأخضر وأخيرا الغامق (الفوسكا) .

الملحق رقم (١٣)

JAIME II AL SOLDAN MUHAMMAD IBN QALAWN

Le pide el cuerpo de Santa Bárbara o parte de él para el monasterio de mujeres que la reina Elisenda ha fundado (Pedralbes), donde existe un altar dedicado a dicha Santa. Desea también el brazo de San Simeón y las demás reliquias que están en su poder.

Barcelona, 3 de julio de 1327.

Dominus Rex scriptit Soldano Babilonie pro quibusdam reliquis sub forma sequenti.

Al molt alt e molt nobl ee molt honrat e nomenat el savi e el dreturer en son Regne princep e pus alt Rey dels sarrayns Abilfach Mahomet Soldan de Babilonia; De nos en Jacme per la gracia de Deu etc.; Salut axi com a Rey alt e honrat que nos molt amam e per qui desiyam honor e creximent de be e a la honor e al plaer del qual nos som apareyllats e volenteroses axi com a amich que molt amam e de qui molt fiam; Rey fem vos saber, que la molt noble dona Na Elysenda, Regina d Arago, muller nostra molt cara, ha hedificat a honor e a loor de Deu molt poderos un monestir de dones de la Orden dels Frares Menors, lo qual monestir nos e la dita Reyna amam molt e tenim encar per lo gran merit e la gran santedat de les dites dones; On com nos e la dita Reyna molt desiyem quel dit monestir sia ennobleit per les reliquies de Sants; E especialment aiam devocio gran en lo cors de Santa Barbera, de la qual ha especial invocacio e altar en lo dit monestir, per aquesta raho vos pregam de cor e de volentat axi com a princep e a Rey en qui nos havem gran fiança que vos per honor nostra e de la Reyna vos placia a nos trametre lo dit cors de Santa Barbera, ho partida d aquell e lo braç de Sent Simeon e d altres Reliquies de honrats Sants que sien en vostra senyoria ab les quals Nostre Senyor Deu sia lohat e beneyt e la devocio de les gens creega ves lo dit monestir; E siats cert que d aço farets a nos molt gran plaer, ens obligarets a totes coses que vos ajats mester en los Regnes e terres nostres e vos ho grayrem molt; E si alcunes coses vos plaen d aquestes partides fets nos ho saber ab fianza d obtenir;

Datum en Barchinona III dies a la entra del mes de juliol; En l any de MCCCXXVII.

Dominico de Bis mandato regis facto per dominam Reginam.

(A.C.A. Rg. 338, fol. 139v/2.)

ترجمة الملحق رقم (١٣)

«من خايم الثانى إلى السلطان محمد بن قلاوون[١]

طلب جثمان القديسة بربارة ولأنه سوف ينقل إلى دير الراهبات والتى أسسته الملكة اليسندا Elisenda حيث يوجد به مذبح قرر للقديسة والرغبة أيضا فى (ذراع) بعض آثار القديس سيمون وسائر الباقيا التى تكون فى حوزته .

برشلونة ٣ يوليو سنة ١٣٢٧

إلى الأمير المفخم المبجل الأكثر سموا والأكثر شرفا أمير كل الشرقيين أبى الفتح محمد سلطان بابليون منا نحن نعمة الله ... الخ

التحية والسلام العميق من الملك ونرسل لكم ونعلن عن رغبة لدينا أثيرة عندنا لأنها من دونا ايسلند ملكة أراجون زوجتنا والتى لها طلب خاص وهى أنها أسست ديراً للنساء الراهبات وبناء عليه قد أقامت مذبحا على شرف القديسة بربارة ولما لها من مكانة خاصة وإذا لم يكن كل الجسد فلو بعض منه ونحن نعزز هذا الطلب لأن الملكة لها عندنا مكانة أثيرة جدا ونسعى دائما لتحقيق رغباتها .

ولنا مطلب آخر ، وهو ذراع للقديس سيمون أو بعض الآثار لهذا القديس وسائر البقايا والتى تكون فى حوزتكم وكل ما تريدونه وتطلبونه من أشياء فى أرضنا فسوف نقوم بتنفيذ ذلك بكل سرور .

برشلونة ٣ يوليو سنة ١٣٢٧

١- Masia : doc , 57 , p. 332 .

الملحق رقم (١٤)

JAIME II AL SOLDAN MUHAMMAD IBN QALAWN

Anuncia el viaje de Pedro de Mijavila, que va a recoger unos cautivos. Pide que religiosos franciscanos puedan morar en la iglesia del Santo Sepulcro y que estén exentos de tributos. Que a éstos y a todos los cristianos que moran en sus dominios les alcance su protección.

Barcelona, 20 de agosto de 1327.

Soldano predicto in stilo ut sub continetur.

Rey be havem a memoria con en los temps passats la vostra altea mostran la bona volentat que tots temps ha hauda enves nos tota via ha complides les nostres pregaries trameten nos dels crestians catius naturals nostres e daltres Reys de la Crestiandat e otorgan encara altres coses que nos haviem agradables; Per que ara reten vos moltes gracies de tot ço que fet havets en honor nostre e offiren nos a totes coses a complir que a vos tornassen a plaer e honor; Confiant de la vostra antiga e bona amistat la qual entenem a conservar; vos pregam carament que con encara sien romases catius en vostre poder Bonanat Catala de Barcelona e Johan Rodrigueç navarro e Jaquet Angles torçimayn e alcuns altres vullats en honor nostre deliurar los desus nomenats o alcuns altres assenyaladament de nostres Regnes lo quals l amat e feel servidor nostre en Pere de Mija Vila qui esta letra nostra vos presentara nomenara a la vostra altea e aquells deliurats a nos trametre; Encara Rey con nos axi con se cove ajam gran devocio en lo Sant Sepulcre de Jhesu Xrist e hajam entes per alcuns xcristians Frares Menors qui son poch temps ha venguts de Jherusalem que la Esglea del dit Sant Sepulcre no es tan reverenment ne tan sufficient com mester seria altea ab aquella affeccio que podem que vos assenyaladament per esguart de nos vullats otorgar que religioses Frares Menors de nostres Regnes hagen alcun loch devot en la Esglea del dit Sant Sepulcre a prop la dita Esglea en lo qual puxen servir Deu e los xcripstians peregrins enformar en la fe e que aquests Frares Menors puxen anar per vostres Regnes e terres franchament e que nols sia demanat trahut, peatge ne dret algun e quel dits Frares Menors specialment e tots altres xcripstians sien en vostra comanda e defeses per vos e per vostres almirants; E sobre aço otorgar e manar aquelles cartes que mester seran; E en aquestes coses Rey farets a nos gran plaer e gran honor e nos grahir vos ho em molt;

Dada en Barcelona XX dies del mes d agost; En lany de Nostre Senyor Mil CCCXXVII.

Ferran de Basti, mandato regis.

(A.C.A. Rg. 338, fol. 140; GOLUBOVICH, t. III, pág. 312; citado por FINKE, *Acta*, t. II, doc. 472.)

ترجمة الملحق رقم (١٤)

«من خايم الثانى إلى السلطان محمد بن قلاوون[١]

إعلان عن سفر بدرو ميديا فيلا والذى ذهب لطلب تحرير الأسرى والنظر فى موضوع الرهبان الفرنسيسكان والقاطنين فى كنيسة القبر المقدس والذى يطلب إعفاءهم من الجزية وكل المسيحين القاطنين فى أملاكه ومتابعة رعايته لهم .

برشلونة ٢٠ أغسطس سنة ١٣٢٧

خطاب التصديق

نفيد علمكم بأننا نطلب منكم تحرير كل الأسرى المسيحيين التابعين لنا أو للملوك المسيحيين الآخرين وإن كنا نركز على بعض هؤلاء الأسرى من رعايانا وهم :

من برشلونة	Bonanat
من نافارا	Johan Rodriguec
ترجمان	Jaquet Asngles
وآخرين	

ويقدم لكم هذه الطلبات سفيرنا ميديا فيلا الذى يحمل خطابنا ليقدمه لكم والذى نثق فيه وسوف يذكر لكم بأن كنيسة القبر المقدس لاتلقى العناية والخدمة اللائقة ولذلك نعرض عليكم بأن يسمح لرجال الدين الرهبان من أتباعنا أن يقوموا بخدمة الكنيسة فى القبر المقدس أو أن يقيموا بمكان بالقرب منه حتى يكونوا فى إمكانهم خدمة الله ورعاية الحجاج . ونطلب منكم بأن يمنح هؤلاء القساوسة أو يمكنوا من التجول بحرية فى الأماكن المفتوحة وأن تشملهم الحماية وكل المسيحيين المقيمين فى أراضيكم .

برشلونة ٢٠ أغسطس سنة ١٣٢٧

١- Masia : dos . 59 , p. 343 .

الملحق رقم (١٥)

ALFONSO IV AL SOLDÁN MUHAMMAD IBN QALAWN

Credenciales a favor de sus enviados Francisco Marqués y Ramón de Vall. Éstos deben procurar renovar los pactos de tiempos de Jaime II. Accediendo a los deseos del Soldán envía mercancías y cree que le será enviado el cuerpo de Santa Bárbara y el brazo de San Simeón. Los embajadores son portadores de regalos.

Valencia, 1 de julio de 1329.

Legacio comissa Francisco Marquesii et Raimundo de Valle ad Soldanum Babilonie .

Al molt alt e molt noble e molt honrat e nomenat; el savi e el dretur. en son Regne e pus alt Rey dels sarrahins Abilfac Mahomet fil del molt alt Rey Almançor Solda de Babilonia ; n Amfos per la gracia de Deu Rey d Arago ,de Valencia ; de Cerdenya, de Corsega e Comte de Barcelona ; Salut axi com a Rey alt e honrat ;que nos molt amam e per qui deseyam honor e creximent de be ; E a la honor e al plaer del qual nos som aparellats e volenterosos ; axi com a amich que molt amam e de qui molt fiam ; Rey fem vos saber que vos sabets molt be la bona amor e la bona volentat e amiztat quel molt alt Rey en Jacme, nostre pare, a qui Deus perdo, havia ab vos ; la qual bona amor e bona volentat e amistat fo clarament demostrada ; de la 1 al altre en moltes maneres ; Sabets encara la bona amor e bona volentat que vos avets a nos que novellament començam a regnar en los Regnes e terres nostres ; axi com es manifest a nos per letres vostres quens trameses ; Per ço volents seguyr la carrera del dit pare nostre ; e havents aquel meteys proposit en vers vos trametens a la vostra alta presencia nostres missatges per conciliar e refrescar lo bon deure d amistat que avets ab nos ; e ab la nostra casa ; e nos avem semblantment a vos e a la vostra casa ; E per que puscam saber clarament de vostra salut e bon estament e vos altresi sapiats del nostre ; Encara per la fiança que avem en la vostra bona amor ; per pregar e aemprar vos dalcuns fets ; en que no entenem trobar fadiga en vos, com som certs que vos tota hora demostras vostra bona volentat en ves lo dit pare nostre a exohir sos prechs ; Els dis missatges nostres son en Francesch Marques conseller nostre ; e en Ramon Çavayl, ciutada de Barcelona ; homens honrats e leyals e de conpanyna ; de casa nostra ; de qui nos molt fiam ; qui aquesta carta nostra vos presentaran, als quals nos avem comanada nostra missatgeria sobre aquelles coses de quens degen parlar de part nostra e demanar e pregar axi com a vertader amich ; per que Rey molt honrat vos pregam carament que per esguart de la grant amor que agues ab lo dit pare nostre e havets ab nos e per honor nostra vullats benignament rehebre los dits missatges nostre e a quels oyr e creure ; a ells o a la 1 d aquels cumplidament e sens dupte de totes aquelles coses que a la vostra altea diran, pregaran e demanaran per part nostra ; E que en aquelles coses conegam la vostra bona amistat e volentat apparellada e favorable als nostres prechs axi com avets feyt tro aci al dit senyor pare nostre ; E aço aurem e rehebrem en gran honor e en gran plaer ; E si a vos Rey venen a plaer de nostres Regnes e terres coses algunes, pregam vos que les demanets, car nos molt pagadament e agradosa complirem ço que a vos placia ; E jasia que les coses non sien daquella valor ; ni en aquella quantitat ques covendria a la vostra altea e a nos ; Empero per algun regoneximent de amiz-

tat e en senyal de bona amor e pensant nos quens seran plasens; trametem vos per los dits nostres missatges algunes joyes de nostra terra; que son escrites en un scrit enclos dins aquesta letra; Data en la Ciutat de Valencia lo primer dia del mes de juliol del any de Nostre Senyor Deus Mil CCCXX nou.
Bonanato de Petra mandato Regis.

Aquestes coses davayl escrites son preses de la casa e del rebost del senyor Rey d Arago; E son trameses al molt alt e molt noble al Soldan de Babilonia per los honrats missatges del dit senyor Rey d Arago; en Francescho Marches e en Ramon Ça Vayl;

Primerament falchons grifalts prims gris	5
Item peçes de presset vermeyl	2
Item peçes de drap de Xalon	2
Item penes vayres	8
Item peçes de teles de Rems	6

Aquesta informacio es donada en Francesch Marques e an Ramon Ça Vayl per lo senyor Rey d Arago; en la missatgeria en quels tramet al molt alt Soldan de Babilonia.

Primerament los missatgers saluden molt lo Soldan de part del dit senyor Rey d Arago, ab bones, agradoses paraules com mils pusquen; E demanenli ab diligencia de sa salut e de son bon estament; E diguen li del bon estament del Rey d Arago e de sa casa e de ses Regnes; E apres presentenli la letra de la creença que porten.

En apres li diguen com lo senyor Rey d Arago saben molt be la bona amor e la bona volentat e amistat que es estada tot temps entrel Solda e el molt alt Rey en Jachme, de bona memoria pare del dit senyor Rey Anfos ara regnant; E encara per quo sap que axi meteyx lo dit Solda ha bona voluntat a ell e a la sua casa, la qual cosa es encara certa e manifesta al dit Rey d Arago per letres specials que ha rehebudes del dit Solda; per ço lo dit Rey d Arago volent seguyr la carrera de son pare e avent aquell meteyx proposit envers lo dit Solda, tramet los dits missatgers a el, per continuar a reffrescar lo bon deute d amistat entrells, e per saber de la sua salut e bon estament; Encara quel dit Solda sapia de la salut e bon estament del dit Rey d Arago e quen aja plaer; E ofirent de part del dit Rey d Arago al Solda ques appareyllat a son plaer e de fer per el, per la bona amiztat que es entre ells, axi be e cumplidament com lo dit pare seu lo Rey en Jachme era volenteros;

En apres li diguen com lo dit Rey d Arago reebe una letra del dit Solda de resposta; e jasia aço; que aço meteys enteses lo dit Rey d Arago, Empero per la dita letra li demostra la bona amor e bona volentat que ha ell e a complir los seus prechs; En la qual letra entre les altres coses als precs quel dit Rey li avia fets per aver lo cors de Sancta Barbera; li feu saber lo dit Solda que, quant lo Rey d Arago enviara naus e vexels granats en los quals lexas venir mercaderias granades; lavors manaria e consintria deliurar la sua demanda; de la qual cosa lo dit Rey d Arago ha molt gran plaer e liu graeys molt; per que tramet a ell los dits seus missatges ab naus e mercaderias gra-

nades; E prega molt curosament lo dit Solda que per la bona amor e amistat que ell ha al dit Rey d Arago; e per honor dell li vulla otorgar e trametre per los dits missatges lo dit cors de Sancta Barbara e el braz de Sent Simeon; en lo quals lo dit Rey d Arago he molt gran devocio; E en aço mostrara a ell la bona volentat que li ha; e lo dit Rey d Arago se tendra per obligat a tot ço quel dit Solda vulla de sos Regnes e li agrahira molt.

Encare li diguen com lo dit Rey d Arago sab e es notori quel dit Solda; alcunes vegades mogut per precs del dit Rey en Jacme e per honor del, ha deliurats e absolts e trameses a ell alcuns catius crestians que eren preses en son poder; per que axi meteyx lo dit Rey havent gran fiança que semblantment faça per ell; lo prega molt curosamente; que per honor dell vulla absolvre alcuns catius crestians que son preses en son poder del, los quals nomenaran los dits missatgers, e trametre aquells al dit Rey d Aragon per los dits missatgers. E aço semblantment li grahira molt lo Rey d Arago e lin fara honor e plaer.

(A.C.A. Rg. 562, fol. 81.)

ترجمة الملحق رقم (١٥)

«من ألفونسو الرابع إلى السلطان محمد بن قلاوون[١]

اعتماد أوراق المبعوثين فرانسيسكو ماركيس ورامون دى فال اللذين سعيا إلى تجديد المعاهدة والتى كانت من خايم الثانى وموافقة السلطان على رغباته مقابل إرسال البضائع والتصديق على إرسال جثمان القديسة بربارة وذراع القديس سيمون مع السفراء الحاملين للهدايا .

بلنسية ١ يوليو سنة ١٣٢٩

خطاب التصديق

إلى الأمير المفخم الأكثر سموا والأكثر شرفا أمير كل الشرقيين أبى الفتح محمد بن الملك المنصور سلطان بابليون من ألفونسو نعمة الله ملك أراجون وبلنسية وسردينيا وكورسيكا وكونت برشلونة ، التحية والسلام من الملك بكل الصداقة والحب فنحن نواصل ونكمل ما بدأ الملك خايم من العلامات الطيبة ولزيادة الحب وتأكيدا بأن الأمور لاتختلف عن ذى قبل فنحن نرسل لكم سفراءنا لتأكيد هذه الأمور ولتجديد الحب والصداقة والسفراء هم مستشارنا فرانسيسكو ماركيس ورامون دى فال مواطنان من برشلونة وقد وجهنا إليهم التعليمات التى سوف يذكرانها لكم وكل الأشياء التى سوف تطلبونها من أرضنا فسوف ننفذها لكم وإجابة رغباتنا سوف نكون من منطلق الحب والود بيننا .

صدرت من مدينة بلنسية ١ يوليو سنة ١٣٢٩ وهذه الهدايا قد أخذت من بيت وصوان ملك أراجون إلى فخامة الأمير المفخم سلطان بابليون ويحملها سفراؤنا .

	عدد
١- من طيور الشاهين	٥
٢- قطع من قماش برست أحمر	٥
٣- قطع من قماش شالونى	٢

١- Masia : doc 61 , p. 336-338 .

	عدد
٤- قطع من جلود سنور البر	٨
٥- قطع من كتان ريمس	٦

تعليمات إلى السفراء الذاهبين
إلى السلطان من ملك أراجون

إنهم يحملون التحيات إلى السلطان والهدايا والأوامر الخاصة التى يريد توصيلها ملك أراجون إلى السلطان .

والغرض من هذه السفارة الرغبة فى تجديد علاقات الصداقة والود التى كانت موجودة بين ملك أراجون خايم الثانى والسلطان .

فإن الهدايا المرسلة منا لا هى فى قيمتها ولا فى كميتها تدنو من مكانة الملكين ، لكننا نرسلها فقط كعلامة للصداقة والود ونحن نظن أنها سوف تنال إعجابكم ، وعلى الرسل أن يخبروا السلطان برغبتنا نحن الملك ألفونسو فى مواصلة العلاقات الطيبة والتى تتمثل فى السفارات المتبادلة والتى كانت موجودة فى أيام خايم والدنا .

وإننا نحن ملك أراجون نجيب السلطان لما طلبة فى السفارة السابقة من والدنا بتجهيز سفينه محملة بالبضائع وهى مقابل استلامنا لرفات القديسة بربارة وسوف نرسل هذه السفينة مع السفينة التى تحمل السفراء ونأمل أن يحمل السفراء فى عودتهم إلينا الرفات المذكورة والتى تضم رفات القديسة بربارة وذراع القديس سيمون .

ومثلما كان يحدث أن يطلب والدنا الملك خايم الثانى من السلطان تحرير وإطلاق الأسرى المسيحيين فإننا نحن نطلب أن يحرر السلطان بعض الأسرى المسيحيين المحتجزين فى بلاد السلطان وهذا من منطلق الود والصداقة والحب بيننا .

الملحق رقم(١٦)

ALFONSO IV AL SOLDAN MUHAMMAD IBN QALAWN

El objeto de esta carta es participarles las peticiones que añade a las anteriormente expuestas, a instancias de Pedro, Patriarca de Jerusalén.

Sigue carta a los embajadores y las instrucciones a los mismos. Deben solicitar para el patriarca residencia cerca del Santo Sepulcro y otros extremos.

Valencia, 15 de agosto de 1329.

Al Soldan de Babilonia.

Rey molt alt fem vos saber que nos trametem a vos nostres missatgers, ço es en Francesch Marques, conseller nostre e en Ramon Çavayl, ciutada de Barchinona, homens honrats e leyals e de companya e de casa nostra; los quals presentaran a vos una altra letra nostra queus trameten e per la missatgeria e creença quels havem comanada deuen parlar ab vos de part nostra e demanar e pregar sobre aqueles coses vos pregam molt carament que per honor e amor de nos vullats otorgar e cumplir; E oltra aquelles coses vos deven pregar de part nostra d algunes altres coses e gracies que demanam en favor e gracia del molt honrat e molt discret en Pere, Patriarcha de Jherusalem, el qual nos som molt tenguts per moltes bones condicions que nostre Senyor Deus ha posades en la sua persona; Per queus pregam Rex que les dites gracies vullats otorgar al dit Patriarcha per amor de nos; E en aço Rey farets a nos molt assenyelat plaer, eus ho grayrem molt; Data en Valencia a 15 dies del mes dagost en lany de Nostre Senyor MCCCXXIX.

Guillelmo Augeti, mandato regis fecit per Bonanatum de Petra.

N Anfos etc; Al amat conseller nostre en Francesch Marques e al feel de casa nostra en Ramon Çavayl, ciutada de Barchinona; Salut e dileccio; Fem vos saber que depuys que vos dit en Francesch pertis de nos ab les cartes e informacio de la missatgeria que vos amdosos devets fer per nos al Solda de Babilonia, havem provist e ordenat que a la dita missatgeria sien ajustades e comanades a vos algunes altres coses de que nos volem pregar lo dit Solda e recaptar per lo molt honrat en Pere, Patriarcha de Jherusalem; que d aço nos ha scrit; les quals coses vos trametem ordenades per capitols en una cedula qui es enclosa dins aquesta letra nostra; Per que volem eus manam que ensems ab les altres coses damunt dites que jaus haviem comanades; demanets e preguets lo dit Solda de part nostra molt affectuosament, cor nos haiam aquelles coses molt a cor, per honor del dit Patriarcha a qui requen molt e desiga molt ques complesquen.

Data en Valencia a XV dies del mes d agost en l any de Nostre Senyor MCCCXXIX.

Idem.

Aquestes coses demana lo Rey d Arago al Solda que li sien otorgades en favor e gracia del Patriarcha de Jherusalem.

Primerament quel dit Solda per honor e amor del Rey d Arago vulla reebre e tenir en la sua comanda e especial guarda lo dit Patriarcha e los seus e tots los seus fets e coses;

Item que li placia otorgar ab letres sues e assignar de feyt casa e habitacio covinent en Jherusalem prop del Sant Sepulcre, per habitacio al dit Patriarcha ab sa companya ; e quel dit Patriarcha ab III frares d ordre, o III frares sens ell, los quals aquell Patriarcha ordonara ; pusques estar prop la clausura del Sant Sepulcre ; e puxa mudar avegades segons que ordona les persones, les quals tota hora sien en lo nombre desus dit ;

Item que li placia otorgar quel dit Patriarcha ab frares d orde e companya sua puxa anar e estar per tota la terra e lochs del dit Solda, salvament e segura ;

Item que en tot loch on sera lo dit Patriarcha en la terra del dit Solda puxa celebrar e fer celebrar misses e altres divinals officis ;

Item que li placia assignar una persona covinent per guarda e defenssio del dit Patriarcha, qui a despeses del dit Patriarcha lo acompany en tot loch

ترجمة الملحق رقم(١٦)

«من ألفونسو الرابع إلى السلطان محمد بن قلاوون[١]

هدف هذا الخطاب يكون المساهمة فى تدارك الأخطار السابقة وطلبات بدور بطريرك بيت المقدس والخطاب التالى إلى السفراء به تعليمات لهم من أجل إقامة البطريرك بالقرب من القبر المقدس والأطراف الأخرى .

بلنسية ١٥ أغسطس سنة ١٣٢٩

خطاب التصديق

إلى سلطان بابليون فنحن نرسل لكم مع سفرائنا وهم مستشارينا فرانسيسكو ماركير ورامون دى فال مواطنان من برشلونة ومن بيتنا واللذين يحملان خطابنا إليكم ونحن قد أرسلنا لكم معهما طلبات والتى طلبها بطريرك بيت المقدس ونحن نوصلها إليكم ونرجو بكل الحب والصداقة تنفيذ هذه الطلبات .

صدر من بلنسية ١٥ أغسطس سنة ١٣٢٩

التعليمات والطلبات التى حملها السفراء وهى :

أولا : فالملك يطلب هذه الطلبات والتى طلبها منه بطريرك بيت المقدس والتى تتمثل فى :

أن ينال حمايتنا وأيضا رعاياه كذلك وكل الذين يتبعون له نفس الشئ وبالنسبة لأموالهم أيضا .

ونطلب أن يكون له بيتا أو حجرة مناسبة بالقرب من القبر المقدس وذلك بغرض أن هذا البطريرك بمصاحبة ثلاثة رجال دين آخرين أن يتعبدوا فى قرب من القبر المقدس .

وطلب أيضا أن يستبدل رجال الدين هؤلاء كلما كان مناسبا وهذا البطريرك بجانب رجال الدين هؤلاء الذين يتبعونه أن يكونوا احرارا فى حركتهم فى أقاليم السلطان وأن يقيموا الصلاة حيث يكونوا .

وأيضا طلب أن يمنح رجلا لحمايته والذى يجب أن يلازمه فى كل تحركاته فى أراضى السلطان وأن يعفى من الضرائب التى يدفعها .

١- Masia : doc . 65 , p. 340-342 .

الملحق رقم (١٧)

ALFONSO IV AL SOLDAN MUHAMMAD IBN QALAWN

Le participa que el infante Pedro, conde de Ribagorza y Ampurias, envía sus emisarios. Ruega les dispense un buen recibimiento.

Lérida, 15 de septiembre de 1333.

Quando nuncii domini infantis Petri missi premut ad Soldanum Babilonie.
Al molt alt e molt noble e molt honrat e nomenat el savi e el dreturer en son regne princep e pus alt rey dels serralsyns Abilfat Mafomet fiyl del molt alt rey Almançor soldán de Babilonia. N Amfos epr la gracia de Deu rey d Arago de Valencia; de Cerdenya e de corcega e Conte de Barchinona; Salut axi com e rey alt e honrat que nos molt amam e per qui desigam honor e crexement de be e a la honor e al plaer del qual nos som appareyllats e voluntaroses axi com amichs que molt amam e de qui molt fiam; Rey fem saber a la vostra altea; que l alt infant en Pere Conte de Ribagorça e de Impuries frare nostre molt car; tramet a la vostra magnificencia sos especials ambaxadors ab creença sua complida; E nos havent fe a la fraternitat e amor que vos e el molt alt senyor rey en Jacme de bona memoria pare nostre haviets, la qual fraternitat e amor nos axi com aquel qui volem seguir la carrera e voluntat del senyor rey pare nostre volem haver ab vos e tenir complidament cream permament que fariets per nos co que a plaer e a honor nos tornas els fets del dit pare nostre sien a nos axi cars can los nostres propis; Per aquesta raho pregam la vostra excellencia com pus affectuosament podem, quels dits ambaxadors vullats en vostra gracia haver recomanats a esser a ells favorable e gracios per honor nostre en tot ço que per lo dit pare nostre e en altra manera hagen ab la vostra excelencia a fer a desembargar, en tal manera que ells coneguen quels prechs nostres los sien profitoses e que hara trobada e alsada ab vos favor, gracia e amor; Erem apparaylats e voluntariosos de fer per la vostra gran altea semblants coses e maiors; aDda en Leyda XV dies anats del mes de setembre; En l any del Nostre Senyor MCCCXXXIII.
Clemens de Salaviride mandato domini regis

(A.C.A. Rg. 528, fol. 193v.)

ترجمة الملحق رقم (١٧)

«من إلفونسو الرابع إلى السلطان محمد بن قلاوون[١]

اشتراك الأمير بدرو كونت رياجودث وأمبورياس مع سفرائه والتماس أن يخصص له استقبال حار .

لاردة ١٥ سبتمبر سنة ١٣٢٣

خطاب التصديق

إلى الأمير المفخم الأكثر شرفا والأكثر نبلا أمير وملك كل الشرقيين أبى الفتح محمد بن الملك المنصور سلطان بابليون من ألفونسو نعمة الله ملك أراجون وبلنسية وسردينيا وكورسيكا وكونت برشلونة .

التحية والسلام والحب إلى السلطان ورغبتنا فى مواصلة الصداقة والمحبة بيننا فنحن نخبرك بأننا نرسل هذه السفارة وعلى رأسها الأمير بدروكونت Ampurias , Ribbagorzo لتوكيد الحب والصداقة والتى ما زالت على خط مستقيم منذ عهد والدنا الملك جيمس .

والذى نرجوه أن تستقبلوه كما لو كنا نحن شخصيا تنزلوه منزلة كريمة وبما يليق بشخصه والعلاقات التى بيننا ونحن قد حملناه التحية والسلام نيابة عنا .

صدر فى ليريدا ١٥ سبتمبر ١٣٣٣

١- Maisa : doc, 71. p. 346.

الملحق رقم (١٨)

CARTA DEL REY DE ARAGON

DON JAYME SEGUNDO,

Escrita á Cassán Rey del Mogól, ofreciéndole por medio de su Embaxador su amistad y alianza contra los Sarracenos de la Tierra Santa. Fecha en Lérida á 19 de Mayo del año 1300.

Al muy alto y poderoso Rey de los Mogoles Cassán [1] Rey de los Reyes de todo el Oriente: Jayme, por la gracia de Dios, Rey de Aragon, de Valencia, y de Murcia, y Conde de Barcelona, y de la Santa Iglesia de Roma Ganfalonero, Almirante, y Capitan General: Salud, y bienaventurados sucesos. Como ninguna criatura hay que tenga poder en sí, sino el que nuestro Señor, Dios Todo-Poderoso, quiere dar á sus amigos, entre los quales hemos sabido que el que Todo-Poderoso es, ha escogido á Vos y á vuestra alta sangre por espada de justicia en la tierra, para confundir y destruir á sus enemigos, que su Santuario de la Ca-

(1) Era de la dinastia de los Mogóles Gengiskanides, Reyes de Pérsia. Entró á reynar en 1292, abrazando por política antes el mahometismo; pero conservó siempre aficion á los Christianos. En 1299 invadió la Syria contra Naser Soldán de Egypto. Murió en el año de la Era Christiana 1304.

Casa Santa de Jerusalem muchas veces han profanado, de cuya noticia, nuestro corazon mucho se ha alegrado: y como nuestros predecesores en todos tiempos hubiesen deseado hallarse y pasar á esas partes para ayudar á conquistar la Tierra Santa, mayormente siendo cosa cierta, que la mayor parte de los Reynos que tenemos, los hayan conquistado y ganado dichos nuestros predecesores de manos y poder de la mala raza de los infieles Sarracenos, con la santa ayuda y misericordia de nuestro Señor, Dios Todo-Poderoso: y Nos deseemos, mas que ninguna otra cosa de este mundo, pasar á esas partes para ayudar á sacar de las manos y poder de los dichos infieles Sarracenos la Tierra Santa, donde nuestro Señor Dios tomó muerte y pasion para redimirnos y salvarnos, y ponerla en poder de los fieles Christianos, á fin de que sea allí su santo Nombre bendito y alabado: Por tanto hacemos saber, que si necesitaseis de nuestra ayuda de naves y galeras, gentes de armas, caballos, víveres, ú otras cosas convenientes á vuestro exército; os rogamos nos lo participeis por vuestro Mensagero, porque estamos aparejados á hacerlo y cumplirlo.

Sabed como hemos ordenado y mandado á todos nuestros subditos que quieran pasar á esas partes para honor de Dios, y acrecentamiento de vuestro exército, que puedan executarlo sin ningun impedimento. Si ahí necesitais de Nos, ó de nuestras gentes, participádnoslo con Carta vuestra, y Mensagero, por conducto de nuestro fiel Pedro Solivera, vecino de la Ciudad de Barcelona, portador de esta nuestra Carta, el qual os enviamos por especial Mensagero nuestro: porque estamos dispuestos y tenemos gran voluntad de pasar ahí, á fin de que la mala yerba que tan largo tiempo ha ocupado y ensuciado dicha Santa Tierra de Jerusalem, pueda cortarse á raiz de la tierra: rogándoos

que á los Christianos que halláseis en las partes donde estaréis, y especialmente los Francos de nuestra tierra obedientes á la Santa Fé Católica, los tengais baxo de vuestro amparo y defensa especial, por tierra y por mar, asi en la Santa Tierra que Dios os ha dado á ganar, como en la que de aqui adelante os diere.

Y como sobre este negocio hemos encargado al dicho fiel nuestro Pedro Solivera, os diga de nuestra parte algunas palabras; á vuestra Excelencia afectuosamente rogamos que al dicho Pedro Solivera deis creencia de todo quanto sobre estos hechos os dirá de nuestra parte. Escrita en la Ciudad de Lérida á los diez y ocho dias andados del mes de Mayo, en el año de nuestro Señor de mil y trescientos.

INSTRUCCION PARA EL EMBAXADOR.

PRIMERAMENTE. Dirá de parte del Señor Rey á dicho Rey de los Mogoles, que dicho Señor Rey de Aragon desea saber, si quiere ayuda suya, qué parte le dará de la Tierra Santa, que mediante la gracia de Dios nuestro Señor ha ganado nuevamente, y de aquella que en adelante ganáre y conquistáre.

Item: Que todos los subditos del Rey
salvos y seguros en la dicha tierra que ha
aqui adelante ganáre, por mar y por tierra
cer sus peregrinaciones seguramente, sin n
Santo Sepulcro, ni á otros lugares por de
es á saber, todos los Christianos Frances, si
razo. = *Petrus Martini mandato regio.*

ترجمة الملحق رقم (١٨)

"رسالة ملك أراجون دون جميس الثانى[١] "

الموجهة إلى غازان ملك المغول ، يقدم له عن طريق سفيره صداقته وتحالفه معه ضد مسلمى الأرض المقدسة .

بتاريخ ١٩ مايو سنة لاردة

نص الخطاب

إلى القدر السامى ملك أراجون وبلنسية ومرسية وكونت برشلونة وكنيسة روما المقدسة ، الأميرال والقائد العام .

حيث أن أحدا ليس له القوة فيما عدا سيدنا الله القادر على الجميع يريد أن يعطى لأتباعه القوة ، وعلمنا اختياركم وكنتم سيف العدالة على الأرض ، وذلك لإبادة وتدمير أعدائه وأن بيته المقدس فى بيت المقدس كثيرا مادنس وهو ما أحزن قلبنا : كما أن مساعينا فى كل وقت كانت موجهة إلى المساعدة على غزو الأرض المقدسة ، يكون شيئا أكيدا أن جزءا كبيرا من ممالكنا كانت قد غزتها وأخذتها من أيدى أولئك المسلمين الخبيثى الأصل ، وذلك بالمساعدة المقدسة والرحيمة من سيدنا الله رب الجميع القادر . وكنا نتمنى وليس أى جزء آخر من هذا العالم . العبور إلى هذه الأجزاء للمساعدة حيث مات سيدنا لينقذنا وحتى نضعها فى أيدى المسيحيين المؤمنين وذلك حتى يكون اسمه هناك مكرما ومعبودا . وعلى ذلك نعرفكم بأنه إذا احتجتم إلى مساعدتنا من سفن أو رجال مسلحين أو فرسان أو مؤن أو أشياء أخرى مناسبة لجهودكم : نترجاكم أن تشركونا فيها عن طريق رسولكم ، لأننا مستعدين للقيام بها .

ولتعرفوا بأننا أمرنا كل رعايانا الذين يريدون الذهاب لهذه الأراضى ليشرفهم الله، ولدعم جيشكم بأن يذهبوا دون أى عائق إذا احتجتم هناك إلينا أو إلى شعبنا فأرسل لنا رسالة عن طريق رسولنا سوليفيرا مواطن مدينة برشلونة حامل خطابنا الذى نرسله لكم كرسول خاص لنا ، لأننا مستعدين ولدينا الرغبة للذهاب هناك حتى يتم لنا قطع جذور تلك النبته الخبيثة التى احتلتها فترة طويلة ولوثت أرض القدس المقدسة. نرجوكم أن تتولوا بعنايتكم ودفاعكم

١- Chpmany . op . cit ., 106-107 .

المسيحيين الموجودين فى هذه الأراضى خصوصا الفرنجة من رعايانا المخلصين للدين الكاثوليكى، فى الأرض ، فى البحر ، فى الأرض المقدسة التى جعلكم الله لاستردادها .

وإننا كلفنا مخلصنا بدرو سوليفيرا بمهمة التفاوض وأن يقول لكم من جانبنا بعض الكلمات إلى فخامتكم نرجو أن تصدقوه فى كل ما يخبركم به من جانبنا .

كتبت فى مدينة لاردة فى ١٨ مايو سنة ١٣٠٠

تعليمات إلى السفير

أولا :

يقول من جانب الملك إلى ملك المغول ، أن ذلك الملك حاكم أراجون يريد أن يعلم إذا أراد مساعدته يحصل على خمس الأرض المقدسة التى من خلال فضل الله سيدنا سوف نكسبها من جديد، ومن تلك التى ستقومون بغزوها وأخذها .

ثانيا :

إن كل رعايا ملك أراجون يكونوا آمنين فى تلك الأرض التى يأخذها ، وتلك التى سيأخذها فى البر والبحر ويمكنهم أن يحجوا فى أمان، دون أى جزية إلى القبر المقدس ، ولا حتى لأى أماكن أخرى، يريد الذهاب إليها وهم كل الإفرنجة المسيحيين دون أى عائق .

ملحق رقم (١٩)

ملوك أراجون

م	الاسم باللغة العربية	الاسم بالافرنجى	مدة الحكم	ملاحظات
١	راميرو الأول	Ramiro I	١٠٦٣-١٠٣٥	
٢	سانشو الأول	Sancho I	١٠٩٤-١٠٦٣	
٣	بدرو الأول	Pedro I	١١٠٤-١٠٩٤	
٤	ألفونسو الأول المحارب	Alfonso I	١١٣٤-١١٠٤	وهو ما
٥	راميرو الثانى	Ramiro II	١١٣٧-١١٣٤	يعرف
٦	بترونيلا	Petronilla	١١٦٣-١١٣٧	أحيانا
٧	ألفونسو الثانى	Alfonso II	١١٩٦-١١٦٣	بألفونسو
٨	بدرو الثانى	Pedro II	١٢١٣-١١٩٦	السابع
٩	خايم الأول الفاتح	Jayme I	١٢٧٦-١٢١٣	القشتالى
١٠	بدرو الثالث	Pedro III	١٢٨٥-١٢٧٦	
١١	ألفونسو الثالث	Alfonso III	١٢٩١-١٢٨٥	
١٢	خايم الثانى	Jame II	١٣٢٧-١٢٩١	
١٣	ألفونسو الرابع	Alfonso IV	١٣٣٦-١٣٢٧	
١٤	بدرو الرابع	Pedro IV	١٣٨٧-١٣٣٦	
١٥	خوان الأول	Juan I	١٣٩٥-١٣٨٧	
١٦	مارتين	Martin	١٤١٢-١٣٩٥	
١٧	فرديناند الأول	Fernando	١٤١٦-١٤١٢	
١٨	خوان الثانى	Juan II	١٤٧٩-١٤٥٨	
١٩	فرديناند الثانى	Fernando II	١٥١٦-١٤٧٩	

ملوك قشتالة

م	الاسم باللغة العربية	الاسم بالافرنجى	مدة الحكم	ملاحظات
١	فردیناند جانثولث	Fernan Gonsalew	٩٣٢-٩٧٠	
٢	جارثيا فرناندث	Garcia Fernondes	٩٧٠-٩٩٥	
٣	سانشو جارثى	Sanicho Garces	٩٩٥-١٠٢١	
٤	جارثيا سانشيس	Garcia Sancles	١٠٢١-١٠٢٧	
٥	سانشو الكبير	Sancho el Mayor	١٠٢٧-١٠٣٥	
٦	فردیناند الأول	Fernado I	١٠٣٥-١٠٦٥	
٧	سانشو الثانى	Sancho II	١٠٦٥-١٠٧٢	
٨	ألفونسو الأول	Alfonso I	١٠٧٢-١١٠٩	
٩	یورکا	Urraca	١١٠٩-١١٢٦	
١٠	ألفونسو الثانى	Alfonso II	١١٢٦-١١٥٧	
١١	سانشو الثالث	Sancho III	١١٥٧-١١٥٨	
١٢	ألفونسو الثالث	Alfonso III	١١٥٨-١٢١٤	
١٣	أنريق الأول	Anrique I	١٢١٤-١٢١٧	
١٤	فردیناند الثالث	Fernando III	١٢١٧-١٢٥٢	
١٥	ألفونسو العاشر	Alfonso X El Sabio	١٢٥٢-١٢٨٤	
١٦	سانشو الرابع	Sancho IV	١٢٨٤-١٢٩٥	
١٧	فردیناند الرابع	Fernando IV	١٢٩٥-١٣١٢	
١٨	ألفونسو الحادى عشر	Alfonso XI	١٣١٢-١٣٥٠	
١٩	بدرو الأول	Pedro I	١٣٥٠-١٣٦٩	
٢٠	أنريق الثانى	Enrique II	١٣٦٩-١٣٧٩	
٢١	اخوان الأول	Juan I	١٣٧٩-١٣٩٠	
٢٢	انريق الثالث	Enrique III	١٣٩٠-١٤٠٧	
٢٣	خوان الثانى	Juan II	١٤٠٧-١٤٥٤	
٢٤	أنريق الرابع	Enrique IV	١٤٥٤-١٤٧٤	
٢٥	إيزابيلا	Isabel I	١٤٧٤-١٥٠٧	

مملكة اشتوريا وليون

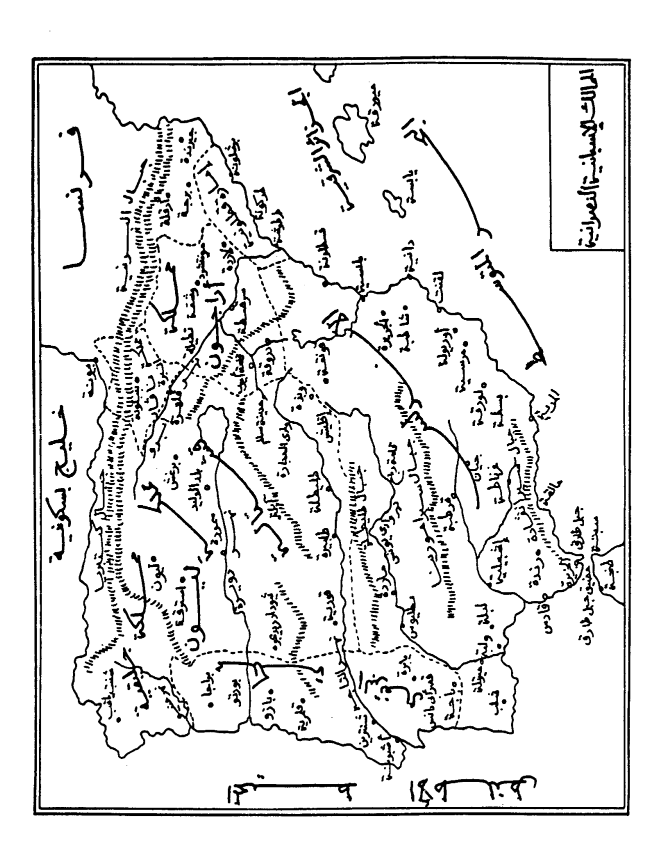
م	الاسم باللغة العربية	الاسم بالافرنجي	مدة الحكم	ملاحظات
١	بلاى	Pelayo	٧١٨-٧٣٧	
٢	قافيلا	Favila	٧٣٧-٧٣٩	
٣	ألفونسو الأول	Alfonso I	٧٣٩-٧٥٧	
٤	فرويلا	Fruala I	٧٥٧-٧٦٨	
٥	أوريلو	Aurelio	٧٦٨-٧٧٤	
٦	سيلو	Silo	٧٧٤-٧٨٣	
٧	ماريجاتو	Mauregato	٧٨٣-٧٧٨	
٨	برمودو الأول	Bermudo I	٧٧٨-٧٩١	
٩	ألفونسو الثانى	Alfonso II	٧٩١-٨٤٢	
١٠	راميرو الأول	Ramiro I	٨٤٢-٨٥٠	
١١	اوردونو الأول	Ordono I	٨٥٠-٨٦٦	
١٢	ألفونسو الثالث	Alfonso I	٨٦٦-٩١٠	
١٣	جارثيا	Garcia	٩١٠-٩١٤	
١٤	أوردونو الثانى	Ordono II	٩١٤-٩٢٣	
١٥	فرويلا الثانى	Fruele II	٩٢٣-٩٢٥	
١٦	ألفونسو الرابع	Alfonso IV	٩٢٥-٩٣٠	
١٧	راميرو الثانى	Ramiro II	٩٣٠-٩٥٠	
١٨	أوردونو الثالث	Ordono III	٩٥٠-٩٥٥	
١٩	سانشو الأول	Sancho I	٩٥٥-٩٦٧	
٢٠	راميرو الثالث	Ramiro III	٩٦٧-٩٨٢	

تابع مملكة اشتوريا وليون

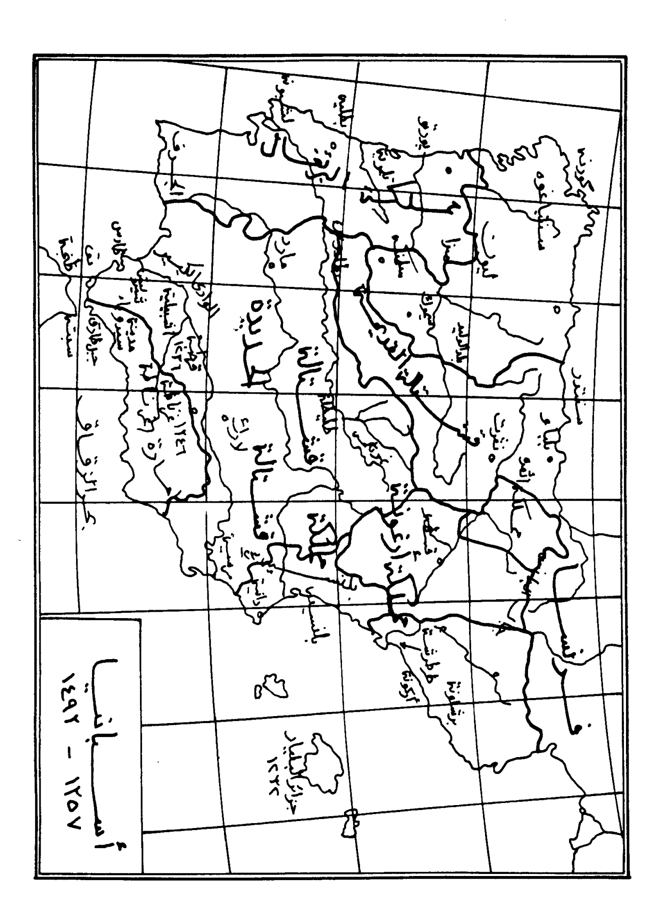
٢١	برمودو الثانى	Bermudo II	٩٨٢-٩٩	
٢٢	ألفونسو الخامس	Alfonso V	٩٩٩-١٠٢٧	
٢٣	برمودو الثالث	Bermudo III	١٠٢٧-١٠٣٧	
٢٤	فرديناند الأول	Fernando I	١٠٣٧-١٠٦٥	
٢٥	ألفونسو السادس	Alfonso VI	١٠٦٥-١١٠٩	
٢٦	يوركا	Urraca	١١٠٩-١١٢٦	
٢٧	الفونسو السابع	Alfonso VII	١١٢٦-١١٥٧	
٢٨	فرديناند الثانى	Fernando II	١١٥٧-١١٨٨	
٢٩	الفونسو التاسع	Alfonso IX	١١٨٨-١٢٣٠	
٣٠	فرديناند الثالث	Fernando III	١٢٣٠-١٢٥٢	

بهذا انضمت مملكة ليون إلى مملكة قشتالة وكثيرا ما كانا
يتحدان تحت حكم ملك واحد قبل اتحادهما سنة ١٢٣٠

خريطة ١



خريطة ٢



قائمة المصادر والمراجع

أولا : مجموعات الوثائق

Alarcon y Santon and R . Garcia :

"Los documentos Arabes diplomatico del Archivo de la corona de Aragon "

Madrid and Granada , 1940

Angeles Masia :

Los documentos en libro "La corona de Aragon y los Estados del norte de Africa "

Los documentes de I a 109 .

Barcelona , 1951 .

Chpmany y de Monpalau Antonio :

" Antiquos tratados celebrado entre los Reyes de Aragon y los pincipes Infieles de Asia y Africa" .

Madrid 1974 .

هذا المصدر لايحتوى إلا على نصوص المعاهدات فقط دون شرح أو تعليق .

ثانيا : المصادر الأجنبية

Alfonso el Sabio :

Primera cronica general de Espana.

publicada por , Roman

Menendez pidal, T . II

Madrid 1977 (E ditorial Gredos)

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية بمدريد 5

4 , 541 ,

Coleicion aniverso Alfonso X, El Justiciero Los grandes Capitanes .

E diciones Espana .

الكتاب صغير وقديم ويحتوى على ١٦ صفحة ولايوجد اسم المؤلف ولا سنة الطبع

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية بمدريد V

C 2163-22

Cronica de la corona de Aragon .

Ano , 1919

Cronica General de Espana de 1344 , vol 2 , (N . D) .

Desclot : A :

"chronicle of the reign of king pedro III of Aragon A . D . 1276-1285"

Translated from the orignal catalan test By critchlow . Princeton University Press, 1928 .

Eracles : L`estoire de Eracle Empereur et la cnquest de la terre D`outremer.

Mer ed . R. H. C. H . occid .

T , II , Paris , 1859 .

Huici , n , : Anales complutense los cronicas latinas de la reconquista , T valencia 1913 .

Jounville jean le :

"Histoire de Saint Louis " Text original du XIV . O Siecle d`une traduction en Francais Moderne Par M. Natilis de wailly , Paris , 1974 .

رجعنا للترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم مذكرات جوانفيل : القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة سنة ١٩٦٨م .

Loaysa : J :

"Cronica de los Reyes de Castilla" Edicion traduccion , introduccion y notes de Antonio Garcia Martinez, Academia Alfonso X el Sabo , 1982 .

Recueil les Historiens des croisades in 16 huge folio vols , Paris 1841-1906 .

I Historiens occidentaux 5 tomes (1844-1895)

II Historiens orientaus (Arbs) 5 tomes (1872-1906) .

Rosel : C :

"Cronicas de los Reyes de castilla"

Biblioteca de Autores Espanales Madrid , 1953 .

Sandoval : F . P. : Historia de los Reyes de Castilla y de leon " Pampelona 1634 .

Wiegler : Paul :

"the infidel Emperor and his struggles against the pope "Achronicle of th 13 th century by P. wiegler tran by Brian W. Dawn. London , 1930 .

William of Tyre:

A history of deeds done beyond the sea vol . 2 , New York , 1943 .

Zuniga : ortiz

"Anales eclesiasticos y Seculares de la muy noble y muy leal ciudad de sevilla. T, I Madrid , 1795 .

Zurita : Jeronimo :

"Anales de Aragon"

Edicion Angel canellas Lopez"

Zaragonza 1970 .

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية بمدريد 5

29987 .

ثالثا : المصادر العربية المطبوعة والمخطوطة :

ابن الآبار : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى (ت ٦٥٨هـ-١٢٦٠م) الحلة السيراء ، ج٢ ، القاهرة ١٩٨٥ .

ابن أبى زرع : أبو الحسن على بن عبدالله (ت ٧٢٦هـ) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، الرباط ، سنة ١٩٣٦م .

ابن أبى الفضائل : مفضل

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد -Patrologia orien tals , Blochet XII , XIV , Paris , 1919-1920 .

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ، سنة ١٩٦٥م .

ابن بلقين : (ت ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م) الأمير عبد الله الزيرى) ، «مذكرات الأمير عبدالله المسماة بكتاب التبيين» ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥

ابن أيبك الدوادارى : أبوبكر بن عبدالله بن أيبك (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ، «الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية» ، هو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق اولرخ هارمان ، القاهرة سنة ١٩٧١م . ، «الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر» ، هو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق روبرت رويمير ، القاهرة ١٩٦٠م .

ابن بطوطة : شمس الدين أبو عبدالله بن ابراهيم اللواتى (ت ٧٧٩هـ) ، «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ، تحقيق على المنتصر الكتانى ، بيروت سنة ١٩٨١ م .

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ) ، «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة» ، ١٦ جزءا ، القاهرة سنة ١٩٢٩-١٩٧١

ابن حبيب : الحسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) ، «تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه» ، ٢ جزء تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عاشور ، دار الكتب سنة ١٩٧٦م .

ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، «أعمال الأعلام وتاريخ أسبانيا الإسلامية»، تحقيق ليفى بروفنسال ، ق٢ ، ط٢ ، بيروت سنة ١٩٥٦م . «اللمحة البدرية فى الدولة النصرية»، تحقيق محب الدين الخطيب ، ط٢ بيروت سنة ١٩٧٢م .، «الإحاطة فى أخبار غرناطة»، المجلد الأول - تحقيق محمد عبدالله عنان ، دار المعارف ، سنة ١٩٥٥م .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، المجلد الرابع- والسابع ، بيروت ، سنة ١٩٧٩م .

ابن عبد الظاهر : محى الدين بن عبد الظاهر (٦٢٠-٦٩٢هـ)، «الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر»، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض سنة ١٩٧٦م . «تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور» تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١م. «الألطاف الخفية فى السيرة الشريفية»، ط موبرنج ١٩٠٢م .

ابن عذارى المراكشى : أبو عبدالله محمد المراكشى ابن عذارى (بعد ٧١٢هـ)، «البيان المغرب فى أخبار المغرب»، ج٢ ، أخبار الأندلس ، بيروت سنة ١٩٥٠م .

ابن العماد : عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت١٠٨٩م) ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب»، القاهرة سنة ١٣٥١هـ .

ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م)، المجلد السابع - تحقيق قسطنطين رزيق ، بيروت سنة ١٩٤٢م .

ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس (ت أواخر القرن السابع الهجرى)، «تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط» ، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدير سنة ١٩٧١م.

أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢١م)، «المختصر فى أخبار البشر» ٤ ج ، ط القسطنطينية، سنة ١٢٨٦هـ. «تقويم البلدان» باريس ، سنة ١٨٩٠م .

الإدريسى : محمد بن محمد الشريف الإدريسىَ (ت ٥٦٢هـ)، «صفة المغرب وأرض

السودان ومصر والأندلس»، وصف أفريقيا وأسبانيا ، تحقيق Dozy سنة ١٩٦٩م امستردام .

بيبرس الدوادار : ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» الجزء التاسع - رسالة دكتوراة للدكتور زبيدة عطا- لم تنشر كلية الآداب- جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢م .

الحميري : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري(توفي في أواخر القرن التاسع) «صفة جزيرة الأندلس»، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، سنة ١٩٣٧م.

الذهبي : (الحافظ شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨هـ) ، «تاريخ دول الإسلام»، تحقيق فهيم محمد شلتوت وآخر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م .

الزركشي : (أبي عبدالله محمد بن ابراهيم)، تاريخ الدولتين ، الموحدية والحوضيه ، تونس ١٩٦٦ .

زيترشتين : «تاريخ سلاطين المماليك»، ليدن ، سنة ١٩١٩ م .

السلاوي : (أحمد بن خالد الناصري السلاوي)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٤ أجزاء ، القاهرة سنة ١٣١٢هـ.

عبد الواحد المراكشي : محي الدين عبد الواحد على المراكشي (٥٨٨-٦٤٧هـ)، «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، سنة ١٩٦٣م/ ١٣٨٣ هـ.

العمري : شهاب الدين بن العمري (٧٤٩هـ)، «التعريف بالمصطلح الشريف»، القاهرة ، سنة ١٣١٢هـ.

العيني : بدر الدين العيني (٨٨٥هـ/ ١٤٠١م)، «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، مخطوط بدار الكتب القومية برقم تاريخ سنة ١٥٨٤م .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود القزويني (٦٨٢هـ)، «آثار البلاد وأخبار العباد»، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ، سنة ١٩٧٩م .

القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ)، «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ١٤ جزءا القاهرة ١٩١٣م

المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ- ٩٥٦م)، «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، ط التحرير سنة ١٩٦٦م / ١٣٨٦هـ.

المقرى : أحمد المقرى (ت ١٠٤١هـ)، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، ٢٠ جزءا، تحقيق أحمد فريد رفاعى ، القاهر ١٩٣٦م . «أزهار الرياض فى أخبار عياض»، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة سنة ١٩٣٩م .

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على المقريزى ت ٨٤٠هـ ، «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، ط بولاق سنة ١٢٧٠هـ؛

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٦-١٩٧٢م .

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الواهاب (٧٣٩هـ)، «نهاية الأرب فى فنون الأدب» مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معرف عامة .

اليونينى : قطب الدين موسى بن محمد اليونينى (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، «ذيل مرآة الزمان»، ط حيدر آباد الدكن ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبيارى: بيروت سنة ١٩٨١م .

رابعا : المراجع العربية والأجنبية المترجمة

ابراهيم على طرخان : المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى القاهرة سنة ١٩٦٦م .

أحمد عبد الرازق : دراسات فى المصادر المملوكية

أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك ، دار النهضة سنة ١٩٨٤م .

أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس الأسكندرية سنة ١٩٦٨م .

قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام بيروت ، سنة ١٩٦٩م .

أرشيبالد : لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى وآخر ، القاهرة سنة ١٩٦٠م .

أسامة زكى زيد : الصليبيون واسماعيلية الشام ، الهيئة المصرية العامة- الأسكندرية ١٩٨٠ م .

باركر : ارنست ، الحروب الصليبية

مقالة فى تراث الإسلام ، ج١ ، القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

ـــــــــــ : الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى ، النهضة المصرية، ١٩٦٠م .

ترتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة حسن حبشى : دار المعارف ، ١٩٦٧ م .

ترند : أسبانيا والبرتغال ، ترجمة حسين مؤنس ، مقالة فى تراث الإسلام ، ج١، ١٩٨٣م .

جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الأسكندرية فى العصر الإسلامى دار المعارف،١٩٦٧م.

جوزيف نسيم : الوحدة وحركات اليقظة العربية ، دار المعارف ، ١٩٦٧م .

تاريخ العصور الوسطى الأوربية الأسكندرية ، ١٩٨٤م .

حسن الأمين : الغزو المغولى، بيروت سنة ١٩٧٦م

حسن أحمد محمود : تاريخ المغرب الإسلامى حتى سقوط الخلافة دار النهضة ، ١٩٦٨م .

قيام دولة المرابطين، النهضة العربية ، سنة ١٩٥٧م .

حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٧م .

حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة ، سنة ١٩٨٣م .

حسين مؤنس : بلاى وميلاد اشتريس وقيام حركة المقاومة النصرانية فى شمال اسبانيا

فصل من مجلة كلية الآداب ، المجلد الحادى عشر ، الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٤٩م .

الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين سقوط سرقسطة فى يد النصارى سنة ٥١٢هـ/ ١١٨ م، فصل من مجلة كلية الآداب ، المجلد الحادى عشر، الجزء الثانى ، ديسمبر، سنة ١٩٤٩ م ، القاهرة .

فجر الأندلس ، ط أولى، القاهرة سنة ١٩٥٩م .

معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط أولى، القاهرة سنة ١٩٨٠م .

خوسيه ميجيل رويث موراليس : العلاقات الثقافية بين أسبانيا والعالم العربى، المركز الثقافى الأسبانى بالقاهرة سنة ١٩٦٠ .

ديورانت : قصة الحضارة، الجزء الرابع من المجلد الرابع، ترجمة بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

رأفت عبد الحميد : الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى، مقالة فى ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، المجلد الثانى، دار المعارف ١٩٨٣م .

رنسيمان : ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث ، ترجمة السيد الباز العرينى، ط أولى بيروت سنة ١٩٦٩م .

سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية ، دار الكتاب العربى، سنة ١٩٦٧م .

سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية، النهضة المصرية سنة ١٩٥٩م.

قبرس والحروب الصليبية، النهضة المصرية ، سنة ١٩٥٧م، الحركة الصليبية ٢ج ط الثالثة ، مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٦م .

———— : أوربا العصور الوسطى، الجزء الأول - الأنجلو سنة ١٩٧٥م .، الجزء الثانى - الأنجلو سنة ١٩٧٨م . العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط أولى دار النهضة سنة ١٩٦٥م.

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى دار المعارف، ط سنة ١٩٦٩م.

شارل أندرى جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية، الجزء الثانى- تعريب محمد مزالى وآخر ، تونس سنة ١٩٧٨م .

الطاهر أحمد مكى : معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر بين سلطان مصر وملك أراجون

المجلة: العدد٤٥ سبتمبر سنة١٩٦٠م. المجلة : العدد٤٩ يناير سنة ١٩٦١م.

عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى، دار الاعتصام ، القاهرة سنة ١٩٨٣م .

عبد القادر أحمد اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر »، بيروت سنة ١٩٦٩م .

عزيز سوريال عطية : علاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف، ط ١ ، القاهرة سنة ١٩٧٢م.

على حبيبة : مع المسلمين فى الأندلس، القاهرة سنة ١٩٧٢م .

عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية، الأسكندرية سنة ١٩٧٧م .

فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، القسم الأول ، ط ٦ دار المعارف ، سنة ١٩٧٦م.

القسم الثانى، ط٤ دار المعارف، سنة ١٩٧٦م ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرون .

قاسم عبده قاسم : أهل الذمة، دار المعارف ، ط٢ ، سنة ١٩٧٩م .

كاسترو : امريكو، حضارة الإسلام فى أسبانيا، ترجمة وتعليق سليمان العطار ، القاهرة ، سنة ١٩٨٣م.

ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، ط، القاهرة ، سنة ١٩٥٦م .

محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره، دار الكتب ، سنة ١٩٣٨م. دولة بنى قلاوون فى مصر، دار الفكر ، سنة ١٩٤٧م.

محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون

القاهر سنة ١٩٧٤م.

محمد عبدالله عنان : الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية المعهد المصرى- مدريد سنة ١٩٧٦م. دولة الطوائف، العصر الثانى من كتاب دول الإسلام فى الأندلس، القاهرة سنة ١٩٦٩م .

«نهاية الأندلس ، تاريخ العرب المتنصرين ، ط أولى، القاهرة سنة ١٣٦٨هـ/ سنة ١٩٤٩م . «عصر المرابطين والموحدين » جزآن ، الخانجى القاهرة ١٩٦٤م . «مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية وتشمل مقالات ومنها مقالة العلائق الدبلوماسية بين مصر وأراجون»، لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٦٩م .

محمد محمد مرسى الشيخ : «دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين فى الأندلس» .

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٨م .

نظير حسان سعداوى : الحروب والسلام زمن العدوان الصليبى ، النهضة المصرية سنة ١٩٦٠م .

نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط فى أوربا ، ج الأول - دار الفكر، ط أولى سنة ١٩٦٧م

يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبدالله عنان الجزء الأول- لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م .

يوشع براور : عالم الصليبين ، ترجمة قاسم عبده قاسم وآخرون ، دار المعارف ، ١٩٨١

خامسا : المراجع الأجنبية

Abadia : (J. L)

La corona de Aragon en el Mediteraneo Medieval Zaragoza, 1979 .

Abady : (A . M) :

Algunos aspectos de los relaciones historicas hispano - Eqipcias. Baletin de al embajada de Egipto en Madrid 23 Julio , 1952-1953 .

Antonio de la torre : La Reconquista en el pirineo la Reconqiusta Espanola , la Repoblacion del pais , Zaragza 1951 .

Atiya (A.S)

A Egypt and Aragon . Leipzig, 1938 .

B The crusade in the later Middle Ages . London , 1938 .

Bennasser , P . C : sobre la aportacion Aragonesa a la conquista de Mallorca (1229-1232, Jaime I Y su epoca , Zarogoza 1980 .

Beretta : (A . B)

La Tomade Sale en tiempos de Alfonso X el Sabio .

Al - Andalus vol . VIII , 1943 .

Bury (J . B)

The cambridge Medieval history vol , VI - VII . cam . 1964 .

Chapman : (C. E)

A History of spain . New Nork , 1937 .

Chaytro : (H. J)

A History of Aragon and Catalonia , London 1933 .

Ferrnado : (E,M) :

Jaime II de Aragon su vida familiar , vol . I , Barcelona , 1948 .

Gimenez Saler : (A)

"El comercio en Tierra de Infieles durante la Edad Media .

Boletin de la real academia buenas latras de Barcelona , Tome quinto Barcelona, 1909-1910 .

Gunta , F : Aragoneses y Catalans en el mediterraneo , Barcelone 1989 .

Gran : (T)

Enciclopedia Rielp, Madrdi, 1979 .

Heyd :

Histoire de commerce du levant Leipzig .

الجزء الأول منه مترجم تحت عنوان

«تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى»

مراجعة وتقديم عز الدين فودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٥م .

Hillgarth : (J. N)

A los Reinos Hispanicos , Barcelona , 1979 .

B The Spanish kingdoms 1250-1516 , 2 vol oxford 1976 .

هذان المرجعان هما نص واحد أحدهما باللغة الأسبانية والثانى باللغة الانجليزية .

Imperial : (C, M)

Relaciones diplomaticas de Malloroco y Argon con el Africa Septentrional duorant la Edad Media , Barcelona , 1904 .

Jackson : (G)

The Making of Medieval Spain , California, 1970 .

Keller : (J. E)

Alfonso X el sabio , New York , 1967 .

King :

The Knights Hospitallers in the Holy Land London , 1931 .

Lacarra , J . M

1- La conquista de Zaragoza por Alfonso, vol XII 1947 .

2- Alfonso El Batallodr, Zaragoza 1948 .

Lane - poole : (S)

History of Egypt in the Middle Ages , London , 1913 .

Lodge : (M. A)

A The close of the Middle Ages , London , 1924 .

B The end of the Middle Ages ., London

Lomax . D. W: La Reconquista , Barclona 1984 .

Martin : (J.L)

A Historia de Espana

Tome III Baracelona, 1982 .

B La Peninsula en la Edad Media, Barcelona, 1978 .

Masia (A)

A La corona de Aragon y los Estados del notre de Africa

Bacelona , 1951 .

B Introducion a la historia de Espana , Barchelona , 1943 .

Michaud : (J.E)

History of the Crusoades vol . III , New York , 1881 .

Montavez :(P,M)

A Relaciones de Alfonso X de castilla con el Sultan Mameluco

Baybars y sus sucesores Al- Andelus, vol . XXVII

Madrid , 1962 .

B Relacions castellano Mamelucos 1283-1382 .
de Hispania 1963, Num , X C II .

Muir : (W)
The Mameluke or Slave dynasty of Egypt 1260-1517 .
London , 1896 .

استخدمنا النص الانجليزى والنص العربى الذى يحمل عنوان «تاريخ دولة المماليك فى مصر» ترجمة محمد عابدين ، القاهرة سنة ١٩٢٤م .

Painter :
A history of the Middle Ages New York . 1954 .

Payne (S. G)
A history of Sapain and Portugal, Wisconsin Press, 1943 .

Pelayo : (M.M)
Historia de Espana, Madrid , 1950 .

Pirenne : (H)
A history of Europe - vol . 2 New York , 1951 .

Previt : (O)
A history of Europe , London , 1951 .

Prieto : (P)
Politica Aragonesa en Africa hasta , La Muerte de Fernando et Catolico, Madrid, 1952 .

Runciman : (S)
The Sicilian vespers cam , 1958 .

Sadeque : (S.F)
Baybers I of Egypt, Oxford , 1956 .

Salavert : (V)
La pretendido traicion de Jaime II , de Aragon contra Sicilia y los sicilianos.

Estudios de Edad Media de la corona de Argon vol . VII, Zaragoza , 1962 .

Setton :

A history of the crusade, pennsylvania 1962 .

Shneidman (J.L)

The rise of the Aragonese, catalan Empire (1200-1350) vol. I New York , 1970 .

Sitwell : (S)

Spain, London , 1950 .

Sousa, A S : Historia de portugal, Barcelona 1929

Stevenson : (W.B)

The crusaders in the East , cambridge 1968 .

Tout :(M.A)

The Empire and the papacy , London , 1924.

Urbel : J . P :

Reconquista y Repoblacion de castilla y leon, Duarant los siglos IX Y X , la Reconquist Esponola u la Repoblacions del pais , Zaragoza 1951 .

Watt : (W.M)

A history of Islamic Spian, Edinburgh at the University Press, 1965 .

Watts : (H. E)

Spain , London , 1893 .

Diccionario Encielopedico : Espasa , Ed . Espasa Calpe, S . A a ed Madrid , 1978 .

الفهرس

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

رقم الإيداع ٩٧/١٤٤٥٢

الترقيم الدولى I.S.B.N 977 - 54 87 - 82 - X

دار روتابرينت للطباعة ت: ٣٥٥٢٣٦٢ - ٣٥٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق

Las Relaciones entre los Reinos de Castilla y Aragon col el Sultanto de los Mamelucos (1260-1341 / 658-741)

Dr. Mohamed Mahmoud El-nashar

Historia de Edad Media
Facultad de Letras
Universidad de Tanta